

الهزيمة الكبرى

مع الملوك والرؤساء

من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات

الجزء الثاني

أحمد الشقيري

الهزيمة الكبرى

مع الملوك والرؤساء
من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات

الجزء الثاني

الطبعة الإلكترونية الأولى

1426 هـ

2005 م

- الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء
- من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات - الجزء الثاني
- أحمد الشقيري
- الطبعة الإلكترونية الأولى 2005 م

التفقيح والتدقيق الفني واللغوي

عبد العزيز السيد أحمد

أ.د. عزمي الصالحي

تدقيق التنضيد والإخراج :-

المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع

هاتف: +962-6-5650630 فاكس: +962-6-5668860

ب.إ: arab_book@hotmail.com

صدرت الطبعة الورقية الأولى عن دار العودة ، بيروت ، 1973 .

All rights reserved

جميع الحقوق محفوظة

المحتويات

- 7 - انتصر الواحد على ثلاثة عشر
- 27 - من موسكو، أسرار وأخبار
- 55 - أسرار أخرى من موسكو
- 85 - حديث الأسرار بيني وبين عبد الناصر
- 107 - هل جنتم لإزالة العدوان أم لإزالة منظمة التحرير
- 139 - هل نحن سعاة يريد عند الملوك والرؤساء
- 175 - مؤتمر الخرطوم يحتضر في يوم ميلاده
- 209 - مؤتمر الخرطوم يدفن في الخرطوم
- 239 - الصفة الأولى للملوك والرؤساء
- 273 - عن عبد الناصر
- 289 - إلقاء اليهود في البحر وإلقاء العرب في الصحراء ...
- 307 - استقالة أم إقالة

_____ انتصر الواحد على ثلاثة عشر

قضيت النصف الثاني من شهر حزيران مع بريد الملوك والرؤساء.

كان من تقاليد الملوك والرؤساء كرمز لاعترافهم بمنظمة التحرير وتأبيدهم لها إلى " أبعد حدود التأييد "، أنهم كانوا يرسلون إليّ خطبهم وتصريحاتهم ورسائلهم السريّة التي يتبادلونها فيما بينهم ..

وكان طبيعياً أن تصبح حرب حزيران مجالاً خصباً للخطب والتصريحات والرسائل السرية، يحددون فيها مواقفهم ومواقعهم، دون أن تكون لهم مواقف أو مواقع !!.

ولم تكن حرب حزيران حدثاً عادياً في التاريخ العربي المعاصر.. بل إنها لم تكن كحرب إسرائيل أثناء العدوان الثلاثي لعام 1956، حين زحفت إسرائيل على سيناء وقطاع غزة واحتلتها ثلاثة أشهر، ثم انسحبت وكأن شيئاً ما كان ...

بل إن هذه الحرب لم تكن إعصاراً هادراً هبّ على الوطن العربي لبضعة أيام، ثم سكن وهدأ، وصفا الجو وعادت الحياة إلى طبيعتها ونظامها... كانت حرب حزيران بآثارها السياسية والعسكرية عطفة تاريخية رهيبية استظل الأمة العربية ترزح تحت أثقالها، إلى أن تستطيع أن تهز عن أكتافها كثيراً من الأحمال وأولها هذا الحكم العربي المعاصر ما بين خائب، وخائر، وخائن ...

ولا يخلو هذا القول العادل من استثناءات قليلة ضئيلة ... وليس الأمر في حاجة إلى تصنيف وتفصيل، فالأمة تعرف الصادقين من الكاذبين... ومن هنا كان اهتمامي ببريد الملوك والرؤساء، أقرأه وأتأمله، وأحدد مكانه في المعركة، فقد كان كله بريد المعركة، بريد الحرب... ومع بريد الملوك والرؤساء، كان في مكتبي بريد آخر ينتظرنى ويجدر بي أن أسميه بريد الشعب .. إنها تقارير مكاتب منظمة التحرير في الوطن العربي، تتحدث عن موقف الشعب أثناء المعركة ... وأخذت أقرأ بريد الملوك والرؤساء، وأقرأ بريد الشعب .. فإذا بالتاريخ يقرأ معي ...

وكان أول ما قرأت .. البرقية الآتية :

" فخامة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية

المتحدة - القاهرة.

إننا نقف إلى جانبكم بجميع قواتنا وطاقتنا في هذه المعركة المصيرية ونؤيدكم كل التأييد في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الأمة العربية، وقد دخلت قواتنا إلى الأردن لتعمل إلى جانب شقيقاتها العربيات، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يؤيدنا جميعاً بنصره".

التوقيع

فيصل

وكان تاريخ هذه البرقية في اليوم الأول للمعركة .. وبالتحديد في

الخامس من حزيران ...

وانطلقت الإذاعة السعودية، تعيد نص البرقية في جميع نشراتها، وتذيع بعد ذلك أن الديوان الملكي تلقى مئات البرقيات من قبائل الجزيرة العربية تؤيد فيها " الخطوات التي اتخذها جلالة الملك وتعلن تطوع القبائل للزحف في جهاد إسلامي لتحرير فلسطين..".

ولقد كانت هذه البرقيات صادقة وأمينة ومخلصة، فإن الشعب السعودي، كالشعوب العربية الأخرى، يود لو أتيحت له الظروف أن يفندي القضية العربية بالمهج والأرواح.

والبرقيات هذه، كانت في الواقع، استجابة وتلبية، والشعب السعودي كالشعوب الإسلامية، يردد دائماً " لبيك اللهم لبيك ..".

أجل ... كانت تلبية لنداء وجهه فيصل في اليوم الخامس من حزيران، وكان هذا النداء موجزاً فإن نداء المعركة لا يحتمل الكلام الكثير .. وقال الملك فيصل في ندائه...

" يا أبناء الشعب العربي السعودي ..."

لقد آن الوقت الذي كنا نتطلع إليه منذ أمد بعيد .. فيا إخواني أبناء الشعب العربي السعودي، استعدوا للمعركة الفاصلة بيننا وبين عناصر الشر التي فرضتها قوى الاستعمار والصهيونية .. وإننا سنكون أمامكم في المعركة، وأثبتوا للعالم أجمع أنكم دائماً في الطليعة في جميع ما يهدد كيان الأمة العربية ..".

كان ذلك كلام الملك فيصل في اليوم الأول من المعركة .. وكان هنالك كلام آخر في اليوم الثاني ..

ففي السادس من حزيران أقيم مهرجان شعبي كبير في الرياض احتفاءً بعودة الملك فيصل من زيارة طويلة استغرقت شهراً، في أمريكا وبريطانيا وفرنسا

وبلجيكا .. وألقى الملك فيصل خطاباً في المهرجان الشعبي ... وكان طبيعياً أن يتكلم عن المعركة فقال في جملة ما قال: " إن مجرد وجود الوجود الإسرائيلي على الأراضي العربية هو أكبر اعتداء وظلم عرفه التاريخ .. وإننا اليوم صف واحد وجنود في المعركة، لا رئيس ولا مرؤوس، بل كلنا حملة سلاح في سبيل الله وفي سبيل الوطن ... يجب أن نلحق الصهيونية والاستعمار درساً لم يعرفوه ... وإننا سنتخذ الإجراءات بكل قوة ضد من يساعد أعداءنا ومن يناصرهم بأي نوع من المساعدات ... فالجهد إليها المواطنين، إلى الجهاد إليها المواطنين، إلى الجهاد يا أمة محمد .. ويجب علينا اليوم أن نثبت ما نقوله باللسان، نثبتته بالعمل لا بالتظاهر والصياح .. وإنه ليشرفني أن أنقل إليكم رغبة إخواتي التي تقدموا بها إليّ بأن يكونوا في مقدمة الصفوف المقاتلة على الحدود وإنني أعدم وأعدكم بأن هذه الرغبة ستحقق ...".

وبعد هذا الخطاب الكبير بألفاظه، العظيم بعباراته، أذاع راديو مكة خطاباً آخر من الأمير سلطان عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع والطيران السعودي موجهاً إلى القوات السعودية المسلحة قال فيه: " إن القائد الأعلى والحكومة والشعب السعودي واثقون ومؤمنون أنكم سوف تعيدون فلسطين إلى أهلها العرب ..".

ولقد كان لهذه الكلمات سحرها في نفوس الجماهير، ولو اقترنت بالإرادة والعزيمة لتحول السحر إلى نصر ...

وليس شيئاً قليلاً أن يعلن الملك فيصل " أننا سنكون أمامكم في المعركة .. وأننا كلنا حملة سلاح .. وإلى الجهاد يا أمة محمد ... وأن أخواني سيتقدمون الصفوف، وأنني أعاهدكم أن تتحقق هذه الرغبة ...".

والملك فيصل قادر أن يجعل هذا الكلام حقيقة ناصعة .. إنه يملك الرجال والمال والسلاح والبتروول .. وفوق ذلك فإنه بين يديه مشاعر العالم الإسلامي، بوصفه حامي الحرمين الشريفين.

ولو أن الملك فيصل طار إلى بيت المقدس في صباح الخامس من حزيران، وخاطب العرب والمسلمين من المسجد الأقصى يدعوهم إلى الجهاد لتغيير مجرى التاريخ .. ولكن الملك فيصل دعا إلى الجهاد وقعد .. واختار نفسه أن يكون ملكاً لا بطلاً .. وما أكثر الملوك وما أقل الأبطال!!

وحيثما كان الملك فيصل يدعو إلى الجهاد، ويعلن أن قواته ستشارك في المعركة في الخامس والسادس من حزيران ... كنت أنا بعقلي وجوارحي في غرفة العمليات الأردنية، في عمان أتابع تحركات القوات الأردنية والعراقية في المعركة منذ بدايتها إلى نهايتها، ولم أعلم أن القوات السعودية قد اشتركت من قريب أو بعيد ... والذي أعرفه أن القوات السعودية بقيت مرابطة وعلى الحدود الأردنية وانتهى .. وكان من دواعي الشرف للجيش السعودي الباسل، بل للأمة العربية، لو أنه اخترق الحدود وساهم في القتال .. فقد كانت المعركة في حاجة إلى جندي واحد، وإلى طلقة واحدة ...

ولست أنسى واقعة مثيرة تفرض نفسها على التاريخ ... ذلك أن قسم استماع الإذاعات في القيادة المشتركة في عمان كان يسجل للفريق عبد المنعم رياض كل ما تقوله الإذاعات العربية والأجنبية عن المعركة .. وكان من جملة ما نقله جهاز الاستماع خبر عن إذاعة مكة يقول : " إن القوات السعودية والعراقية اشتركت مع القوات الأردنية في احتلال جبل المكبر في القدس وإن سلاح الجو السعودي اشترك مع سلاح الجو العراقي وسلاح الجو الأردني في ضرب المنطقة المحتلة ...".

قرأ الفريق عبد المنعم رياض الخبر، وصاح " هو نحن ما تعلمناش
أي درس من حرب فلسطين عام 1948 - القوات السعودية متمركزة حتى اليوم
في تبوك، من أين جاءت لتحتل جبل المكبر ... والطيران السعودي، نحن
نتمنى أن يكون معنا في المعركة ... إنه لا يزال في مطارات السعودية..".
ورحت أهدئ الفريق عبد المنعم رياض وأقول له: " على مهلك .. يجب
أن تروض نفسك على التصريحات العربية ..".

فقال الفريق رياض: " ما الفائدة من الكذب .. لقد سقط جبل المكبر
بيد إسرائيل بعد أن احتلته القوات الأردنية بأربع ساعات .. والقوات السعودية
بعيدة عنا مسيرة أيام وأيام!!".

وما أن انتهت حرب حزيران حتى بدأت حرب أخرى، حرب أطلققتها
الإذاعة السعودية، تندد بالقاهرة وتأخذ عليها كثيراً من الأخطاء العسكرية
والسياسية، وبلغت الحملة ذروتها حين أعلنت جريدة الندوة السعودية، في الثامن
والعشرين من حزيران " أن الملك فيصل أخطر الدول العربية أثناء زيارته لا
لأوروبا في شهر أيار الماضي بأن إسرائيل تنوي القيام بهجوم على البلدان
العربية المجاورة لها، وأن الملك فيصل قد نقل هذا التحذير إلى جميع الدول
العربية بواسطة ممثليها في لندن وبروكسل أثناء زيارتها لبلجيكا وبريطانيا، وأن
الملك فيصل أبلغ السفراء العرب في العاصمتين المذكورتين أن على الدول
العربية أن تبدأ بالهجوم على إسرائيل ليتمكن العرب من أن يحققوا نصراً، أو
على الأقل حتى لا يتحول الموقف إلى نكبة...".

23 واستمرت الحملة السعودية تتصاعد يوماً بعد يوم إلى أن جاء
يوليو، يوم الذكرى الخامسة عشرة للثورة المصرية .. وكنت في جامعة القاهرة
أجلس على المنصة الرئيسية ... وألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً

مسهباً عن ظروف النكبة ... رد فيه على الحملة السعودية وقال: " بعدما حصلت النكسة بيجوا بنتقدونا في المملكة العربية السعودية ... الجرايد والإذاعة كل يوم تنتقدنا ... جرايد الملك بتقول ليه ما هجمنش بالأول وهو قاعد هناك بالرياض على بعد خمسة آلاف كيلو متر .. طيب وهو الملك فيصل عمل آيه؟ كام عسكري بعثهم أثناء المعركة ... ولا عسكري...".
وانتهى الرئيس عبد الناصر من خطابه، وجلسنا في صالة الاستراحة بعض الوقت .. وسألني الرئيس عبد الناصر قائلاً : دانت يا أخ أحمد كنت في عمان أثناء المعركة .. هل السعودية اشتركت في المعركة؟؟
قلت : نعم ...

قال : إزاي اشتركت في المعركة؟

ودهش الرئيس عبد الناصر وقال : إزاي اشتركت في المعركة ؟
قلت : إذاعة الرياض ذكرت أن الطيران السعودي والقوات السعودية اشتركت في احتلال جبل المكبر .. وسقط جبل المكبر بعد أربع ساعات بيد إسرائيل بعد أن احتلته القوات الأردنية ...، وكان جبل المكبر " يكبر" احتجاجاً على إذاعة الرياض !!
وضحك الرئيس عبد الناصر قائلاً : ده صحيح ... ناس كتير غير السعودية حاربوا بالإذاعة..

وإني أروي هذا الحادث بما فيه من قسوة .. فإن القسوة متلازمة مع القدرة ... إن قدرات المملكة السعودية ضخمة هائلة ... على الصعيدين العربي والإسلامي ... ولا ننسى الطاقات الروحية والسياسية والبترولي التي تملكها المملكة العربية السعودية، والتي يمكن أن تلعب دوراً خطيراً في المعركة، لو أنها توضع تحت تصرف المعركة...

وإذا كان هذا هو موقف الملك فيصل من المعركة ... خطبة رنانة،
وجهاد في الإذاعة ... فإن موقف الشعب السعودي أعظم وأكرم ... حقاً وصدقاً
...

لم يجد الشعب السعودي مكاتب التطوع مفتوحة أمامه كما وعده مليكه
.. ولم يجد الأمراء أخوة الملك فيصل يتقدمون المعركة كما طلبوا ... ولم يجهز
القادرون على حمل السلاح بالسلاح ... ولكن الشعب السعودي بذل كل ما
يستطيع .. ففي الواحد والعشرين من شهر حزيران حطت طائرة نقل سعودية
في مطار عمان تحمل " 349 " طرداً كبيراً من الملابس والأغذية المتنوعة
تبرع بها المواطنون السعوديون لأسر الشهداء في الأردن...".

وكانت هذه إحدى الأيادي السعودية البيضاء في تلك الأيام السوداء...
وقد لحقتها تبرعات شعبية قيمتها " مليون وربع مليون دولار مائة وخمسة
وسبعين قطعة من الحلبي الذهبية ...".

ثم توالى التبرعات السعودية بالكرم النجدي والسخاء الحجازي حتى
بلغت قيمتها في منتصف حزيران ستة وأربعين مليون ريال سعودي.
ما أعظم الشعب وما أكرم الشعب .. ولا أذكر غيره ...

كان ذلك هو حصيلة بريدي مع السعودية شعباً وملكاً ... وكان من
المصادفة الغربية أن أنتقل إلى بريد الكويت .. وهي كالسعودية دولة بترولية،
ومثلها، بدأت حياتها بداءة يدوية ... وماذا وجدت في البريد ...
في اليوم الخامس من حزيران أصدر أمير الكويت مرسوماً جاء فيه: "
إن الكويت تعتبر في حرب دفاعية منذ صباح اليوم مع العصابات الصهيونية،
وإن الكويت يضع كل إمكاناته لخوض المعركة ..".

وعلى أثر ذلك، اجتمع مجلس الأمة الكويتي في جلسة طارئة أقر فيها المرسوم الأميري، كما أقر الإجراءات الاستثنائية الأخرى التي اتخذها مجلس الوزراء .. وتنفيذاً لهذه الإجراءات فقد وضع الحاكم العسكري العام في الكويت جميع المحطات اللاسلكية في شركات النفط العاملة في البلاد تحت الرقابة ...

وبهذا ظهر في اليوم الأول للحرب، أن الكويت تواجه مسؤولياتها لا كدولة بدوية، بل كدولة دستورية لها مجلس أمة، ولها دستور، ولها قوانين.. هذا إذا استثنينا شيئاً واحداً، وهو أن الحكم في مجموعته لا يزال في يد الأسرة الواحدة .. شأنها في ذلك شأن المملكة العربية السعودية ..

وفي اليوم السادس من حزيران، وعلى أثر ما أذيع من أن أساطيل أمريكا وبريطانيا تسند العدوان الإسرائيلي، قرر مجلس الوزراء الكويتي وقف تصدير النفط الكويتي إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا..

وفي السابع من حزيران وافق مجلس الأمة الكويتي في جلسة سرية طارئة على تخصيص مبلغ خمسة وعشرين مليون دينار كويتي لدعم المجهود الحربي للدولة العربية.

وعلى صعيد المجهود الحربي فقد بعث الكويت بكتائب من الجيش الكويتي إلى الجبهة المصرية للمساهمة في المعركة ... وقد سقط منهم عدد من الشهداء في الميدان، تجسيدا لوحدة النضال العربي.

وكان الجهد الشعبي رائعا .. فقد ازدحمت شوارع الكويت بتظاهرات شعبية ضخمة تطالب بالسلح للاشتراك في المعركة، وتهافت المواطنون على مراكز التبرع بالدم، وتبرعوا بمبالغ سخية لتمويل المجهود الحربي ... ووقف المئات أمام سفارات الأردن والجمهورية العربية المتحدة وسوريا ولبنان والمملكة

العربية السعودية تطالبهم قبول تطوعهم للقتال في ميدان المعركة، وقرر التجار مقاطعة البضائع الأمريكية والبريطانية مقاطعة كاملة، كما بدأت المؤسسات التجارية ورجال الأعمال سحب ودائعهم من المصارف البريطانية والأميركية ... وجمع المواطنون تبرعات مالية كبيرة، ومواد غذائية وأدوية أرسلت كلها إلى الأردن وسورية، وسافرت بعثة صحية تضم عدداً من الأطباء والممرضين، ومعها كمية كبيرة من الأدوية لإسعاف الجرحى في الأردن وسوريا.

ولم تتخلف إمارات الخليج العربي عن النهوض بواجباتها شعوباً وحكاماً، وهي ما تزال رازحة تحت النفوذ الأجنبي، فقامت بما تستطيع من واجبات النضال العربي ... ففي دبي، على سبيل المثال، أرسل المواطنون برقية إلى الملك فيصل يطلبون فيها السماح لهم باجتياز الأراضي السعودية من إمارة دبي للوصول إلى جبهات القتال ... وقامت تظاهرات ضخمة في الشوارع استنكاراً للتواطؤ الأمريكي البريطاني في مساندة إسرائيل، واتجه المتظاهرون إلى مبنى البنك البريطاني وأشعلوا النار فيه.

وفي أبو ظبي، أمر حاكمها الشيخ زايد بن سلطان شركات النفط العامة في بلاده عدم تحميل ناقلات النفط المتوجهة إلى بريطانيا والولايات المتحدة ... وفي البحرين أصدر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين أمراً إلى شركة نفط البحرين بوقف جميع عمليات شحن ناقلات البترول . وتناولت بريد لبنان ...

وفي لبنان تضافرت الحكومة والشعب في القيام بالواجب اللبناني ... ولبنان على الدوام يؤدي للقضية الفلسطينية كل قدراته السياسية والعسكرية، وإن كان لا يملك منها إلا القليل .. وذنبه أنه رضي أن يكون دولة صغيرة، كالدول العربية الصغيرة الكثيرة !!

ففي الخامس من حزيران، أعلن رئيس الجمهورية السيد شارل حلو أن " المعركة التي يخوضها العرب ضد العدوان الصهيوني يتوقف عليها مصير لبنان والبلاد العربية .. وأذاع السيد رشيد كرامي رئيس الوزارة خطاباً قال فيه : " نحن نعتبر أن هذه المعركة هي معركة لبنان " ... واجتمع مجلس النواب في جلسة طارئة قرر فيها بالإجماع إعطاء الحكومة صلاحيات استثنائية لتنسيق العمليات العسكرية بين القوات اللبنانية والعربية بما في ذلك دخول قوات عربية إلى الأراضي اللبنانية .. وأذاعت قيادة الجيش اللبناني بلاغاً دعت فيه " الفلسطينيين " المقيمين في لبنان أن يسجلوا أسماءهم من أجل تطويعهم لمعركة التحرير"، ووقعت مناقشات جوية بين الطائرات الإسرائيلية واللبنانية ... ولم يدخر الشعب في لبنان جهداً في مساندة النضال العربي، شباباً وطلاباً، ونساء ورجالاً، في جمع الإعانات والأغذية والأدوية وإذكاء الروح الوطنية ...

وفي الثامن من شهر حزيران شهدت بيروت اجتماعاً طارئاً لرؤساء غرفة التجارة والصناعة والزراعة في البلدان العربية اتخذوا فيه مقررات هامة " بفتح الجبهة الاقتصادية العربية ضد الاستعمار ... فيما يختص بالبترول والتعامل المالي ، والنقل وسائر الجوانب الاقتصادية الأخرى".

وتناولت بريد السودان .. وفي السودان وجه الرئيس إسماعيل الأزهري في الخامس من حزيران خطاباً إلى الشعب السوداني، يصح أن يكون نموذجاً لخطاب الملوك والرؤساء ... وخير ما فيه إيجازه، وقال في نصه الكامل ما يلي : " لقد انفجر البركان العربي التائر أثر الهجوم الإسرائيلي على الوطن العربي وبدأت بذلك مرحلة جديدة في نضال العرب تتسم بالمسؤولية الكبرى

الملقاءة على عاتق كل عربي .. إنها الزحف المقدس نحو العدو وتمزيق كيانه
وسحق وجوده والقضاء عليه قضاء ثورياً وأبدياً..."

وابلغ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان الجمعية التأسيسية " أن السودان قد أعلن الحرب على إسرائيل، وأن القوات المسلحة السودانية ستتجه إلى الجبهة المصرية للاشتراك في المعركة " .. وقامت مظاهرات شعبية صاخبة في شوارع العاصمة تندد بالعدوان الإسرائيلي، واستخدم البوليس الغاز المسيل للدموع حين توجه المتظاهرون نحو سفارة الولايات المتحدة.

وفي اليوم السادس من حزيران قرر مجلس الوزراء السوداني تحويل أرصده المالية المودعة في البنوك البريطانية إلى البنوك السويسرية كما قرر اتحاد العمال السوداني الامتناع عن شحن أو تفريغ أي سفينة أو طائرة بريطانية أو أمريكية في موانئ ومطارات السودان.

وفي السابع من حزيران أغلقت السلطات المسؤولة مطار الخرطوم في وجه الطائرات الأمريكية والبريطانية وحظرت عليها التحليق في الأجواء السودانية .

والواقع أن كتائب من الجيش السوداني قد وصلت إلى الجبهة المصرية واشتركت في المعركة ... ولم يستطع السودان حكومة وشعباً أن يقدم للمعركة أكثر مما قدم في ظروفه الاقتصادية الصعبة، ومتاعبه في الجنوب وأزمة العطش .. ويا عطشي والماء يجري!!

ووصلت إلى بريد اليمن، فقرأت بيان المشير عبد الله السلال " بإعلان الحرب على إسرائيل " وكان اليمن في حرب مع غير إسرائيل ... ومع هذا فلم يسع المشير عبد الله السلال إلا أن يعلن فتح مكاتب للتطوع .. وحث شعب

الجنوب العربي في إذاعة خاصة من راديو صنعاء على مهاجمة القوات
والمنشآت البريطانية حيثما وجدت.

ثم انتقلت بعد ذل إلى بريدي مع الشمال الأفريقي فكانت ليبيا هي
الأولى ... وفي ليبيا كان الشعب هو الذي يقود الحكومة ... فما من قرار
اتخذته الحكومة الليبية إلا وكان الشعب هو الدافع والحافز، ففي الخامس من
حزيران اجتاحت تظاهرات ضخمة المدن والقرى في ليبيا، وكان المتظاهرون
يهتفون بسقوط الاستعمار والصهيونية، ويعلنون عن استعدادهم لخوض
المعركة، وتجمهر ألاف المواطنين أمام مراكز المحافظات لقيد أسمائهم في
سجل المتطوعين ... وعم الحماس صفوف الجيش الليبي وبدأت وحداته
بالاستعداد للتحرك من طرابلس وبنغازي في طريقها إلى الجمهورية العربية
المتحدة.

وكانت الحكومة الليبية تحت ضغط الشعب قد أرسلت في الخامس من
حزيران برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر تقول فيها : " نؤكد لفخامتكم
باسمنا وباسم البطولة والشعب الليبي موقفنا الصامد إلى جانبكم في خوض
معركة البطولة والشرف والتحرير والعودة وقد صدرت التعليمات إلى قواتنا
بدخول الجبهة الأمامية وأن توضع تحت تصرفكم ورهن إشارتكم نؤكد تأييدنا
الصادق واستعدادنا لتسخير كافة الإمكانيات لمساعدتكم والتضحية بكل ما
يفرضه علينا الواجب القومي المقدس .. " وقد تحركت القوات الليبية فعلاً في
اتجاه القتال " الجبهة الأمامية " ثم عادت إلى قواعدها بعد أن توقف القتال!!
وفي الثامن من حزيران اشتدت المظاهرات في طرابلس وتعرض
الشباب لعدد من الأمريكيين الذين كانوا في طريقهم إلى القاعدة الأمريكية، وبلغ
عدد المتطوعين ستة آلاف انخرط ألاف منهم في معسكرات تدريبية .. واحتل

عدد من الطلبة الليبيين دار السفارة الليبية في روما، ورفعوا اللافتات على نوافذها وشرفاتها، منددين بالولايات المتحدة، محتجين على حكومتكم وتخاذلها في النضال العربي ... كما أبرق الاتحاد العام للطلبة الليبيين في باريس بدعوة الحكومة باتخاذ موقف حازم إزاء الولايات المتحدة " وإلا فإنهم ينفذون قراراتهم بإحراق السفارات الليبية في كل أنحاء العالم" .

وفي اليوم التاسع من شهر حزيران تظاهر أكثر من عشرة آلاف شخص في طرابلس احتجاجاً على التواطؤ الأمريكي البريطاني، وتكاثرت طلبات التطوع على مكتب منظمة التحرير، وغادر الفوج الأول من المتطوعين الليبيين ومعهم ثمانية عشر طبيباً .. ووصلت حملة التبرعات إلى مليوني جنيه لبيي ... وامتنع العمال الليبيون عن تفريع البواخر الأمريكية والبريطانية في مينائي طرابلس وبنغازي ...

وكان بريد تونس طريفاً ... ولا تخلو المعركة من الطرائف.. في تونس تحرك الشعب أولاً، وتحرك الرئيس القائد المجاهد ثانياً!!.. ففي الخامس من حزيران، وما أن انتشرت أخبار العدوان الإسرائيلي بين صفوف الشعب حتى انطلقت التظاهرات تملأ شوارع العاصمة، وفصد الألاف إلى السفارتين الأمريكية والبريطانية فاقتموهما وحطموا الأثاث والنوافذ والأبواب، ومزقوا الأوراق، وبدت العاصمة كأنها في ساحة حرب.

ووصلت غضبة الشعب بكل تفاصيلها وأخبارها إلى الرئيس بورقيبة فلم يسعه إلا أن ينادي بما ينادي به الشعب، فخطب في الخامس من حزيران خطاباً ثورياً لو شاء الفلسطينيون أن يأتوا بمثله لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ..

ونسى الرئيس بورقيبة دعوته السابقة في عام 1965 للصلح مع إسرائيل، وعدم جدوى الحرب والقبول بالأمر الواقع⁽¹⁾ فقال في خطابه: " اليوم وقد جد الجد وأخذ الكفاح طوره الجدي من أجل الحق والعدل والسلم تقف تونس شعباً وحكومة في صف شقيقاتها من أجل تحرير فلسطين التي اغتصبت أرضها وشرد أبناؤها ... وقد وضعنا الجيش من الآن على أهبة الاستعداد للاستجابة لكل ما يصدر إلينا من إخواننا العرب سواء كان الأمر يتعلق بالرجال أو العتاد أو الأخصائيين .. كمساهمة فعالة في المعركة ... ". وهكذا انقلب الرئيس بورقيبة على آرائه وعلى فلسفته، بل على البورقيبية بأسرها !!

وسار الرئيس بورقيبة خطوة أخرى على طريق " المعركة " فأمسك بالتلفون وتحدث إلى الرئيس عبد الناصر معرباً عن تأييده، باسم تونس حكومة وشعباً، لموقف الجمهورية العربية المتحدة، " وأن الجيش التونسي على أتم الاستعداد لخوض المعركة إلى جانب الدول العربية الشقيقة ".

وسارت وحدات من الجيش التونسي في شوارع العاصمة، ليثبت الرئيس بورقيبة أنه جاد في خوض المعركة ... وابتهجت الجماهير ونثروا الزهور على الجنود وسط مظاهرات بالغة من السرور والحماسة، وتحركت الوحدة التونسية في اتجاه الحدود ...

وفي اليوم التاسع من شهر حزيران أصدر مجلس الأمن قراره بوقف إطلاق النار ... فعادت القوات التونسية من الحدود .. وأعلن الرئيس بورقيبة موافقته على وقف إطلاق النار، قبل أن يبدأ بإطلاق النار ...

كان هذا في الوطن التونسي، أما في الخارج، فقد كان الكلام التونسي مخالفاً لرغبات الشعب التونسي المجاهد ... فقد أعلن الحبيب بورقيبة الابن،

(1) أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء.

وزير الخارجية التونسية في أمريكا، بعد اجتماعه مع دين راسك وزير الخارجية الأمريكية، أنه " يعتذر عن التظاهرات التي قام بها الشعب في تونس وأن المشاغبين سيقدمون إلى المحكمة العسكرية ليلقوا جزاءهم...

وكان يريد المغرب مثل بريد تونس ... حذوك الرأس بالرأس!!

وجرى في المغرب ما جرى في تونس ... فما أن علم الشعب المغربي

بأنباء المعركة حتى تنادى الشعب في المدن والقرى، إلى التظاهرات وسار آلاف المواطنين إلى دواوين الحكومة يطالبون بالتطوع والمساهمة في الحرب، وبدأت حركة المقاطعة للبضائع الأمريكية والبريطانية، وامتنع العمال عن تفريغ البواخر الأمريكية في ميناء الدار البيضاء، رغباً عن أنها كانت محملة بالقمح إلى المغرب .. إلى بطون الشعب ...

وفي غمرة هذا التحرك الشعبي، تحرك الملك الحسن الثاني وأمر بأن

تتحرك القوات المغربية... فجمعها وخطب فيها قائلاً ... " كنا أعلننا رسمياً

موقفنا بأننا مستعدون لأن نذهب ونحارب ونقاتل بجانب إخواننا العرب، وها هو هذا اليوم قد وصل، وها هي الساعة قد حانت، وها هي أفواج من قواتنا الملكية المسلحة ستتوجه اليوم إلى بلاد الشرق الأوسط لتقف بجانب شقيقاتها القوات المسلحة العربية".

ولم تكد القوات المغربية تتحرك إلى " الشرق الأوسط" حتى أصدر

مجلس الأمن قراره بوقف إطلاق النار ... فعادت القوات المغربية إلى ثكناتها،

وكفى الله المؤمنين القتال ..

وكان آخر ما بقي من البريد الجزائري ...

فإذا به يعوض عن تقاعس حكام العرب في تونس وليبيا والمغرب
ليسجل صفحة مشرفة في تاريخ النضال العربي، وليثبت أن الثورة الجزائرية ما
تزال منطلقة إلى تحقيق أهداف جديدة في الوطن العربي.

استيقظ الشعب الجزائري على إذاعته في صباح الخامس من حزيران،
وهي تنقل أخبار الهجوم الإسرائيلي على مصر ... وكما فعلت الجماهير
العربية في كل أقطارها، هبَّ الشعب الجزائري في مظاهرات صاحبة تنادي "
ويلسون سفاح"، "جونسون سفاح" واقتحم المتظاهرون المراكز الثقافية الأمريكية
والبريطانية، فحطموا الأبواب والنوافذ وفرقوا الأثاث والأوراق، ولم يكن يتمكن
البوليس من السيطرة على الموقف إلا بصعوبة بالغة ...

ولم يخطب الرئيس الجزائري العقيد هواري بومدين، لا في اليوم الأول،
ولا في اليوم الثاني من المعركة، وكل ما فعله أنه اتصل تلفونياً في الخامس من
حزيران بالرئيس عبد الناصر، مؤكداً وقوف الجزائر حكومة وجيشاً وشعباً في
المعركة ... وبدأ التنفيذ...

في اليوم الخامس كانت ثمانية وأربعون مقاتلة جزائرية من طراز ميج
تشق طريقها في الأجواء العربية فوق تونس ... وليبيا والصحراء الغربية،
ووصلت إلى مهابطها في الميدان، على أرض الجمهورية العربية المتحدة...
وفي اليوم السادس أوقفت الجزائر النفط عن الولايات المتحدة وبريطانيا،
ووضعت جميع شركات النفط الأجنبية تحت إشراف الدولة ... ووجهه راديو
الجزائر مناشدة إلى ليبيا والسعودية أن تقطع النفط عن أمريكا وبريطانيا ..
وأعلنت الحكومة الجزائرية عن افتتاح "صندوق الحرب" داعية الجزائر إلى
التبرع...

21 وفي اليوم السابع أفلعت أسراب جوية جزائرية من طراز ميج
للاشتراك في المعركة .. وفرضت الحكومة الجزائرية حظراً فورياً على جميع
الصادرات إلى الولايات المتحدة وبريطانيا .. واستمرت الجزائر في إرسال قواتها
المسلحة الجوية والبرية إلى ميدان المعركة .. واشتركت فيها منذ وصولها إلى
حين توقف إطلاق النار في الجبهات العربية .. وبقيت القوات الجزائرية مرابطة
في الجبهة المصرية تنتظر استئناف القتال .. بعد أن توقف القتال ...
فرغت من البريد وأخباره، الحبيبة منها والبغيضة، يتنازعي عاملان
متباينان .. عامل الإعجاب بهذه الأمة، وعامل النقمة على حكامها ...
لقد كان بريدي صورة مصغرة لما كان يدور في الوطن العربي من
الخير والشر، من الإقدام والإحجام، من الجود والشح، من الإخلاص واللؤم، من
السمو والدنو ... والمواطن العربي يعرف من أصحاب الفضائل، ومن الغارقون
في الرذائل ...
وتركت البريد جانباً ... وثار السؤال الذي يتجدد ويتجدد مع الأيام
والأعوام .. سألت نفسي : ما هو سبب الهزيمة الكبرى التي حلت بنا ...
تعددت الإجابات في نفسي .. وتنوعت ... السياسي والعسكري
والاجتماعي والاقتصادي.
ودخل في هذه الإجابات: الوضع الدولي، ومعه الأمريكي والموقف
السوفيتي ...
ولكنني استبعدت أن تكون هذه الإجابات مجتمعة أو منفردة هي السبب
الأول .. أبو الأسباب وأم الأسباب، عندي هو الكثرة العربية المشتتة، المبددة،
المتزهلة .. ورحت أحصي وأقارن
الأمة العربية أكثر من الشعب " الشعب الإسرائيلي " بخمسين مرة ...

الجيش العربية أكثر من الجيش الإسرائيلي بسبع مرات ...
الطائرات العربية أكثر من الطائرات الإسرائيلية بخمس مرات ...
المصفحات والدبابات العربية أكثر من المصفحات والدبابات الإسرائيلية
بست مرات ...

والصواريخ العربية أكثر من الصواريخ الإسرائيليّة بعشر مرات ...
والقوات البحرية أكثر من الصواريخ الإسرائيلية بعشر مرات ...
البتروال العربي أكثر من البتروال الإسرائيلي بألف مرة
والحكام العرب أكثر من الحكام الإسرائيلي بثلاث عشرة مرة !!
ولا يحسبن المواطن العربي أن هذه الأرقام من باب المبالغة التي
تصنعها آلام الهزيمة .. إنها أرقام صحيحة، فليرجع إليها من شاء في كتابات
معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانية، والمراجع العلمية الأخرى.
نحن كثرة مبددة مترهلة ، وإسرائيل قلة موحدة مكتنزة
إنها هذه الكثرة، التي نزهو بها ونعجب بها، وهي سبب الكارثة ...
فالكارثة تكمن في كثرتنا الغارقة في نتن التجزئة وعفن الانفصال، ولو إن كثرتنا
واحدة وجيوشنا واحدة، وقيادتنا واحدة ... لما وقعت الهزيمة الكبرى .. بل لجا
الفتح الأنور، والنصر المؤزر ...

لقد انتصرت إسرائيل لأنها دولة واحدة تحكم سبعين جنسا من الأمم....
ولقد انكسرتنا لأننا ثلاث عشرة دولة تحكم أمة واحدة ...
وهكذا انتصر الواحد، لأنه واحد أحد .. وهكذا انهزم الثلاثة عشر ...
لقد أعجبتنا هذه " الكثرة " فلما جاء يوم المعركة لم تنصرتنا الكثرة،
تماماً كما جرى في غزوة حنين، في أيام الرسوم الكريم ...

وكان ذلك مصداقاً لقوله تعالى " و يوم حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغز عنكم
شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ".
صدق الله العظيم

من موسكو.. أسرار وأخبار

ما أن انتهت حرب الأيام الستة حتى بدأت حرب أخرى...
وكانت هذه الحرب على الاتحاد السوفيتي ... وكان ميدانها الوطن
العربي على امتداده، والمحاربون فيها هم الجماهير العربية، الأميون والمتقفون
...

وفي الوقت الذي كان حكام العرب يدينون فيه أمريكا وبريطانيا
لمساندتهم إسرائيل، كانت جموع الشعب تدين الاتحاد السوفيتي، تحمله جانباً
كبيراً من المسؤولية في الهزيمة الكبرى التي حلت بالأمة العربية ...

وها أنا أستعرض تقارير مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الوطن العربي، وأستعرض كذلك التقارير " السرية " الأسبوعية التي كان يبعث بها السفراء العرب إلى عاصمة عربية لها صلات وثيقة بالاتحاد السوفيتي ... بدأت الحملة على الاتحاد السوفيتي بالتساؤلات عن موقفه منذ أن بدأت الأزمة في أوائل شهر أيار، إلى أن وقعت الحرب في أوائل حزيران ... وكانت التساؤلات ...

- لماذا لم يساعد الاتحاد السوفيتي الدولة العربية كما ساعدت بريطانيا وأمريكا إسرائيل؟..

- إذا كانت الأساطيل البريطانية والأمريكية في البحر الأبيض المتوسط قد ساندت إسرائيل ... فلماذا لم يفعل الأسطول السوفيتي مثل ذلك... لدعم القوات العربية؟..

- لماذا أعلن الاتحاد السوفيتي تأييده لموقف مصر، في سحب قوات الطوارئ الدولية وإغلاق خليج العقبة، ولم يفعل شيئاً حينما وقعت الحرب؟..

- لماذا قام الاتحاد السوفيتي بالضغط على مصر، حتى إلى ليلة الخامس من حزيران، بأن تعمل على ضبط النفس وأن لا تكون البادئة بالعدوان؟..

هذه التساؤلات وغيرها كانت تدور على ألسنة الجماهير في البيوت والمقاهي، والنوادي، والشوارع، وحتى في الطائرة والقطار ... حينما يكون المواطن العربي على سفر، في نزهة، أو عمل...

ولم تكن هذه التساؤلات من باب التجني، فقد كان المواطن العربي طيلة هذا الشهر - آيار - وهو يتابع نشاط الاتحاد السوفيتي منذ بداية الأزمة، إلى نهاية الهزيمة...

كان المواطن العربي يستمع بابتهاج وتقدير إلى تصريحات قادة السوفيت، بتأييد الموقف العربي تأييداً مطلقاً، لا يحتمل أي تأويل أو ريب... وكان المواطن العربي يستمع إلى ما ترده إذاعة القاهرة من أن الرئيس جمال عبد الناصر استقبل السفير السوفيتي في المساء، وفي الصباح... ومرة كل يوم في ذروة الأزمة... وبعد منتصف الليل في ذلك اليوم المشئوم المحموم!!

وكان المواطن العربي، كذلك، يتنفس أملاً وعزماً وهو يستمع إلى وكالات الأنباء تتحدث عن تنقلات الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط، وعبور السفن الحربية السوفيتية من البحر الأسود إلى مضيق الدردنيل، وأصبح عددها عشرين، ثلاثين، أربعين سفينة حربية، محملة بالطائرات، مزودة بالصواريخ...

وجاءت الهزيمة الكبرى ومعها الخيبة الكبرى... فقد خاب أمل الأمة العربية بالاتحاد السوفيتي وتحولت التساؤلات إلى حملة كبرى على الاتحاد السوفيتي.. أقل بقليل من الحملة على " دول العدوان " أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية.. ولكنها كانت حملة قاسية، على كل حال...

بل إن عامة الناس كانوا لا ستغربون موقف " دول العدوان " فإن عداؤها للأمة العربية معروف، ولكن العجيب أن يتخذ الاتحاد السوفيتي، وهو الصديق، موقفاً بارداً جامداً... والصدقة دافئة متحركة... وهكذا كان تحليل الجماهير...

وما من شك أن بعض الأجهزة العربية بعدائها " للروس " مثل
السعودية، كانت تغذي الحملة ضد الاتحاد السوفيتي، ولكن الجماهير العربية
في الدول " التقدمية" كانت تعبر عن استيائها من موقف الاتحاد السوفيتي، بكل
صدق وبراعة ... ومن غير إثارة ولا دعاية ...

وتحولت حملة التنديد والاستياء، إلى تحرش بالروس وبالمؤسسات
السوفيتية في عدد من الدول العربية ... فقد قامت مظاهرات تجاهر باستنكار
موقف الاتحاد السوفيتي، وتعرض الرعايا السوفيت للإهانة، كما تعرض أجنب
من رعايا دول أخرى، ظناً بأنهم من السوفييت ... وقضت سلطات الأمن
الوطنية أياماً عصيبة في حماية السفارات السوفيتية ورعاياها ...

ولا أريد أن أسرد الوقائع والتواريخ فهي كثيرة .. ويكفي أن نعلم، أن
دولة مثل موريتانيا، في أقصى جنوب المغرب الأقصى، قد شهدت عاصمتها،
نواكشوط مظاهرة ضخمة غاضبة كانت تحاول اقتحام السفارة السوفيتية،
والمتظاهرون يهتفون بسقوط روسيا، وهم يحملون اللافتات الوطنية، وصوراً
كبيرة للرئيس عبد الناصر ... (1967/6/11).

ولقد كانت هذه المشاعر طبيعية في الوطن العربي ... بل إنها كانت
عفوية انطلقت من غر تحريض ولا إثارة ... وكانت الهزيمة بكل مقدماتها
ونواتجها هي الحافز الأول والأخير ...

وإذا كانت هذه العفوية محتاجة إلى دليل، فإننا نستطيع أن نجده في
السيل المتدفق من النكات " والقفشات " التي انطلقت على أفواه المصريين وقد
عبروا عن أوجاعهم بضحكاتهم .. وما زالت الأحياء الشعبية تردد هذه القفشات
إلى يومنا هذا !!

ومما غذى هذه الحملة أن الدوائر الاستعمارية كانت تغمرها موجة من الفرح الأكبر تمجيداً لانتصار إسرائيل " الأسطوري " ... فقد اعتبرته نصراً لها وهزيمة للاتحاد السوفيتي، حتى أن مراسل جريدة " كرينتش سيانس مونيتور " في واشنطن قال في رسالة مطولة عن حرب الأيام الستة: " إن الرئيس جونسون قد خرج الرابح السياسي من أزمة الشرق الأوسط، فقد حيل دون انتشار الحرب، ولم تقع مجابهة بين الدول النووية وانتصرت إسرائيل ربيبة أمريكا انتصاراً رائعاً، وأصيب الاتحاد السوفيتي بالذل والهوان.. " (1967/6/10). وكان على الدول العربية، مصر وسوريا والعراق بوجه خاص، أن تزحزح هذا الكابوس عن صدر الاتحاد السوفيتي، وبدأت الصحف العربية تشيد بالاتحاد السوفيتي، وتشرح مواقفه السابقة، وتشد أنظار الجماهير العربية إلى المجهود الكبير الذي سيقدمه الاتحاد السوفيتي على الصعيدين العسكري والسياسي ...

وعاد استنكار الجماهير لموقف السوفييت إلى حدته بعد أن كشفت وكالات الأنباء أن اتصالاً مباشراً على الخط الساخن، بين البيت الأبيض والكرملين، قد تم بين الرئيس جونسون وقادة الاتحاد السوفيتي بعد ساعات قلائل من نشوب القتال في الشرق الأوسط، وأن الجانبين قد اتفقا على حصر النزاع في أضيق نطاق ممكن .. ثم ما أعلنته وكالات الأنباء بعد ثلاثة أيام أن الاتصال المباشر للمرة الثانية قد تم بعد وقف إطلاق النار الذي أصدره مجلس الأمن في التاسع من حزيران.

وعادت المظاهرات من جديد في عدة أقطار عربية، وكان أشدها في الجزائر حيث قامت مسيرات شعبية تستنكر موقف الاتحاد السوفيتي، مما دعا الحكومة الجزائرية إلى اتخاذ احتياطات أمن مشددة لحماية السفارة الروسية، ولم

يجد الرئيس الجزائري العقيد هواري بومدين مندوحة عن إصدار بيان أذيع في الراديو والتلفزيون دعا فيه الدول الشيوعية إلى " اتخاذ موقف حاسم، والى تحمل مسؤولياتها أمام العالم العربي " (1967/6/10).

ولم يكن للدول العربية خيار آخر ... لم يكن لها بدٌ في صداقة الاتحاد السوفيتي ... فقد نزلت بالأمة العربية هزيمة كبرى، وإن كانت قد سميت " بالنكسة "، وألحقت خسائر فادحة بالجيشين المصري والسوري، في السلاح، والمعدات، والرجال ... وخسارة الطيارين لا تقل خطراً عن خسارة الطائرات ... كذلك لم يكن أمام الاتحاد السوفيتي، دولياً وعربياً، وحتى أمام الشعب السوفيتي، إلا أن يلتزم بإعادة بناء الجيشين المصري والسوري، واستئناف تقديم العون الاقتصادي والسياسي للقاهرة ودمشق ...

وأخذت الصحف العربية، وجريدة الأهرام بصورة خاصة، تنتشر بالعناوين المختلفة الألوان عن حركة النقل الجوية والبحرية التي تحمل مختلف الأسلحة إلى مصر وسوريا ... وتوحي بين السطور أن المعركة مقبلة، مقبلة .. بضعة أسابيع، أو بضعة أشهر على الأكثر .. وأن الفضل في ذلك يرجع إلى الاتحاد السوفيتي ...

وأذاع الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السورية بياناً تناول فيه ظروف حرب الأيام الستة، وأثنى على موقف الاتحاد السوفيتي خلال المعركة مع إسرائيل (1967/5/13).

وخرجت من موسكو الصيحة دفاعاً عن موسكو، ولكن بتوجيه الاتهام إلى الجهات العربية، فقد كتب الصحفيان السوفيتيان : بيلاييف وبرياكوف .. " أن أهم أسباب نكسة مصر العسكرية ترجع إلى أن القوات المصرية فيها عدد كبير من طراز رجال الأعمال .. وأن القوة الجوية هي معقل الطبقة

الأرستقراطية ... وأن الطيران المصري هو السلاح المحبب لأبناء العائلات
الغنية ... " (1967/6/30).

ومع هذا فقد ظلت أصوات كثيرة في الوطن العرب تبدي استياءها
لموقف الاتحاد السوفيتي ... ومن ذلك أن أحد أعضاء الجمعية التأسيسية في
السودان طالب بقطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي معلناً " أن موقف موسكو
أثناء الحرب بين العرب وإسرائيل ليس أقل خطراً بنتائجه من موقف بريطانيا
وأمریکا " (1967/6/13).

ولكن ما هو أهم من التنديد، أن الأمة العربية قد هالها أن تهزم على
تلك الصورة المروعة في حرب خاطفة صاعقة، وهبت الجماهير تطالب
باستئناف القتال ... ولكن ...

ولكن، أتى للدول العربية أن تستأنف القتال وقد تحطم أكبر جيوشها،
الجيش المصري، في سيناء وفقد معظم معداته، مضافاً إلى عشرين ألف شهيد،
مائتان وخمسون منهم سقطوا أثناء القتال، والباقيون أثناء الانسحاب .. وهذه
شريعة الحرب : المقاتلون أكثر حظاً في الحياة ... والمنسحبون أكثر تعرضاً
للموت ...

وكان لا بد أن تُقَرع أبواب موسكو، وتم اتصال تلفوني بين القاهرة
والجزائر، سافر على أثره وبصورة مفاجئة، الرئيس الجزائري هواري بومدين
للاجتماع بالزعماء السوفييت، لمطالبتهم بتقديم معونات عسكرية عاجلة إلى
مصر وسوريا. (1967/6/11).

ووصل الرئيس بومدين إلى موسكو في زيارة قصيرة امتدت نهارين
وليلة، ثم عاد إلى الجزائر ... وجاء وزير خارجيته السيد عبد العزيز بوتفليقة

إلى القاهرة ليطلع الرئيس عبد الناصر على ما دار بين الرئيس الجزائري
والزعماء السوفييت (1967/6/14).

وحدثني الوزير الجزائري، وأنا أزوره في السفارة الجزائرية في القاهرة، أن
الرئيس بومدين قد كاشف القادة السوفييت بمشاعر الاستياء التي تعم الوطن
العربي إزاء موسكو ... وأن مصلحة الصداقة العربية الروسية تفرض أن تكون
موسكو أكثر تصلباً في تأييدها للدول العربية ... وأن القادة السوفييت قد التزموا
بصورة قاطعة بأن يقدموا لمصر وسوريا جميع الأسلحة المطلوبة لإعادة بناء
جيشيهما، وللعمل بصورة حازمة على إزالة آثار العدوان ... وكان على
المستقبل وحده أن يكشف صدق هذا الالتزام ... وهذا الكلام !!
والواقع أن الاتحاد السوفيتي قد أدرك آثار الهزيمة العربية على
المصالح السوفيتية في الشرق الأوسط ... وأدرك معها منذ البداية أنه يتحمل
جانباً من المسؤولية، في هذه الهزيمة ...

ففي الثامن من شهر حزيران، حين كانت القوات الإسرائيلية تخترق
الجبهة السورية، عقد اجتماع قمة سري في موسكو اشتركت فيه ثماني دول
شيوعية في أوروبا الشرقية ومنهم يوغوسلافيا، وقد تقرر في هذا الاجتماع
تعويض مصر وسوريا عن خسائرها في الطيران بطائرات ميج من نوع جديد،
ترسل عن طريق يوغوسلافيا .. وهذا ما نقله إليَّ السفير السوفيتي في القاهرة
...

ولكن ما هو أهم من ذلك، كما جاء في تقرير أحد السفراء العرب في
موسكو، " أن المارشال جريشكو وزير الدفاع السوفيتي ذكر في الاجتماع أن
سلفه، المارشال ماينوفسكي الذي توفي في شهر آذار كما متأثراً بتقارير مغلوبة
عن ميزان القوى في الشرق الأوسط بين إسرائيل والعرب، وأن ذلك حمله على

تحديد نوع معين وعدد معين من الطائرات التي وافق على إرسالها إلى الدول العربية ... وأن ذلك كان من أسباب الهزيمة العربية ...". ويضيف التقرير العربي أن هذا الكلام قد يكون من " باب إلقاء التبعة على الموتى في سبيل الدفاع عن الأحياء ...".

- 9 وكان من الأحداث التي أحنزت المواطن العربي في ذلك اليوم (حزيران) أن الاتحاد السوفيتي قد قرر قطع علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل، فقد أذاعت وكالة تاس أن وزارة الخارجية السوفيتية سلمت إلى سفير إسرائيل مذكرة تقول فيها : " إن القوات الإسرائيلية تجاهلت قرار مجلس الأمن ولا تزال تستولي على الأراضي السورية وتواصل تقدمها باتجاه دمشق .. وإن الاتحاد السوفيتي سيتخذ بالاشتراك مع الدول الأخرى المحبة للسلام عقوبات ضد إسرائيل .. وإن الحكومة السوفيتية تعلن أنه بالنظر إلى استمرار عدوان إسرائيل على البلدان العربية ... فإنها اتخذت قراراً بقطع العلاقات الدبلوماسية بإسرائيل..". وتبعت في هذا القرار دول أوروبا الشرقية...
- لقد كان هذا الحدث محزناً ... لقد بدا فيه تماماً أن إسرائيل قد وصلت مرتبة دولة تستحق فيها أن يقاطعها الاتحاد السوفيتي ومعه دول أوروبا الشرقية ... وكان محزناً حقاً لأن الاتحاد السوفيتي لم يعد كما كان في عهد خروشوف أيام العدوان الثلاثي على مصر، قادراً أو راعياً في التهديد والوعيد، لحمل أمريكا، لتحمل بالتالي إسرائيل بالجلء عن الأراضي المصرية ...
- ولكن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل لم يثر اهتمام الرأي العام العربي ... وكان على الاتحاد السوفيتي أن يتخذ خطوة ما تصون ماء وجهه أمام الأمة العربية، بل أمام شعوب الاتحاد السوفيتي بذاتها...

وما عسى أن تكون هذه الخطوة .. الحرب ... وهذه مستبعدة لسببين
لأن الاتحاد السوفيتي لا يرغب فيها .. ولأن الدول العربية غير قادرة عليها، ولا
مستعدة لها، وقد خرجت بالأمس مكسرة محطمة ... وهكذا كان تعليل الاتحاد
السوفيتي .. وهكذا كان موقفه!!

ولم يبق أمام الاتحاد السوفيتي إلا الأمم المتحدة فهي الملهاة الدولية
الكبرى التي تشغل الرأي العام ... وبعث السيد أندريه جروميكو وزير خارجية
الاتحاد السوفيتي رسالة إلى السيد يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة يقترح
فيها " عقد جلسة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة لبحث الوضع في الشرق
الأوسط ... ولأن إسرائيل تتحدى بصورة فاضحة قرارات مجلس الأمن بوقف
إطلاق النار .. واستولت على مناطق أخرى من أراضي الجمهورية العربية
المتحدة والأردن وسوريا ... وإن الحكومة السوفيتية ترى من الضروري أن تنظر
الجمعية العامة في الوضع الذي نشأ، وإن توافق على قرار يؤدي إلى تصفية
نتائج العدوان، وأن تنسحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة "
(1967/6/12)

وأراد الوزير السوفيتي أن يعطي طابعاً خاصاً للاجتماع الطارئ الذي
يقترحه فذكر في ختام رسالته " أن الوفد السوفيتي إلى الجمعية العامة يضم
كبار رجال الدولة في الاتحاد السوفيتي .." وكانت هذه الإشارة أن الرئيس
كوسيجين سيرأس الوفد السوفيتي ...

وواضح أن هذا الطلب لم يكن أكثر من تظاهرة سياسية، حتى ولو
أقترن بالنجاح بالنهاية، فقد فشل الاتحاد السوفيتي قبل ذلك بأسبوع واحد وهو
يبذل قصارى جهده في مجلس الأمن لاستصدار قرار يدعو القوات الإسرائيلية
للعودة إلى خطوط الهدنة ...

وكان ذلك الفشل، من غير شك، يرجع إلى صلابة أمريكا في تأييد إسرائيل، ورخاوة الاتحاد السوفيتي في تأييد العرب... ذلك أن القيادة الثلاثية الجديدة في الاتحاد السوفيتي - بودجورني، بريجنيف، كوسيجين - قد اختطت لنفسها سياسة جديدة مع الولايات المتحدة تقوم على أساس الملاينة، بدلاً من سياسة المخاشنة التي كان يتبعها الرئيس نيكيتا خروشوف، حين كان على رأس الحكم...

وكان من سوء حظ القضية الفلسطينية أن خروشوف كان غائباً عن مسرح السياسة السوفيتية في حرب حزيران ... وعادت إلى ذاكرة الجماهير العربية تهديداته المرعبة أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 حين أُنذر بأن الصواريخ الروسية ستقصف شوارع لندن، إذا لم تنسحب الدول المعتدية عن الأراضي المصرية...

وأبرق يوثانت بالاقترح السوفيتي بعقد الدورة الطارئة إلى الدول الأعضاء ... فلم يعارض الاقتراح إلا الولايات المتحدة وإسرائيل. وتقرر أن يكون موعد الدورة الطارئة في اليوم السابع عشر من حزيران ... وكان هذا اليوم بالذات هو موعد اجتماع عربي لوزراء الخارجية في الكويت للبحث في العدوان الإسرائيلي، والخطة التي يجب اتباعها " لإزالة آثار العدوان... " وهو الشعار الجديد للأمة العربية بعد الهزيمة...

ولست أريد أن أقف طويلاً أمام هذا الاجتماع العربي، فقد تحدثت عنه في كتابي " حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء"، ووزراء خارجية الدول العربية لم يعطوا لذلك الاجتماع أكثر من نصف يوم ونصف ليلة، هرولوا بعدها إلى الأمم المتحدة ... ليشاركوا في الدورة الطارئة ...

وكان اجتماع وزراء الخارجية أول لقاء عربي بعد الكارثة، وقد سادته جو الهزيمة بدلاً عن العزيمة ... وكان شعار هذا الاجتماع " السياسة الإيجابية ". وكان المنجي سليم رئيساً لوفد التونسي هو قطب السياسة الإيجابية، وتتلخص فلسفته هذه كما شرحها في الاجتماع، بأن على الدول العربية أن تتجنب الحديث عن تحرير فلسطين والتصدي لإسرائيل ... وأن تخاطب العالم الدولي بمنطق التسوية السلمية، ومبادئ التعايش السلمي .. وكان يعاونه في هذا الاتجاه مندوبو المغرب والسعودية والأردن وليبيا* ... وكان المنجي، وهو يشرح أسلوبه في معالجة القضية الفلسطينية ينظر إليّ كمن يستدرجني إلى المباراة ... ويرمي قفازه في وجهي.

ولم أتخلف عن التحدي فاستأذنت بالكلام وقلت :

- لقد افتتحت الدورة الطارئة للجمعية العمومية للأمم المتحدة في هذا اليوم فماذا تأمل منها .. هل تشرح لنا بالتحديد؟.

قال : القضية واضحة وبسيطة ... ونحن في هذه المرحلة لا نبحث قضية فلسطين ... نحصر الأمر في العدوان الإسرائيلي على أراضي ثلاث دول عربية هي أعضاء في الأمم المتحدة .. لقد وقع عليها عدوان واحتلت أراضيها ... نطالب الأمم المتحدة بإزالة العدوان ... والميثاق صريح في هذا الموضوع ... وأخذ المنجي سليم يقلب أوراق ميثاق الأمم المتحدة، وهو يقرأ هذه المادة، وتلك الفقرة ...

قلت : هل تظن أن الأمر بهذه البساطة ... أنت تعالج القضية كما لو كنت تترفع أمام إحدى المحاكم في تونس، وتطالب المعتدي بإخلاء أرض جاره التي اعتدى عليها ... كلنا نعرف الأمم المتحدة جيداً ... ولا أتوقع لهذا الاجتماع

* قبل ثورة العقيد معمر القذافي.

الطارئ أي نجاح ... وإذا صدر أي قرار لصالحنا فلن تذعن إسرائيل ... ومع هذا فقد أصدر مجلس الأمن أول من أمس (14 حزيران) قراراً رقمه 67/237.. (وأخذت أقرأ من أوراقي)، يدعو " حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وخير وأمن سكان المناطق التي كانت مسرحاً للعمليات الحربية، وتسهيل عودة السكان الذين هربوا من هذه المناطق منذ نشوب العمليات الحربية... ".
واستأنفت حديثي قائلاً : ونستطيع أن نضم هذا القرار إلى عشرين قراراً سابقاً صدرت عن الأمم المتحدة بعودة اللاجئين، ولم يعد لاجئ واحد ...
قال : وماذا تقترح إذن ؟.

قلت : مع احترامي الشديد لاجتماع وزراء الخارجية العرب ... فإني ألاحظ أن حقائبكم جاهزة للسفر إلى نيويورك لحضور الاجتماع الطارئ ... قد جئتم إلى الكويت لتكون " محطة ترانزيت " لتسافروا منها إلى الأمم المتحدة ... لقد أصبحت عقولكم في نيويورك ... ويجب أن تبقى عقولنا في الوطن ...
وأراد السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان أن يحسم هذا الحوار فقال : وما هو اقتراحك بالتحديد ...

قلت : اقتراحي أن يستمر اجتماعنا هذا أسبوعاً واحداً ندرس فيه خطة شاملة للتصدي للعدوان الإسرائيلي ... ثم تذهبون بعدها إلى الأمم المتحدة حتى تخطبوا من مركز القوة ... ولكنكم ذاهبون الآن من غير خطة سوى إلقاء الخطاب في الأمم المتحدة ...

فأجاب الرئيس السوداني : والله، هذا الكلام صحيح ... ولكن يظهر أن الوزراء أصبحوا عازمين على السفر..
وتدخل السيد عبد الخالق حسونة وقال : يمكن أن تستأنف اجتماعنا في نيويورك ...

وقال وزيراً المغرب وليبيا ... اجتماع الأمم المتحدة مهم جداً... وقد ذكرت
الأبناء أن الرئيس الكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قد وصل إلى
نيويورك للاشتراك في مناقشات الدورة الطارئة على رأس وفد كبير يضم خمسين
عضواً ...

وأقفل باب المناقشة ... وانتهى اجتماع وزراء الخارجية العرب دون أن
يناقشوا الموضوع الذي اجتمعوا من أجله، وهو البحث في إزالة آثار العدوان ...
وسارعوا إلى السفر إلى نيويورك ليتعاقب المهزومون على منبر الأمم المتحدة
وألسنتهم داوية، ورؤوسهم عالية !!

وكان من آيات " هرولتهم " أن الطائرة التي كانت تقل وزراء الخارجية
العرب أجبرت على الهبوط في أحد مطارات تركيا لأنها لم تبلغ السلطات
التركية مسبقاً بأنها ستحلق بالأجواء التركية، وطلب قائد الطائرة السماح له
بالإقلاع فكان ذلك ... وكذلك يكون حال المغلوب على الأرض وفي الجو!!
وانعقدت الدورة الطارئة في موعدها المحدد (1967/6/17) وازدحمت
قاعات الأمم المتحدة برؤساء الوفود، وكان بينهم عدد كبير من رؤساء
الحكومات ووزراء الخارجية ... وكذلك وصل وزراء الخارجية العرب، لا
تجمعهم إلا الطائرة الواحدة إياها ...

وكان السيد اليكسي كوسيجين على رأس الوفد السوفيتي، كما كان الدكتور
نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السوري على رأس الوفد السوري ... والملك
حسين على رأس الوفد الأردني، فقد وصلا إلى نيويورك ليعرضوا القضية باسم
الأمّة العربية وقد التقيا لأول مرة تحت قبة الأمم المتحدة!!

ولم تكد الجمعية العامة تفرغ من إجراءاتها التمهيدية لعقد دورتها الطارئة،
حتى أطلقت إسرائيل " قنبلتها السياسية " قبل أن يخطب أي رئيس أو وزير أو

سفير ... فقد أعلن الوزير الإسرائيلي ابا ابيان من تل ابيب، وهو يركب الطائرة إلى نيويورك، لمراسل جريدة جروسالم الإسرائيليّة : " أن إسرائيل لن تعود إلى خطوط الهدنة القديمة حتى لو صوتت الجمعية العامة ضد إسرائيل بمائة وأحد وعشرين صوتاً ... وأن الدول الكبرى قد أخطرت بهذا الموقف .."(1967/6/17).

ولم يكن هذا الموقف الإسرائيلي بعيداً عن الموقف الدولي ... ذلك أن الأمم المتحدة إنما هو ملهى نهاري للدول الأعضاء، ويُسمح فيه للسياح أن يتفرجوا عند إلقاء الخطب ... ولكن الدول العربية وحدها هي التي لا تدرك هذه الحقيقة إدراكاً جاداً ومسئولاً !!

وتحت هذا الإنذار الإسرائيلي بدأت الأمم المتحدة مناقشتها ... وكان الرئيس السوفيتي أول المتحدثين، فقرأ خطاباً استغرق إلقاءه قرابة ساعة، فاتهم إسرائيل بالعدوان، " وأن القوات الإسرائيلية لا تزال تواصل احتلالها للأراضي العربية ... وأنه إذا لم تتخذ إجراءات عاجلة لإزالة آثار العدوان فإن الحرب قد تتجدد في أية لحظة ... وأن إسرائيل هي المسؤولة وحدها عن الصراع الأخير، وطالب بسحب القوات الإسرائيلية فوراً ، والتعويض عن الأضرار التي لحقت بمصر وسوريا والأردن، وإعادة جميع الممتلكات والموجودات التي استولت عليها ... ثم اتهم كوسيجين الولايات المتحدة وبريطانيا بتشجيع إسرائيل على العدوان ... وأن أي محاولة لتثبيت العدوان سيكون مصيرها الفشل، وسترتد هذه المحاولات ضد إسرائيل وشعبها على المدى الطويل ... وإن الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يعترف بالاحتلال الإسرائيلي...".

وما أن فرغ الرئيس السوفيتي من خطابه حتى تصدى له الوزير الإسرائيلي ابا ايبان، فهاجم الاتحاد السوفيتي وأعلن أن العودة بالأمر إلى ما كانت عليه قبل الخامس من حزيران، غير مقبولة بالمرة...

وتبعه " التابعان " المندوب الأمريكي اليهودي، جويد برج، والمندوب

البريطاني، فأنكروا الاتهام الذي وجهه كوسيجين إلى حكومتيهما

ولم يحضر الرئيس جونسون مناقشات الأمم المتحدة، ولكنه اختار، في

اليوم نفسه الذي خطب فيه كوسيجين، أن يتحدث في واشنطن داعياً العرب

وإسرائيل إلى معالجة مشكلة الشرق الوسط " بتعقل وإيجاد سلام مستقر، وأكد

أن العودة إلى الوضع الذي كان سائداً في الرابع من حزيران لا يشكل علاجاً

للسلام وإنما يشكل دافعاً جديداً لتجدد القتال .. وأن أطراف النزاع يجب أن

يتوصلوا إلى تسوية المشكلة بأنفسهم ... " ... كلام إسرائيل الحرف بالحرف!!

وهكذا فقد كان كلام جونسون رداً حاسماً على خطاب اليكسي كوسيجين

ومن غير منبر الأمم المتحدة، كما أنه تأييد كامل لإسرائيل، ومن كان له اذنان

في الأمم المتحدة، فليسمع، وليشرب من البحر حتى يشبع !!

ودارت المحادثات وراء الكواليس بين الوزير السوفيتي وغروميكو الوزير

الأمريكي راسك ... وتم الاتفاق إن يجتمع الرئيسان الأمريكي والروسي لتبادل

الرأي ...

وتساءل مسئول عربي كبير عن هذا الاجتماع المقترح في تقريره الذي بعثه

إلى عاصمة عربية صديقة للاتحاد السوفيتي ... " .

" ولم لا ... فقد كان خطاب كوسيجين في غاية الاعتدال والالتزان، ثم ألم

ينجح في الضغط على الرئيس عبد الناصر بأن لا يكون البادئ بالعدوان .. أو

لم يساهم في حصر النزاع العربي الإسرائيلي في نطاقه المحلي .. كما يقضي
الوفاق الأمريكي السوفيتي ...".

وتم اللقاء بين الرئيسين الأمريكي والسوفيتي في " جلاسبرو"، ولم يرشح
الكثير إلى الصحف عن هذا اللقاء سوى ما صرح به جورج كريستيان الناطق
الصحفي بلسان البيت الأبيض من " أن الطرفين متفقان على أن إسرائيل
موجودة كدولة، ويجب أن تبقى، وأن الرئيسين تبادلا وجهات النظر حول النزاع
العربي الإسرائيلي .. ". (1967/6/24).

ثم جاء اللقاء الثاني والأخير بين الرئيسين الأمريكي والسوفيتي وكل ما
قالته الصحف الأمريكية إنهما تابحا بشأن الشرق الأوسط ومشكلة الفيتنام
والمعاهدة المقترحة لحظر انتشار الأسلحة النووية .. وأنه لا يتوقع أن تحرز
المحادثات أي نجاح بصدد الشرق الأوسط. (1967/6/25).

وعقد الرئيس السوفيتي كوسيجين مؤتمراً صحفياً في مقر الأمم المتحدة، ردد
فيه فحوى خطابه الذي ألقاه في الأمم المتحدة بشأن انسحاب القوات الإسرائيلية
من الأراضي العربية المحتلة .. " وأن محادثاته مع الرئيس الأمريكي جونسون
لن تؤثر على علاقات الاتحاد السوفيتي الطيبة مع الدول العربية ... ". وكما
جاء في تقرير المسئول العربي الكبير إلى حكومته فإن البيانات التي أدلى بها
الرئيس كوسيجين في مؤتمره الصحفي " كانت فاترة كالخطاب الذي ألقاه على
الجمعية العامة، كما أنه لم يثر اهتمام الصحافة العالمية، وقد عاد الرئيس
السوفيتي إلى موسكو كما جاء دون أن يشعر أحد في الأمم المتحدة أنهم في
دورة طارئة ...".

وقد اجتمع الرئيس كوسيجين أثناء وجوده في نيويورك بعدد من رؤساء
الوفود العربية، فقد التقى بالرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي،

وبالدكتور محمود فوزي مساعد رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وبرئيس وزراء السودان السيد محمد أحمد محجوب، وتحدث إليهم طويلاً عن موقف الاتحاد السوفيتي وعن اتصالاته بالرئيس جونسون.

ووصل تقرير آخر من المسئول العربي الكبير إلى حكومته، يقول فيه " ... اجتمعت بالرئيس السوفيتي السيد اليكسي كوسيجين مرتين قبل محادثاته مع الرئيس جونسون وبعدها، ولا يخرج ما قاله لي عما قاله في خطابه في الأمم المتحدة ... ولا عما نعرفه عن موقف الولايات المتحدة ... لقد أكد موقف التأييد لنا، كما أكد أن الولايات المتحدة تصر على المفاوضات المباشرة بيننا وبين إسرائيل، والوصول إلى تسوية سلمية تنتهي بمعاهدة سلام .. أما خطاب الرئيس كوسيجين فقد كان عادياً ولم يترك أثراً قوياً في نفوس الأعضاء، وكانوا يتوقعون من الاتحاد السوفيتي وهو الذي اقترح انعقاد الدورة الطارئة موقفاً أكثر صلابة ... ولقد سألت الرئيس كوسيجين عن انطباعاته العامة فقال: " يجب أن نستمر بالضغط الدولي على الولايات المتحدة، وأنه ليس أمامنا في الوقت الحاضر إلا الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وأن المفاوضات مع إسرائيل بشكل أو آخر للوصول إلى تسوية سلمية متفق عليها، أمر لا مفر منه إن لم يكن اليوم فغدا .. وأن أحدا لا يمكن أن يجازف في حرب نووية من أجل مشكلة الشرق الأوسط ... وأنتم تعلمون أن هذا هو موقفنا في فيتنام، نؤيدها ولكن مع تجنب الاصطدام العالمي ... ". هذا هو موقف الأصدقاء، أما موقف الأعداء فهو معروف لا يحتاج إلى إيضاح، والرئيس جونسون لا يخفي شيئاً من سياسته فهو يتحدث بصراحة في خطبه ومؤتمراته الصحفية .. ولم يبق لنا، بعد الله، إلا الاعتماد على النفس والعمل العربي الموحد ...".

ولقد جاء هذا التقرير إلى العاصمة العربية ليؤكد من جديد الصورة التي كنت أتخيلها عما يجري في الأمم المتحدة في هذه الدورة الطارئة، فقد عشت فيها سنين طويلة من عمري، وما أطيّب الأمم المتحدة للذين يريدون الترفيه لبضعة أسابيع في العام!!

وكذلك فإن خطاب الرئيس كوسيجين لم يعجب عناصر قيادية في الحزب الشيوعي السوفيتي، فقد كشف تقرير أرسله سفير عربي إلى حكومته، وهو معروف بعلاقته الوثيقة بالأوساط السوفيتية، يقول: " لقد أصدرنا بياناً باسم جميع البعثات العربية في موسكو نشكر فيه الاتحاد السوفيتي على تأييده لقضيتنا، وقد أعربت دوائر وزارة الخارجية السوفيتية عن شكرها لنا، ولكنها كانت تريد بياناً أقوى، ويظهر أن التملل يسود أوساط الحزب الشيوعي، وعسكريين وسياسيين، بسبب النكسة ... وحينما عاد الرئيس كوسيجين من نيويورك قدم تقريراً عن مباحثاته مع الرئيس لندون جونسون، وعلمت أنه جرت مناقشة حادة حول هذا التقرير، فقد انتقد عدد من الأعضاء ضعف القيادة في معالجة الموقف السياسي وكنت ذكرت لكم في تقريري السابق أن هذه الحملة بدأت منذ مدة، وأن القائمين بها وهم الذين أصبحوا يعرفون همساً بصقور الحرب، يريدون أن يكون الاتحاد السوفيتي أشد تأييداً للعرب ... وكان من نتائج هذا الخلاف أن السيد نيقولاى بجورتشيف أمين لجنة الحزب الشيوعي في موسكو قد أقصي عن منصبه، ولا نستبعد إقصاء غيره من الذين يحملون مثل أفكاره ...".

وجاءتني التقارير من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في مناقشات الأمم المتحدة، ومعها محاضر الجلسات التي تتضمن خطب الوفود ومشروعات القرارات. وخطب رؤساء الوفود شارحين موقفهم من مشكلة الشرق الأوسط

والنزاع العربي الإسرائيلي، وقرأت ما كنت ألفت سماعه من التغني بالمبادئ، ونصوص ميثاق الأمم المتحدة، واحترام السيادة، واستنكار العدوان، والحفاظ على كرامة المنظمة العالمية وهيبتها، وغير ذلك من الصياغات والعبارات التي يكررها الوفود في كل قضية دولية، بالحق والباطل على السواء...

ولقد انبرت دول صديقة للدفاع عن الموقف العربي، منها دول إسلامية، وآسيوية إفريقية وأوروبية، ولكن سلطان الولايات المتحدة وأنصارها واتباعها كان على الدوام إلى جانب إسرائيل من غير خفاء ...

ومما ساعد على ذلك إن الوزير الإسرائيلي إيبان كان لا يفتر عن مهاجمة الاتحاد السوفيتي حتى يبدو أمام الرأي العام أنه جدير بعطف "العالم الحر" فهو الذي يتصدى "للشيوعية" في الشرق الأوسط ... وهو "هدف" الاتحاد السوفيتي في المنطقة ... وما هو أهم من ذلك فإنه هو الذي انتصر على الاتحاد السوفيتي ... وهو وحده الذي يستطيع أن يحمي مصالح "العالم الحر" في الشرق الأوسط ... وهو وحده يستطيع أن "يؤدب" أي حاكم عربي يرفع رأسه !!

وقد وقعت مسرحيات دولية لتؤكد هذه المعاني في أذهان الرأي العام، منها : أنه عندما بدأ الوزير الإسرائيلي إيبان يلقي خطابه الرئيسي انسحب وزير الخارجية السوفيتي اندريه جروميكو ومعه مندوبو دول أوروبا الشرقية... (1967/6/20).

وكان الرئيس الاتاسي أول المتكلمين العرب، وبعد أن شرح العدوان الإسرائيلي قال : " يجب على الأمم المتحدة أن لا تلقي بالا لنداءات السلام التي تنسم بطابع النفاق والتي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من طابع الروتين الإسرائيلي ... إن الأمة العربية دفعت ثمن احترامها للرأي العام العالمي من

دماء أبنائها ودمار مدنها وقراها واستيلاء المعتدين على جزء من الوطن العربي ... إن إسرائيل لم تكن قد احتلت أي نقطة من الأراضي السورية عندما قبلت سوريا قرار وقف إطلاق النار .. إن الغزو الإسرائيلي اقترن بمناورات معتمدة قام بها المندوبان الأمريكي والبريطاني في مجلس الأمن لتأخير أعماله بحيث يفسح المجال لإسرائيل لاحتلال أراض سورية .. وإن غاية الاستعمار والصهيونية إبادة العرب .. إن الكفاح العربي جزء لا يتجزأ من كفاح العالم الثالث ضد الإمبريالية والاستعمار ...". (1967/6/20).

وتكلم الدكتور فوزي رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة فقال : إن المعالجة الأمريكية للموقف غير نزيهة وغير عادلة ، وغير مقبولة .. إن الأساطيل الأمريكية والبريطانية وقفت إلى جانب إسرائيل .. إن إسرائيل قامت بالعدوان حينما كان مجلس الأمن يبحث الأمر وبينما كان مسئولون مصريون سيصلون إلى واشنطن ... إن إسرائيل ارتكبت فظائع لا تصدق .. وقصفت بقنابل النابالم ... المدن والقرى ... وتركت جنودا جرحى ومدنيين يهيمون على وجوههم دون طعام أو ماء في صحراء سيناء ... إن أكثر سكان العالم يؤيدوننا .. عندما فجرت إسرائيل الشر في الخامس من حزيران لم تكن الدول العربية قد أتمت خطتها الدفاعية ... (1967/6/21).

وفي اليوم نفسه تكلم رئيس وزراء السودان السيد محمد أحمد محجوب فقال : إن الجمعية العامة منعقدة لإصدار حكم على أحد أعضائها بتهمة القيام بعدوان طائش عن سابق إصرار وتصميم ... إن إسرائيل لقيت تأييداً مادياً ومعنوياً من الدول الغربية وخاصة بريطانيا وأميركا اللتان تحاولان تبرير العدوان ... وأنه ليس من العدل السماح للمعتدي بأن يملئ شروطه، ونحن لا نطالب بأكثر من انسحاب القوات الإسرائيلية، ولا نقبل أقل من ذلك...

وخطب السيد عبد العزيز سلام وزير خارجية اليمن، والسيد أحمد بلافريخ الممثل الشخصي لملك المغرب، والدكتور عدنان الباجة جي وزير خارجية العراق، والدكتور جورج حكيم وزير خارجية لبنان، والشيخ صباح الأحمد الصباح، ووزير خارجية تونس، والدكتور أحمد البشتي وزير خارجية ليبيا، والحبیب بورقيبه الابن وزير خارجية تونس، والسيد عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ... وكانت خطبهم تتأرجح من العنف إلى الاعتدال، إلى التوسل، وإلى التهالك ... ولكن المغلوب في الميدان، لا ينفعه في الأمم المتحدة أي كلام مهما كان لطيفاً أو عنيفاً!!

وليس لنا أن ننسى أن الملك حسين كان في عداد الخطباء، فقال : إن الغزاة الإسرائيليين استعملوا قنابل النابالم، وهدموا كثيراً من المدن والقرى الفلسطينية، وإن إسرائي ل هي التي بدأت بالعدوان. وإن الأردن أطاع فوراً وبحسن نية قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ... وإن السماح للمعتدي بالتمتع بثمار عدوانه هو عمل لا أخلاقي ...

ولكن المصادفة التعيسة قد جاءت مع خطاب السيد عمر السقاف وكيل وزارة الخارجية السعودية فقد قال في سياق خطاب بالغ القوة والعنف إن 600 مليون مسلم لن يخضعوا لسلطة المعتدين الصهيونيين ... وإن الخطوة الأولى أمام الأمم المتحدة هي إجبار إسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة بما فيها مدينة القدس القديمة ... وإذا لم تفعل إسرائيل ذلك فإن المسلمين سيقومون بحرب مقدسة ...

كانت مصادفة تعيسة حقاً ... ففي ذلك اليوم أصدرت إسرائيل قرار بضم القدس القديمة إلى القدس الجديدة وأعلنتها العاصمة الموحدة لإسرائيل ... لا

تتخلى عنها أبداً ... وكان يوماً آخر من أيام الهوان للعرب والمسلمين، بفضل
حكام العرب والمسلمين ...

وجاءت صفقة أخرى للوفود العربية التي كانت تخوض معركتها الذليلة في
الأمم المتحدة، فبينما كان الحوار جارياً على أشده بشأن مشروعات القرارات
التي تدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المتحدة، جاء التحدي من
الجنرال موسى ديان في تل أبيب، فقد خطب في اجتماع شعبي كبير وأعلن أن
إسرائيل " لن تنزح من المناطق المحتلة الواقعة بين القنطرة والقنيطرة حتى
يوقع العرب معاهدات سلم دائمة ". وأعقبه بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل
السابق فقال " إن إعادة بناء القدس الموحدة يجب أن يكون له مكان الصدارة
في الجهد القومي، ويجب على إسرائيل أن تقوم بإسكان مائة ألف يهودي حول
القدس القديمة.. "

وهكذا أقحمت إسرائيل موضوع القدس القديمة على الأمم المتحدة ولتقرر ما
تشاء !! وتطوع الوفد الباكستاني فقدم مشروع قرار يدعو إسرائيل " إلى إلغاء
الإجراءات التي اتخذتها وإبقاء الوضع في القدس القديمة على حاله... ".
وانتهت الأمم المتحدة من المناقشة العامة، وجاء دور التصويت على
مشروعات القرارات المعروضة، وبدأ رئيس الدورة الطارئة، مندوب أفغانستان،
يعرض القرارات واحداً بعد واحد، ثم يعلن بصوت منكسر سقوط المشروعات
واحد بعد واحد ...

عرض المشروع السوفيتي أولاً: وهو يدعو 1- إلى إدانة أعمال إسرائيل
العدوانية ...، 2- مطالبة إسرائيل بسحب قواتها فوراً وبدون إبطاء إلى ما وراء
خطوط الهدنة، 3- مطالبة إسرائيل بدفع تعويضات عن الخسائر الناتجة عن

عدوانها، 4- مناقشة مجلس الأمن اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمحو آثار العدوان .. ولم يحز المشروع على الأكثرية اللازمة ... وسقط.

ثم عرض المشروع الألماني : وهو يطلب 1- إدانة العدوان الإسرائيلي الذي تم بمساعدة أمريكا وبريطانيا ، 2- انسحاب القوات الإسرائيلية فوراً وبدون إبطاء ، 3- مطالبة إسرائيل بدفع تعويضات عن الخسائر الناتجة عن العدوان ، 4- تأييد حق الجمهورية العربية المتحدة في السماح أو عدم السماح لسفن إسرائيل بالمرور بقناة السويس ومضيق تيران ... ولم يحز المشروع على الأكثرية المطلوبة ... وسقط.

وعرض المشروع المقدم من دول عدم الانحياز وهو يدعو 1- إسرائيل إلى سحب قواتها فوراً إلى ما وراء مواقع ما قبل 5 حزيران 1967 ، 2- مطالبة السكرتير العام بتعيين ممثل له لمساعدته في تنفيذ ذلك والاتصال بالاطراف المعنية ، 3- مطالبة مجلس الأمن ببحث جميع نواحي الموقف في المنطقة وإيجاد طرق سلمية لحل جميع المشاكل ... ولم يحز المشروع الأكثرية اللازمة ... وسقط.

وعرض المشروع المقدم من دول أمريكا اللاتينية الذي 1- يدعو إسرائيل إلى سحب قواتها من جميع المناطق المحتلة نتيجة للنزاع الأخير ، 2- دعوة الأطراف المتنازعة إلى إنهاء حالة الحرب وإقامة تعايش سلمي 3- مطالبة مجلس الأمن بتنفيذ الفقرة الأولى وحماية حرية المرور في المياه الدولية وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين ، 4- بحث إقامة نظام حكم دولي في مدينة القدس في دورة الجمعية العامة الثانية والعشرين .. ولم يحز المشروع الأكثرية اللازمة ... وسقط.

سقطت هذه المشروعات كلها، وقد قرأت جميع التقارير التي وردت من نيويورك إلى وزارة الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة، تبين الأسباب القانونية والسياسية التي أدت إلى هذه الهزيمة ... وكلها أسباب وجيهة من غير شك.. ولكن سبب الأسباب، أن الهزيمة في الوطن العربي لا يمكن معها انتصار في الأمم المتحدة .. فإن الغلبة في الأمم المتحدة هي للمنتصرين، ولو كانوا على باطل، والهزيمة للمهزومين ولو كانوا على حق ...

وبقيت قضية القدس ... القدس الأسيرة ... وأنا لا أفرق بين القديمة والجديدة ... وعرض مشروع القرار الباكستاني وهو يدعو 1- إلى اعتبار الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في القدس غير مشروعة، 2- ودعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات المتخذة والامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس ، 3- مناقشة السكرتير العام تقديم تقرير عن تنفيذ القرار إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن .."

ونجح هذا المشروع المتواضع بأكثرية تسعة وتسعين صوتاً .. وقد امتنعت أمريكا عن التصويت ... وقاطعت إسرائيل التصويت ... ولتفعل الأمم المتحدة ما تشاء ونحن في القدس، ومن شاء أن يخرجنا فليفضل. كان ذلك لسان حال إسرائيل...

وهذا ما جرى فعلاً .. لم تدعن إسرائيل للقرار .. فتطوع وفد الباكستان مرة ثانية، وقدم مشروع قرار وافق عليه مجلس الأمن في 14-7-1967" 1- يستنكر عدم تنفيذ إسرائيل للقرار المذكور ، 2- تكرر دعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات المتخذة والامتناع عن أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس ... " ولم تدعن إسرائيل ...

وجاء عام 1968 فأصدر مجلس الأمن ثلاثة قرارات بشأن مدينة القدس رقم 250، 251، 252، .. ولم تدعن إسرائيل ...

وجاء عام 1969 فأصدر مجلس الأمن قرارين بشأن القدس : رقم 267، 271 ولم تدعن إسرائيل...

وانطلقت تصريحات حكام العرب والمسلمين نائحة صائحة على القدس ... وكان من بينها رسالة ملكية بعث بها الملك الحسن الثاني إلى قداسة البابا، كتبت في أسلوب الخلفاء الراشدين جاء فيها قوله :-
" من الحسن الثاني ملك المملكة المغربية إلى حضرة صاحب القداسة البابا بولس السادس ...

وفقم الله لما يحبه ويرضاه، وأرشدنا وإياكم إلى سبيل الحق الذي ارتضاه...

وبعد فإنه ليسعدنا أن نوجه إليكم اليوم هذا الخطاب المعبر عن الود الخالص، والتقدير المستطاب، تجديداً للصلوات القديمة، وبعثاً لعادات مستحسنة قويم ة، جرى عليها أجدادنا سلاطين المملكة المغربية، ومن سبقكم إلى اقتعاد كرسي البابوية، وداعية لفت نظر قداستكم إلى خطورة العمل الذي أقدم عليه الإسرائيليون بالقدس الشريف من إلحاقهم المدينة المقدسة بالمناطق التي يسيطرون عليها من أرض فلسطين..

ونظراً للروابط المحكمة الوثيقة التي جمعت، بالقدس الشريف في مختلف العصور أهل الملتين، ارتأينا أن نوفد إليكم السيد علي بن جلون وزيرنا في العدل ليبلغكم تحياتنا، ويعبر كلهم عن تقديرنا للجهود التي تبذلونها لقضية الحق والسلم ويعرب لكم عن رغبتنا في أن تستعمل قداستكم نفوذها الروحي وسلطتها العظيمة في العالم لإعادة الحق إلى أهله، وإرجاع الأوضاع السياسية،

والدينية بالقدس الشريف، وسائر الأماكن المقدسة إلى ما كانت عليه من قبل
العدوان الإسرائيلي.. " إلى آخر الرسالة .
وهكذا تمخض " الجهاد " عن رسالة إلى قداسة الباب، مليئة بالاسترحام
والاستعطاف، وهكذا انجدوا المسجد الأقصى بالكلمة، وبالكلمة وحدها ... وأنا
أعني ملوك العرب والمسلمين ... " كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا
كذبا" .

أسرار أخرى من موسكو

في السابع عشر من حزيران وصل السيد اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى نيويورك ليشارك في اجتماعات الدورة الطارئة للأمم المتحدة...

وفي العشرين من حزيران وصل السيد نيقولاي بودجورني رئيس الدولة السوفيتي إلى القاهرة للاجتماع بالسيد جما ل عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وكان للاتحاد السوفيتي من وراء هاتين المرحلتين هدف واحد : استرداد الاعتبار، على الصعيد الدولي والعربي.

ذلك أن حرب الأيام الستة كانت نصراً لإسرائيل، وبالتالي، نصراً للولايات المتحدة، وكانت إلى جانب ذلك هزيمة للأمة العربية، وبالتالي هزيمة للاتحاد السوفيتي.

ومن هنا انطلق كوسيجين إلى نيويورك ليحمل الأمم المتحدة على إصدار قرار بإجلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضي العربية المحتلة ... وأنطلق بودجورني إلى القاهرة ليؤكد للأمة العربية، أن الاتحاد السوفيتي لن يدخر جهداً في إزالة آثار العدوان، وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الخامس من

حزيران .. وبهذا يكون رد الاعتبار، لا أمام العالم فحسب، بل أمام شعب
الاتحاد السوفيتي نفسه ...

وقد حرص بودجورني في سفره إلى القاهرة أن يرافقه وفد عسكري كبير
يرأسه المارشال زخاروف رئيس أركان الجيش السوفيتي، وذلك ليوحي إلى الرأي
العام، العربي والدولي، أنه إذا ما فشلت المساعي السياسية في نيويورك، فإن
المساندة العسكرية السوفيتية قادرة على حسم الموقف في ميدان المعركة.
وكذلك، فقد كان بودجورني يريد أن يهدئ من نقمة الجماهير العربية
على الاتحاد السوفيتي، وأن يتخذ من القاهرة منبراً ليخاطب الأمة العربية ويؤكد
لها التزام الاتحاد السوفيتي بتقديم العون العسكري والاقتصادي والسياسي
للجمهورية العربية المتحدة ..

وكانت الصيحة الداوية التي تملأ أرجاء الوطن العربي تدور حول
استئناف القتال، فقد كانت الأمة العربية لا تكاد تصدق أنها هزمت، وأن
الهزيمة ساحقة ماحقة... وأن إسرائيل احتلت فلسطين بأسرها، ومعها أرض
عربية لثلاث دول عربية، تزيد مساحتها ثلاث مرات عن مساحة فلسطين.
وقد أراد الرئيس عبد الناصر أن يجسد تصميم الأمة العربية على
استئناف القتال، فاعد للرئيس بودجورني استقبلاً ضخماً حشدت له أجهزة
الدولة كل طاقاته ومهارتها... والقاهرة تجيد فنون الاستقبال حين تريد، وفنون
الإهمال حين تشاء...

وحطت طائرة الرئيس بودجورني أرض المطار، فاندلعت التهافتات من
أرض المطار والشرفات، ترحب " بالرئيس بودجورني " و " بالصدافة العربية
السوفيتية" وتماوجت اللافتات الكبيرة بألوانها المختلفة وهي تتدد " بالاستعمار
الأمريكي " وتحيي " دول المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي "

وتدعو إلى استئناف القتال .. وكلها مكتوب باللغة الروسية ..، وكذلك فقد كانت بعض التهتافات باللغة الروسية.. ولكن باللهجة المصرية... وأراد الرئيس بود جورني، وهو ما يزال في أرض المطار، أن يبدأ حديثاً إلى العالم فقال: إن الاستعماريين يتصورون أننا جننا إلى هن الكي نتبادل أحاديث اجتماعية عن الصداقة بيننا، ولكننا سوف نثبت لهم معاً أننا نعن ي ما هو أكثر من الحديث"...

وكنت إلى جوار الفريق علي عامر القائد العام للقيادة العربية الموحدة ونحن نقف في الصف الطويل لاستقبال الرئيس بود جورني : فقال : هذا كلام طيب جداً ونرجو أن يترجم إلى خطة عملية .

قلت : وما هي الخطة العملية في نظرك الآن ؟

قال : مصر وسوريا والعراق لا ينقصها إلا الطيران ... ولكن يجب أن تكون طائرات بعيدة المدى، الاتحاد السوفيتي لم يقدم هذا النوع من الطائرات قبل العدوان...

قلت : إن عبارة الرئيس بود جورني جميلة ... ولكنني أشعر أنها تتطوي على كثير من التحفظ..

قال : صحيح .. . ونرجو أن يكون موقف الاتحاد السوفيتي في الاجتماعات المقبلة أقوى من هذا الكلام .

وخرج الرئيس بودجورني من أرض المطار مع الرئيس جمال عبد الناصر بعد مراسم الاستقبال ، وحرارة اللقاء ودفء العناق ... واخترقت سيارة الرئيسين الشوارع والميادين إلى قصر القبة، ومن حولها الجماهير كأمواج البحر المتلاطمة، كلها تنادي باستئناف القتال ... وتندد بالاستعمار والمستعمرين.

وعند قصر القبة كانت الجموع تغطي الميادين من حوله، وهي تهتف
مأجبة هائجة، لا تبالي بموجة الحر اللاهبة التي لفت القاهرة في ذلك اليوم
كأنها على ميعاد مع ذلك اليوم اللاهب.

ودخل الرئيس بود جورني إلى قصر القبة دخول الفاتحين، وهو في
عجب من تصميم هذا الشعب على استئناف القتال ... وقد أثاره هذا الاستقبال
الرائع، ولكن حزيناً في موسكو غير حزيناً في القاهرة، فقد بقي الرئيس بود
جورني ملتزماً بجانب التحفظ في حديثه، وكان ما قاله في قصر القبة غير بعيد
عما قاله في أرض المطار، فقد أعلن: أن مشاعر الناس وحماسهم على طول
الطريق قد بهرتني وأرجو أن تمكنني الظروف يوماً من أن أعود إلى القاهرة
فالتقي بجموع الشعب المصري .. ولكننا الآن نحتاج كل وقتنا للعمل على
إحباط خطط المتآمريين..".

وعلى هذا فإن حديث الرئيس بود جورني في المطار وفي قصر القبة
لم يخرج عن الحديث العادي ولم يكن فيه التزام بشيء ... ولم يكن فيه ذكر
لإسرائيل، ولم يتعرض لإزالة آثار العدوان، ولم يتعهد بتأييد الموقف العربي.
وقد انقسمنا في قصر القبة، الوزراء وأركان الاتحاد الاشتراكي وأنا إلى
فريقيين .. واحد، يقول إن كلام الرئيس بود جورني متحفظ حقاً .. ولكنه
ضروري في المرحلة الحاضرة .. والمهم في الاجتماعات المقفلة أن يتم الاتفاق
على تدابير فعالة لتمكين القوات العربية من إزالة آثار العدوان .

وقال فريق آخر، إن كلمات الرئيس بود جورني متحفظة أكثر من
اللازم، ولا تبعث على الرضا، ولا على الأمل في المستقبل ... وكنت أنا من
هذا الفريق ... رغماً عن أنني معروف بصدائقي للاتحاد السوفيتي لعدة سنين.

وقد تعزز هذا الرأي في هذا اليوم ذاته .. فلم يكد يصل الرئيس بود جورني إلى القاهرة حتى أذاعت وكالة تاس إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قد أصدرت بياناً أعلنت فيه أنها " أقرت بالإجماع إدانة إسرائيل بالعدوان ومطالبة الأمم المتحدة بإصدار قرار يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة .. " وكأن الأمر كله يجب أن يحصر في نطاق الأمم المتحدة..

وبدأت الاجتماعات الرسمية بين الجانبين العربي والسوفيتي في مساء ذلك اليوم في بيت الرئيس عبد الناصر بمنشية البكري، استمرت حتى منتصف الليل ..

وقد عشنا تلك الليلة، أنا وغيري من المشتغلين بالقضية العربية في القاهرة، تترقب طلوع الصباح، لنتنسم أخبار المحادثات، ولنتعرف على موقف الاتحاد السوفيتي بعد العدوان .. لعله يكون أكثر وضوحاً مما كان قبل العدوان ...

ولقد صدرت في الماضي عن الاتحاد السوفيتي بيانات بالتأييد .. وكان الأسطول السوفيتي يتضاعف عدده في البحر الأبيض المتوسط... وساهم الاتحاد السوفيتي بالضغط على القاهرة " الضغط لضبط النفس " وبدأت الحرب وانتهت وحان الوقت ليجدد الاتحاد السوفيتي موقفه وخاصة أننا لا ننسى أن سفير الاتحاد في القاهرة قد أيقظ الرئيس عبد الناصر بعد منتصف ليل (26 - 27 أيار) ليبلغه رسالة مستعجلة من الرئيس كوسيجين بالرجاء الحار والتوكيد الشدي بضبط النفس وعدم القيام بأي عمل عسكري ضد إسرائيل وأن رسالة مماثلة من الرئيس كوسيجين قد أبلغت إلى ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي عن طريق السفير السوفيتي في تل ابيب، في الليلة نفسها ..

ولهذا فقد كنا نتوقع من الرئيس بود جورني أن يكون أكثر حزمًا في عباراته التي تناقلتها وكالات الأنباء .. ولكن بعضنا كان يرى أن هذا الحذر أجدى وأنفع ... " فنحن نريد سلاحا ولا نريد كلاماً "، كما قال الفريق عبد المنعم رياض .. ونحن نغادر قصر القبة ... بعد أن دخل الرئيس بودجورني إلى غرفة الاستراحة.

وقمت بزيارة خاطفة إلى عدد من أعضاء الوفد العربي الذي اشتركوا في مباحثات الليلة الماضية، وبدأت تتأكد مخاوفي، فقد كانت حصيلة انطباعاتهم أن الرئيس بود جورني قد شرح ما يجري في الأمم المتحدة في دورتها الطارئة وأسهب في سرد جهود الرئيس كوسيجين ومطالبته بانسحاب القوات الإسرائيلية، وإدانة إسرائيل، والتعويض عما لحق بالدول العربية، من خسائر ... وأن الرئيس بود جورني يؤمل أن تصدر الأمم المتحدة قراراً بالموافقة على هذا المطلب .. وأن الرئيس بود جورني وقد استمع إلى مطالب الرئيس عبد الناصر بدعم القدرة العسكرية لمصر وسوريا، سينقل هذه الرغبة إلى الحزب في موسكو ليدرسها، بعناية تامة، انتظاراً لما تقرره الأمم المتحدة.

كانت تلك حصيلة الموقف في اليوم الأول من المباحثات، أما في اليوم الثاني فقد انجلى الموقف أكثر فأكثر .. فقد اتصل الرئيس بودجورني بالرئيس عبد الناصر يعرب عن رغبته في لقاء عاجل قبل موعد الاجتماع المتفق عليه، لأنه تلقى " رسالة عاجلة من الرئيس بود جورني للرئيس عبد الناصر ر أن الرئيس كوسيجين سيجتمع بالرئيس جونسون لبحث معه أزمة الشرق الأوسط وليؤكد إصرار الاتحاد السوفيتي على صدور قرار من الأمم المتحدة لصالح الدول العربية.

وقد تصاعدت الآمال بعض الشيء في جهود الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة... ولكنها عادت وخبث بعد بضع ساعات، حتى عند المتفائلين من الوفد العربي... فقد كشفت وكالات الأنباء العالمية الموقف في نيويورك على حقيقته.

فقد ذكرت الأنباء أن الاجتماع بين كوسيجين وجونسون قد استمر خمس ساعات، وأن الرئيسين قد اجتمعا ليقولا للصحفيين بعد نهاية الاجتماع " لقد أتاح لنا اجتماعنا هذا فرصة ليتعرف كل منا على الآخر .. وتبادلنا خلال الاجتماع الآراء حول عدد من المسائل المتعلقة بمنع انتشار الأسلحة النووية.. وقد اتفقنا أن الوصول إلى اتفاق بمنع انتشار الأسلحة النووية أمر في غاية الأهمية الآن، وتبادلنا الرأي بالعلاقات الثنائية بيننا..".

وأضافت وكالات الأنباء أن الرئيس كوسيجين قال : أشكر الرئيس جونسون على ترتيب اجتماعنا في مدينة على هذا القدر من الجمال ... وقد فهمتم مما قال الرئيس جونسون أننا حشدنا عدداً ضخماً من المسائل إلى حد لم تتمكن معه أن نكون قادرين على التعرض لها جميعه ا اليوم، ولهذا قررنا أن نجتمع يوم الأحد، وليس لدي ما أضيفه إلى ما قاله الرئيس جونسون فأني بيانه قد صيغ على نحو سليم جداً ..".

وقد جاءت هذه الأنباء لتسدل على اجتماعات بود جورني - عبد الناصر ستارا من خيبة الأمل، فقد بات واضحاً من الأنباء الصحفية ومن التقارير الرسمية الواردة على القاهرة، أن الرئيس كوسيجين يتصرف في نيويورك وكأن أصدقاءه العرب لم يخسروا الحرب، ولم تقع أراضيهم تحت الاحتلال... فقد ذهب إلى الأمم المتحدة ليعرض قضية العدوان الإسرائيلي، فإذا به يعترف " أننا حشدنا عدداً ضخماً من المسائل " وأنه يشكر الرئيس جونسون لاستضافته

" في تلك المدينة الرائعة الجمال"؟؟ وغير ذلك مما يوحي بأن قضية الشرق الوسط لم تكن عند الرئيس كوسيجين همه الأوحد، ولم يكن قد مضى على حرب حزيران إلا عشرة أيام بالتمام والكمال...

وتوالت اجتماعات بود جورني عبد الناصر في القاهرة، قبل الظهر، وبعد الظهر ، وفي الليل ، وكنت أرتدد على القصر الجمهوري في القبة لالتقي مع الرئيس عبد الناصر وأعضاء الوفد العربي قبيل الاجتماعات وبعدها .. وكانت مشاعر الخيبة تزداد بازدياد الاجتماعات .. فقد كان الرئيس بود جورني يتحدث دوماً عن السلام، والبحث عن تسوية سلمية للشرق الأوسط، وأن الضغط الدولي على أمريكا والأمم المتحدة كفيل لحمل إسرائيل في النهاية على الانسحاب من الأراضي العربية وأن الالتجاء إلى القمة يمكن " التفكير " فيه حينما تفشل كل الجهود السياسية والدبلوماسية.

ولست أنسى قهقهات أعضاء الوفد العربي في قصر القبة وهم يقرأون أخبار الاجتماع الثاني بين كوسيجين وجونسون، راح أحدهم يقرأ بصوت ضاحك نشرة الإنباء وهي تقول " عندما وصلت سيارة الرئيس كوسيجين أسرع إليها لرئيس جونسون وزوجته وابنته واستقبلوا الرئيس كوسيجين وابنته لودميلا ورحبوا بهما ودخل الجميع إلى المنزل حيث التقطت لهم صورة تذكارية .. ثم دخل الرئيسان غرفة الاجتماع ودخل معهما المستر أفريل هريمان الخبير بشؤون الفيتنام لمدة ربع ساعة .. ثم دخل أعضاء الوفد ن واستمر الاجتماع خمس ساعات، صرح جونسون في نهايتها بأنهما بحثا عددا ضخماً من المشكلات بالتفصيل، واتفقا أن يظلا على اتصال بالمستقبل ... كما أعلن الرئيس كوسيجين أنهما تناولا عدداً من المسائل الدولية كما فعلا في اجتماعهما الأول، وأن هذه الاجتماعات قد أتاحت الفرصة لاستعراض حالة العلاقات

الأمريكية السوفيتية ومقارنة المواقف إزاء المشاكل البارزة" .. إلى آخر ما أوردته وكالات الأنباء..

ومع قهقهات الوفد العربي انطلقت القفشات، وهذه مهارة مصرية فريدة، وهم يقرأون خبرا آخر يقول : " إن الرئيس كوسيجين سيغادر نيويورك على متن طائرة من سلاح الجو الأمريكي، إلى شلالات نياجرا وهي من أبرز معالم السياحة في أمريكا..."

هذا وغير هذا، قد أضفى جواً من البرودة على مباحثات بود جورني - عبد الناصر، حتى أصبح قصر القبة ثلاجة كبرى كأن هقطعة من موسكو في أيام الجليد ... على حين إن جماهير الشعب في مصر كانت تفور بالغليان والثوران...

ومسكين هو الشعب ... إنه لم يكن يعرف الحقيقة ... فقد كان يأكل ويشرب مما تقدمه الصحافة والإذاعة العربية، وهذه كلها كانت تربط مصير الأمة العربية برحلة كوسيجين إلى نيويورك، ومجيء بود جورني إلى القاهرة !! ومما زاد الجماهير العربية لهفة على الأخبار، أن زيارة الرئيس بود جورني كانت المرة الوحيدة التي لم تلق فيها خطاب رسمية يتبادلها الرئيس الضيف والرئيس المضيف .. ففي هذه المناسبة لم يخطب الرئيس عبد الناصر، ولم يخطب الرئيس بود جورني.

وسألت السيد جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية الروسية، وهو صديق قديم، لماذا لم يخطب الرئيسان في هذه الاجتماعات...

قال : هذه رغبة الرئيس بودجورني .. ونحن أصدقاء ورفاق، ليس بيننا كلفة ولا داعي للخطب. المهم أننا نقدم العون العسكري والاقتصادي قلت: حتى

الرفاق في الدول الشيوعية يتبادلون الخطب حينما يجتمعون لعرض آرائهم وأهدافهم..

ولم يعقب جاكوب ماليك على هذه الملاحظة .. والواقع أن الرئيس بود جورني كان لا يريد الخطب .. لأن الخطب تحدد الأهداف وتحدد الالتزامات .. وكل ما جاء الرئيس بود جورني من أجله أن يقنع الرئيس عبد الناصر أن يوافق ولو ساكتاً، على التسوية السلمية لمشكلة الشرق الأوسط ... وأن موضوع استئناف القتال أمر غير وارد .. وأن إعادة بناء القوات العربية يجب أن يستهدف تعزيز القدرة الدفاعية .. لا غير ..

وهكذا انتهت مباحثات عبد الناصر - بودجورني على غير نتيجة وجاء السؤال التقليدي الذي تنتهي به الزيارات الرسمية .. وماذا نكتب في البلاغ المشترك .. ماذا نقول للأمم العربية خارج قصر القبة، وهي تهتف بالقتال، ولاشيء إلا القتال؟؟

وهنا، أصر الوفد السوفيتي أن يصدر بلاغاً مشتركاً تبرز فيه معاني السلام، والتسوية السلمية، وتوطيد دعائم الصداقة السوفيتية العربية . وأصر الوفد العربي أن يشير البيان المشترك، باللجوء مع هذه المعاني، إلى حق الدول العربية بإزالة آثار العدوان، باللجوء إلى القوة في حالة فشل الأمم المتحدة .

وطال الأخذ والرد بين أعضاء الوفدين العربي والسوفيتي، يروحون ويغدون على بعضهم البعض بأوراقهم وأقلامهم، وهم يقترحون هذه الصيغة أو تلك.

وبقي الوفد العربي على موقفه .. وأخيراً تم الاتفاق بين الجانبين على أن يصدر بيان مشترك ... وصدر البيان الصحفي ليقول : " .. تمت

الاجتماعات بروح التفاهم الأخوي المشترك والصداقة التقليدية بين البلدين ... وبحث الجانبان الإجراءات اللازمة لإزالة آثار العدوان ... وإن زيارة الرئيس بود جورني سوف تسهم في زيادة تدعيم وتطوير علاقات الصداقة والتعاون الشامل بين الدولتين في صالح شعبي الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي وفي صالح السلام والأمن لكل شعوب العالم...".

وهكذا صدر البيان الصحفي، غامضاً، مبهماً، ليس به التزام واضح على الاتحاد السوفيتي، ولا إشارة حتى لاحتمال صدام مسلح.. بل برزت فيه معاني السلام .. وأن الجانبين " بحثا " الإجراءات اللازمة... بحثاً فقط!! وقال لي السيد علي صبري أحد نواب رئيس الجمهورية، وكان من الأعضاء النشيطين في هذه المباحثات، " إن الغموض أيضاً نافع ... ربما تخاف الولايات المتحدة ...، والرأي العام العربي يعتقد أن هذا الغموض يخفي وراءه الخير ... قلت: الولايات المتحدة ليست غبية إلى هذا الحد. وقد سبرت غور كوسيجين في أمريكا ... أما المواطن العربي فإنه إن لم يعرف اليوم، فسيعرف غداً .. وإن غداً لناظره قريب ... وهذا ما قاله العرب منذ عهد بعيد ...

وانتهت زيارة الرئيس بود جورني دون أن تحقق شيئاً، وودعه الشعب المصري بالحماسة إياها، والتهاتف إياه ... ولم يقف الأمر عند البيان الصحفي، فقد أراد الرئيس بود جورني أن يؤكد من الجو موقفه الذي أكده على الأرض، فبعث من الطائرة ببرقية إلى الرئيس عبد الناصر يقول فيها: " إن علاقة الصداقة والتعاون الكبير بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة ستزداد تطوراً لمصلحة بلدينا وشعبينا ولمصلحة سلام مستتب في الشرق الأوسط بأسره ..".

وكان واضحاً للذين عاشوا جو المباحثات في قصر القبة أن الرئيس بود جورني يؤكد على السلام ليستتب في الشرق الأوسط بأسره" ويعني ذلك إسرائيل أيضاً.

ورد الرئيس عبد الناصر في برقيته مشيداً بروح الصداقة مع الاتحاد السوفيتي ومؤكداً من جانبه الرغبة في " السلام القائم على العدل ... والعدل هو بيت القصيد . وهنا استخدم الرئيسان ما يريدان من الألفاظ والمعاني !! ولم يكن من باب المصادفة ، بل إنه كان توقيتاً متعمداً، أن مراسل جريدة برافدا السوفيتية في القاهرة، قد كتب يوم انتهاء مباحثات عبد الناصر ر - بود جورني مقالاً فيه تلميح صريح بأن مسئولية الهزيمة تقع على عاتق مصر وحدها، وأن الاتحاد السوفيتي بريء الذمة، فقد جاء في ذلك المقال " لم يكن من المتوقع في الجمهورية العربية المتحدة أن تقوم إسرائيل بهجومها بمثل هذه السرعة .. وسنترك للمؤرخين تحليل الأسباب الأخرى للفشل العسكري المصري .. ولكن هناك دورا مهما لعبه إهمال القيادة الجوية، وكان من نتيجته أن الطائرات الإسرائيلية تمكنت من التحليق على مستوى منخفض من البحر الأبيض المتوسط وقصف المطارات المصرية، وكان من نتيجة هذه الهجمات أن سلاح الجو المصري قد دمر على الأرض .. (1967/6/24) وقد أغفل مراسل البرافدا أو تغافل، أن سياسة ضبط النفس التي " ضغطها" الاتحاد السوفيتي على الرئيس عبد الناصر كانت أحد أسباب هذه الهزيمة ... وانقضى شهر حزيران ودخل شهر تموز ... وفي أوله (1-7-1967) هبطت طائرة سوفيتية في مطار دمشق نقل الرئيس بود جورني ومعه عدد كبير من المستشارين العسكريين والسياسيين، وجرى في مطار دمشق ما

جرى في مطار القاهرة قبل أسبوع، من تبادل التحيات والتمنيات بين الرئيسين الاتاسي وبود جورني.

وفي مأدبة العشاء التي أقيمت في القصر الجمهوري بدمشق خطب الرئيس الاتاسي خطبة " بشعبه " رحب فيها بالوفد السوفيتي مؤكداً توثيق علاقات الأخوة والصداقة مع الاتحاد السوفيتي وتصميم الشعب العربي على الصمود في وجه العدوان الصهيوني والاستعماري ... ورد الرئيس بود جورني معرباً عن استعداد الحكومة السوفيتية لتطوير علاقاته الصداقة العربية السوفيتية تحقيقاً للسلام..".

وأستؤنفت المباحثات السورية السوفيتية في اليوم التالي تحت مظلة رحبة من الصحف السورية تمتدح الصداقة العربية السوفيتية وتشيد بزيارة الرئيس بود جورني، وتلفت الانتباه إلى أن الرئيس بود جورني " كان يريد زيارة بعض المعالم التاريخية في دمشق، ولكنه ألغى هذا البرنامج في آخر لحظة، واتجه إلى القصر الجمهوري لاستئناف المباحثات نظراً لخطورة الموقف". وانتهت مباحثات دمشق على ما انتهت إليه مباحثات القاهرة، بفارق واحد ... وهو أن سوريا قد وافقت على صدور بيان مشترك بدلاً من البيان الصحفي الذي صدر في القاهرة.

ولكن الفارق كان في الشكل ولم يكن في الجوهر ... فلم يضيف البيان المشترك السوري شيئاً إلى البيان الصحفي المصري .. فقد أعلن أن " الجانبين السوري والسوفيتي قد استعرضا الأوضاع التي نشأت نتيجة لعدوان إسرائيل، وبحثا الخطوات العملية لتصفية آثار العدوان والمساهمة في إقرار السلام". ولم يكن في هذا البيان التزام .. وكل ما فعله الجانبان أنهما " بحثا " " واستعرضا

!!"

وفي مطار دمشق صافح الرئيس بودجورني رجال الدولة السورية وهو يقول لهم بالعربية " السلام عليكم " وامتطى طائرته وأرسل من الجو إلى الرئيس الاتاسي برقية يقول فيها " إن اجتماعاتنا استندعم روابط الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتي وسوريا لصالح شعبينا ولصالح إقرار السلام في الشرق الوسط وفي العالم أجمع" ... مرة ثانية، كما جرى في القاهرة .. توكيد السلام ... ولا إسرائيل أيضاً..

ومن دمشق طار الرئيس بود جورني إلى بغداد واجتمع بالرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، وجرى بينهما من الحديث ما جرى مع الرئيس عبد الناصر والأتاسي ... بفارق واحد!! أيضاً ... وهو أن البيان المشترك الذي صدر عن مباحثات بغداد، كان أكثر جفافاً، من البيان المشترك الذي صدر عن مباحثات القاهرة، والبيان المشترك في دمشق ... فقد أحتوى بعض العبارات التقليدية ... من أجل السلام والأمن في العالم .. فإن إخواننا العراقيين لا يعرفون المجاملة ولا الأعراف الدبلوماسية ... وتلك طبيعتهم لا نباهتهم !!

وترك الأمر لوكالة الأنباء الروسية - تاس - أن تقول ما تشاء من جانبها، فأذاعت أن الرئيسين السوفيتي والعراقي بحثا عن عدوان إسرائيل على العرب، والخطوات التي ستكفل محو آثاره، وتبادلا الرأي في توطيد علاقات البلدين وأن زيادة الرئيس بود جورني كانت مفيدة ومتسمة بتفاهم تام.

انتهت زيارة الرئيس بود جورني لبغداد في اليوم الرابع من شهر يوليو - وهو اليوم الذي سجل نهاية فاشلة للدورة الطارئة التي دعا إليها الاتحاد السوفيتي للنظر في أزمة الشرق الأوسط !!

وقد كان هذا الفشل متوقعا منذ البداية ... كان فشلاً للاتحاد السوفيتي والدول العربية، كما كان انتصاراً لإسرائيل وللولايات المتحدة ...

وتعالق صيحات جميع الفرقاء العرب وغير العرب تعلق على النهاية التي وصلت إليها الأمم المتحدة..

فقال الرئيس السوداني محمد أحمد محجوب وهو ما يزال في أروقة الأمم المتحدة " إن العرب قد خاب أملهم في المنظمة الدولية ويفكرون جدياً بإعادة النظر في موقفهم منها .." ولم يحفل أحد في العالم لهذا التهديد، لأنهم ألفوا أمثاله منذ ربع قرن من الزمان ...

وخطب ليونيد بريجنيف الأمين العام للحزب الشيوعي فقال : إن العدوان الإسرائيلي على العرب دعمته بريطانيا وأمريكا لطمس حركات التحرك الوطني ... وأن زيارة الرئيس بود جورني لبعض الدول العربية قد قوت العلاقات العربية السوفيتية، وأن العرب يدركون الآن بشكل خاص أهمية تمتين روابطهم مع المعسكر الشيوعي ... " وترك للمستقبل أن يعل ق على هذا الكلام.

أما إسرائيل فقد أرسل رئيس وزرائها ليفي أشكول إلى وزير خارجيته ابايبان، يهنئه ويشكره هو وأعضاءه وفده على " جهودهم الموفقة في تحقيق النصر العظيم ..".

وكان " النصر العظيم " انفراجاً كبيراً لإسرائيل .. فالأراضي العربية المحتلة ستظل محتلة...

ويعلن موشيه كول وزير السياحة الإسرائيلي في اليوم الثاني أنه " سينظم رحلات سياحية إلى الضفة الغربية، وإلى سيناء، وإلى مرتفعات الجولان، وإلى شرم الشيخ .. وأن إسرائيل ستبني الجسور على نهر الأردن وستقوم بترميم مطار قلندية بجوار القدس لاستخدامه في أغراض السياحة الدولية .. " (5-7-1967).

وهاج الرأي العام العربي لهذه الهزيمة السياسي ة التي حلت في الأمم المتحدة، بعد الهزيمة العسكرية في الوطن العربي ولم يكن بينهما إلا شبر واحد

...

والذين لا يعرفون الأمم المتحدة وقعوا في حيرة مذهلة ... وبدأوا

يتساءلون ...

- إسرائيل، هي التي بدأت بالعدوان، والأمم المتحدة لا تدينها، لماذا ...

وكيف وإلى متى ..؟

- وإذا كانت لا تريد إدانتها، ألم يكن الواجب مطالبتها بالانسحاب من

الأراضي العربية المحتلة.؟

- الدول الثلاثة المعتدى عليها أعضاء في الأمم المتحدة، فكيف تجيز

الأمم المتحدة احتلال الأراضي العربية؟؟

- لماذا تريد الولايات المتحدة وأنصارها أن يربطوا انسحاب إسرائيل

بالقضية الفلسطينية. وكيف يسكت الاتحاد السوفيتي على هذه الحالة؟؟

هذه الأسئلة وغيرها كانت محور الحديث بين الجماهير العربية، وهي

تتأجج غضباً ونقمة على الأمم المتحدة وعلى دول العدوان أمريكا

وبريطانيا...

وازدادت غضبة الجماهير وهي تقرأ نبأ ألفت أمثاله على مر السنين .

ويقول النبا إن " وزراء خارجية الدول العربية في نيويورك عقدوا اجتماعا هاما

مغلقاً لبحث ما ينبغي عمله بعد أن فشلت الأمم المتحدة في مطالبة إسرائيل

بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة... " (4-7-1967).

وتضاعفت الصيحات من كل أرجاء الوطن العربي تدعو إلى استئناف

القتال، وأن الأمم المتحدة مضيعة للوقت ... وأن الاتحاد السوفيتي يجب أن

يضاعف تسليحه للجيش العربية لتمكينها من تحرير الأرض العربية بقوة السلاح ... وهل يريد الاتحاد السوفيتي دليلاً آخر .. ها قد فشلت الأمم المتحدة ولم يبق إلا الانصراف إلى المعركة.

وقد أصبح الحديث عن الأمم المتحدة ثقيلًا على أسماع الجماهير، ولم تبال بالتصريحات التي أدلى بها الرئيس كوسيجين إلى الإذاعة الفرنسية حين قال "إننا نثق بالأمم المتحدة وعليها أن تحل جميع المعضلات الدولية ويجب على الأمم المتحدة عاجلاً أو آجلاً أن تدين إسرائيل، وأن الاتحاد السوفيتي سيتخذ جميع الخطوات اللازمة في مجلس الأمن لإدانة إسرائيل وسحب قواتها " (9-7-1967).

هذا ما كان يدور في صدور الجماهير العربية وعلى ألسنتها .. الحرب الحرب .. ولا شيء إلا الحرب.

وبدأ التحرك العربي متلاحقاً متتابعاً، من اليوم التاسع (تموز) إلى اليوم العشرين، وكان كل يوم مليئاً بالاجتماعات ... على أعلى المستويات ..وها أنا أنبش يومياتي " يوماً يوماً ...

ففي التاسع، تحرك الرئيس الجزائري هواري بومدين يحمل معه في طائرته كل تجارب الثورة الجزائرية ليجعلها أساساً لخطة عربية جديدة.. ووصل إلى القاهرة ... ليجد المطار وقد ازدحم بالجماهير وهي تهتف " الثأر، الثأر " ويخرج مع الرئيس عبد الناصر في سيارة مكشوفة إلى قصر القبة والجموع المحتشدة في الشوارع والشرفات وعلى الأسطح تصيح صيحة واحدة... القتال يا جمال، القتال يا بومدين.

واجتمعت بالرئيس الجزائري بومدين عند المساء في صالة قصر القبة ..

فقال لي :

- هذا الذي كنت أخشاه .. لقد كان رأيي منذ البداية أن تستمر المعركة .. وأن لا نوافق على قرار مجلس الأمن ... بوقف إطلاق النار .. إذا كنا قد فقدنا طائراتنا، ودباباتنا، فعلياً أن نقاتل بالبنادق .. إن القوات الجزائرية موجودة الآن في الميدان .. نحن مستعدون أن نرس ل غيرها .. يجب أن نضع خطة جديدة لاستئناف القتال .. نحن أمام ظروف تاريخية .. وإن المعركة وحدها هي التي تتقذنا من مضاعفات الهزيمة التي حلت بنا.

قلت: لقد تحطم الجيش المصري وتحطمت معداته .. والجيش السوري كذلك .. والقوات العربية الأخرى، باستثناء الجيش العراقي، قفلت راجعة إلى ثكناتها بعد أن توقف إطلاق النار .. وأعني تونس والمغرب وليبيا.. قال : كل هذا صحيح .. ولكننا نستطيع أن نفتح ميدان المعركة من جديد ... ونستطيع القتال .. وأن نضع خطة جديدة، وقد جئت إلى القاهرة لأحدث الرئيس عبد الناصر بأفكاري هذه...

واستطرد الرئيس بومدين حديثه متسائلاً: وأنتم الشعب الفلسطيني، ماهو دوركم؟

قلت : إذا وضعتم الخطة، أية خطة .. فإن شعبنا مستعد أن يضع كل طاقاته في المعركة.. إن جيش التحرير الفلسطيني حاضر لأن يشترك معكم ... وكذلك القوات الفدائية .. ونحن قادرون أن نرسل عدداً من ضباطنا إلى الضفة الغربية وقطاع غزة لبدأوا إعداد الشعب للمقاومة، والتصدي للاحتلال الإسرائيلي من الداخل .. وانتهى الحديث بيننا انتظاراً للخطة.

والتقى الرئيس عبد الناصر بالرئيس الجزائري بومدين ليلاً في جلسة طويلة ... وصفها لي الرئيس بومدين في اليوم التالي بأنها كانت جلسة عمل.

وفي اليوم العاشر، وصل الملك حسين القاهرة بعد رحلة طويلة في الأمم المتحدة وعدد من العواصم الغربية، قام خلالها كما ذكر في خطاب له الليلة الماضية، " بإعلاء صوت أمتنا فوق المنبر الدولي .. وأجرى اتصالات بالرأي العام في كل بلد حل فيه بواسطة أجهزة إعلامية ندر أن انتبهنا إلى أهمية استقلالها، وأن العرب قد خاضوا معركة لم يستعدوا لها .. وأنه يجب عقد اجتماع عربي على مستوى القمة للكاشفة الصريحة .." إلى آخر هذه التعابير " البريئة " التي يطلقها حكام العرب عن " الأخطاء التي ارتكبت " وكأن غيرهم هم الذين ارتكبوا الأخطاء...

وفي اليوم الحادي عشر، عاد الملك حسين إلى عمان، وسافر الرئيس الجزائري إلى دمشق، ولم تعد مهمته سراً على أحد، فقد أعلن على الجماهير المحتشدة خارج قصر الضيافة في دمشق " أنه لا بد من الحرب ويجب أن تتحول النكسة إلى قوة جارفة تدفعنا في طريق النصر..."

وفي اليوم نفسه، وبعد سفر الملك حسين والرئيس بومدين، وصل عبد الناصر في المساء .. وقد حضرت جانباً من الاجتماع .. لخص الرئيس عبد الناصر خلاله الموقف الدولي، وأن الرئيس بومدين يقترح إعداد خطة لاستئناف القتال .. وأنه ذهب إلى دمشق لإقناع الرئيس الاتاسي .. وعقب الرئيس العراقي على ذلك قائلاً : " المهم أن ينجح بومدين في إقناع البعث السوري بالقتال، فعلا لا قولاً .."

وفي اليوم نفسه وصل السيد جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية السوفيتية، في زيارة، أعلن أنها تمتد يومين، فاستمرت تسعة أيام، وسأتحدث عنها في سياق الكلام ...

وفي اليوم الثاني عشر، عاد الرئيس بومدين من زيارة دمشق بعد أن قضى فيها يوماً واحداً اجتمع خلاله بالقيادة السوريين، وصدر بلاغ مشترك يؤكد " مواصلة النضال حتى النصر".

وفي اليوم الثالث عشر، وصل الرئيس السوري الدكتور الاتاسي إلى القاهرة للانضمام إلى " القمة العربية المصغرة " التي أصبحت مؤلفة من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا والعراق .. وعقد بينهم اجتماع مطول درسوا خلاله الموقف على الصعيدين العربي والدولي. وفي الرابع عشر، واصل الرؤساء الأربعة اجتماعاتهم، واشتركت وفودهم معهم في هذه الاجتماعات ... وحين كانت المناقشات دائرة في قصر القبة، كانت الاشتباكات العنيفة تدور على القتال بين القوات العربية والإسرائيلية، وكانت إسرائيل هي البادئة بإطلاق النار، حتى يسمع الرؤساء الأربعة وهم يتناقشون في مؤتمر القمة.. وقد أصدرت القيادة العامة للقوات العربية أربعة بلاغات عسكرية، عن معارك يوم واحد..

البلاغ الأول، أعلن أن القوات الإسرائيلية ضربت المواقع المصرية في القنطرة والفردان والإسماعيلية..

والبلاغ الثاني، أعلن أن العدو حاول إنزال قارب آلي في قناة السويس في منطقة القنطرة، وكذلك بعض قوارب مطاط صغيرة، وجرى تبادل إطلاق النار بشدة...

والبلاغ الثالث، أعلن أن العدو فتح نيران المدفعية والدبابات ومدافع الهاون على المواقع العربية في السويس.

والبلاغ الرابع، أعلن أن العدو أغار بطائراته على السويس ومنطقة الزيتية أربع غارات جوية متتالية من الساعة الواحدة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساءً.. (1967/7/14).

وفي اليوم الخامس عشر وصل الرئيس إسماعيل الأزهرى إلى القاهرة وانضم إلى اجتماعات الرؤساء، فأصبح اجتماع القمة الصغيرة خماسياً.. وانفرد الرؤساء الخمسة بالاجتماع وحدهم، ليتعرفوا الموقف، ويضعوا الخطة... وحين كان الرؤساء الخمسة يتباحثون ويتناقشون، وقعت الاشتباكات مرة أخرى، لليوم الثاني، ومن غرائب الصدفة، أنه صدرت خمسة بلاغات عن المعارك الدائرة، بلاغ واحد لكل رئيس واحد.. وقد تميزت هذه البلاغات بأن سلاح الجو العربي قد أخذ زمام المبادرة وتصدى للقوات الإسرائيلية فحارب مواقع العدو وأنزل بها خسائر فادحة.

ولقد حضرت جانباً من هذه الاجتماعات، كما تمت لي لقاءات ثنائية معهم وكان محورها يدور حول استئناف القتال والاستعداد للمعركة وتعبئة الطاقات العربية في الميدان. وحدث في تلك الفترة حادثان وجو المناقشات على أشده.. أحدهما عربي، والآخر دولي.. ولا بد لي وللمواطن العربي من وقفة لنمسك أنفاسنا، ونفتح عقولنا، ونتأمل...

الحدث الأول، أثاره الملك فيصل بشأن استئناف ضخ البترول لكل من أمريكا وبريطانيا.. وقد مهد لهذا الموضوع منذ السابع من شهر تموز... ففي ذلك اليوم أعلن الملك فيصل من إذاعة جدة أنه "يجب على الدول العربية البترولية أن تستأنف شحن البترول إلى بريطانيا وأمريكا، لأنه لم يثبت لديه أن هاتين الدولتين قد ساعدتا إسرائيل على العدوان.. وأن المواطنين السعوديين يطالبونه بإعادة النظر في موضوع وقف البترول حرصاً على اقتصاد البلاد..

وأنة لا يستطيع إلا الاستجابة لمطالب المواطنين .. وأن الملك حسين قد أدلى بتصريحات متعددة أثناء زيارته لأمريكا وأوروبا أكد فيها أن بريطانيا وأمريكا لم يكن لهما ضلع في العدوان الإسرائيلي على الدول العربية .. " . وشهد شاهد من أهله وأهلهم !!

والتقط راديو لندن هذا الحديث، فأنجد الإذاعة السعودية التي لا يسمعا أحد، فأذاعه في كل أرجاء العالم .. وتساءلت كل حبة رمل في صحارى الجزيرة العربية، ومتى كان الحكم السعودي، وأي حكم ملكي آخر، يقوم على مشيئة المواطنين ويستجيب لمطالبهم؟؟

وقد اغتتم الملك فيصل الفرصة، فرصة اجتماع الرؤساء الخمسة في القاهرة، فعادت إذاعة مكة إلى الحديث عن البترول مرة أخرى فقالت " يجب إعادة النظر في موضوع البترول، ويجب العودة إلى تزويد كافة الدول بالبترول حرصاً على اقتصاد البلاد العربية..."

كان هذا هو الحدث العربي الذي أثاره جلالة الملك فيصل بعد شهر واحد من العدوان الإسرائيلي .. ومتى؟؟ في وقت اجتماع الرؤساء الخمسة.. وفي أكثر الأوقات حاجة للضغط على أمريكا، لتضغط بدورها على إسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة..

أما الحدث الثاني، فهو مجيء جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية السوفيتية، يحمل إلى القاهرة مقترحات سوفيتية لتسوية أزمة الشرق الأوسط.. وقد اجتمع الدبلوماسي السوفيتي بالرئيس عبد الناصر عدة مرات، واجتمع بالرؤساء الأربعة، واجتمع بي مرات، بعضها في السفارة السوفيتية، وبعضها في قصر القبة، وماذا كانت المقترحات السوفيتية ..

تتلخص هذه الاقتراحات كما عرضها الدبلوماسي السوفيتي في الأمور

الآتية:

أولاً- إن إسرائيل كدولة معترف بها في الأمم المتحدة، أمر واقع لا مجال لإنكاره.

ثانياً - إن من حق إسرائيل السيادة على أراضيها والأمن لشعبها...

ثالثاً - إن حالة الحرب بين الدول العربية وإسرائيل التي استمرت منذ عام 1947 يجب أن تزول، باتفاق جميع الفرقاء المعنيين.

رابعاً - إنه يجب تعيين حدود نهائية لدولة إسرائي ل بالاتفاق مع الدول العربية.

خامساً - إن إسرائيل يجب أن تمارس حق المرور البري في قناة السويس وفي خليج العقبة.

سادساً - إن قضية اللاجئين، عودتهم أو تعويضهم، يجب أن تبحث في مؤتمر دولي يشترك فيه جميع الفرقاء المعنيين.

سابعاً - إن التفاهم حول الأمور المختلف عليها بين الفريقين، يجب أن يتم بمباحثات عن طريق وسيط دولي يختاره مجلس الأمن.

ثامناً - إن التفاهم مع الولايات المتحدة حول هذه القضايا أمر ممكن ومرغوب فيه .

تاسعاً - إن الوفود العربية قد أخطأت خطأ بالغاً في أنها صوتت في الدورة الطارئة ضد مشروع الدول اللاتينية، فإنه مشروع جيد ..

عاشراً - إن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مستعدان لبذل جهود جديد في الأمم المتحدة لاستصدار قرار من الأمم المتحدة في إطار المبادئ الآتية الذكر.

وفي خلال عرض هذه لآراء، أضاف الدبلوماسي السوفيتي أن رؤساء الدول الشيوعية في اجتماعهم الذي عقد أخيراً (12-7-1967) قد اتفقوا على استخدام الوسائل المناسبة من أجل إعادة السلم للشرق الأوسط، ومن أجل التعاون والتنسيق الاقتصادي بين الدول الشيوعية والدول العربية... ولم يجد الدبلوماسي السوفيتي موافقة على مقترحاته من الرؤساء الخمسة، ولا مني بوصفي رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.. وعاد إلى موسكو وهو يقول لي قبل سفره : لعلي الدبلوماسي الوحيد في العالم الذي قابل خمسة رؤساء دول، ورئيساً من غير دولة (يعني المنظمة) لأبحث معهم في مهمة أستطيع أن أسميها " المهمة المستحيلة".

قلت : إنها مهمة مستحيلة فعلاً .. إن هذه المقترحات فيها تصفية للقضية الفلسطينية.. فكيف تريد من الدول العربية ومن الشعب الفلسطيني أن يوافق عليها ..

قال : جربوا .. ولو مرة واحدة ..

قلت : وما الفائدة من التجربة .. لقد أصدرت الأمم المتحدة عشرات القرارات بشأن القضية الفلسطينية ولم ينفذ واحد منها ،،، بشأن عودة اللاجئين، بشأن القدس .. وأخيراً بشأن النازحي ن الذين نزحوا بعد العدوان الإسرائيلي الأخير .. كلها بقيت حبراً على ورق..

ولم يستطع الدبلوماسي السوفيتي أن يقول شيئاً .. وعاد إلى موسكو ليقيم إلى القادة السوفييت تقريراً عن " المهمة المستحيلة " ...

وانتهت مباحثات الرؤساء الخمسة، واتفقت كلمتهم على عقد مؤتمر قمة في الخرطوم لوضع الخطة العربية الشاملة، وأصدروا بياناً جاء فيه : "أكد الرؤساء ثقتهم المطلقة في أن إمكانيات الشعب العربي الضخمة وقدراته الخلاقة كفيلة

بأن تحيل هذه الانتكاسة إلى منطلق جيد نحو الأهداف الشريفة والعادلة..
وقد اتفق الرؤساء العرب على اتخاذ الإجراءات الفعالة الكفيلة بإزالة آثار
العدوان الاستعماري الصهيوني على الوطن العربي .. كما أجمع الرؤساء على
ضرورة تحديد علاقة الدول والشعوب العربية مع الدول الأخرى على ضوء
موقفها تجاه العدوان والآثار المترتبة عليه .. واقترح السيد إسماعيل الأزهري
رئيس مجلس السيادة السوداني عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب في الخرطوم
ووافق الرؤساء على هذا الدعوة، ووافقوا على أن يحضر وزراء الخارجية هذا
الاجتماع في وقت قريب ...

هذه هي سطور البيان، أما ما بين السطور فقد كانت في هذا البيان أمور
أخرى كان فيها:

أولاً - إن الملك فيصل ومعه الدول البترولية الأخرى يجب أن يحددوا
علاقتهم ببريطانيا وأمريكا " على ضوء موقفهما من العدوان الإسرائيلي".
ثانياً - إن على جميع الدول العربية أن ترضع كافة قدراتها في المعركة، وأن
تتم تعبئة الطاقات العربية وفق ما تجمع عليه الدول العربية في مؤتمر
الخرطوم.

ثالثاً - إن الأمم المتحدة ومعها المساعي السياسية والدبلوماسية ليست بديلاً
عن المعركة.

رابعاً - إن الصداقة مع الاتحاد السوفيتي تحكمها كذلك العبارة الواردة في
البيان، وهي أن " الدول العربية تحدد علاقتها مع الدول الأخرى على ضوء
موقفها من العدوان الإسرائيلي..".

خامساً - وإن الرئيسين العراقي والجزائري سيسافران إلى موسكو، ليناشدا
الاتحاد السوفيتي باسم الأمة العربية أن يتخذ موقفاً أشد صلابة وحزمًا، وبيادر

إلى تقديم العون العسكري والاقتصاد الذي يمكن الدول العربية من استئناف القتال ..".

وقد تم فعلاً تنفيذ البند الأخير .. فقد انتهى الرؤساء الخمسة من اجتماعهم .. واستقل الرئيسان العراقي والجزائري طائرة إلى موسكو .. بينما عاد الرؤساء الآخرون إلى بلادهم .

وكانت زيارة الرئيسين العربيين إلى موسكو قصيرة جداً، ولعلها أقصر زيارة رسمية في تاريخ العلاقات العربية السوفيتية .. فقد كانت يوماً واحداً فقط، منها أكثر من اثنتي عشرة ساعة في مباحثات مع قادة السوفييت .. صدر في نهايتها بيان رسمي جاء فيه: " إن المحادثات بين الرئيسين عارف وبومدين وقادة الاتحاد السوفيتي أظهرت أن الاتفاق كان تاماً بينهم على أن تصفية آثار العدوان الإسرائيلي هي أهم شرط لإعادة السلام إلى الشرق الأوسط .. وقد أبلغ الرئيسان العربيين زعماء الاتحاد السوفيتي ما دار في الاجتماع الخماسي العربي .. وأبلغ السيدان كوسيجين وبريجنيف بدورهما ما دار في اجتماعات الدول الشيوعية الذي انعقد في بودابست في 12 يوليو 1967".

ولم أشأ أن أسمح لممارستي الطويلة في فهم العبارات السياسية أن أستنتج ما فهمته في هذا البيان الرسمي، فما هو إلا يوم واحد إلا وعاد الرئيسان العربيان من موسكو إلى قصر القبة رأساً، من غير استقبال في المطار.

واجتمعت مع الرئيسين العربيين، وذكرنا ما دار بينهما وبين قادة السوفييت ... وعادا دون أن يستطيعا إقناع قادة السوفييت بالضرورة الملحة لاستئناف القتال .. وأن الاتحاد السوفيتي، كما قال الرئيس العراقي في ختام الحديث: لا يزال يؤمل خيراً في الأمم المتحدة، وأنه يمكن الوصول إلى تسوية سلمية، ولكن الأمر يحتاج إلى صبر، وإلى جهود سياسية واسعة .. وأن على الدول العربية

أن تقوم باتصالات مع جميع دول العالم وأن لا يقتصر الجهد العربي على أروقة الأمم المتحدة....

هذا ما عا د به الرئيسان العربيان إلى القاهرة ... مجموعة من النصائح السياسية القيمة، يمكن أن تقدمها أية دولة أخرى لا تملك حشداً ضخماً من الأساطيل في البحر الأبيض المتوسط .. وليس لديها أسلحة متقدمة تحسم مصير المعركة .. وفي أقل من الأيام الستة..

وهكذا تأكدت أنني فهمت البيان العربي السوفييتي على حقيقته حين قال إن الاتفاق بين الجانبين، لم يكن على استئناف القتال، كما قال البيان، على أن تصفية آثار العدوان هي أهم شرط لإعادة السلام إلى الشرق الأوسط .. وهذه بديهية ولا تحتاج إلى بيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان!!

ومرت أيام وجاءت ذكرى العيد الخامس عشر للثورة (23 تموز - يوليو) فألقى الرئيس جمال عبد الناصر أول خطاب له بعد النكسة، استعرض فيه أسباب الهزيمة شارحاً دور الخديعة الأمريكية بالتفصيل، والظروف والملابسات التي سبقت المعركة، مع التركيز على دور باخرة التجسس الأمريكية " ليبرتي " التي ضربتها الطائرات الإسرائيلية " خطأ "!!

ثم انتقل إلى الموقف العربي فقال: " حصلت اجتماعات في القاهرة .. الحقيقة هذه لم تكن اجتماعات مرتبة أبداً، الرئيس بومدين بعث لي أنه جاي القاهرة الصبح ... واستقبلنا بومدين ..الملك حسين برضه بعث رسالة وقال أنه يحب يجي القاهرة .. قلنا له أهلاً وسهلاً، وجه .. برضه الأخ عبد الرحمن عارف وماعرفتش أنه حيوصل القاهرة إلا قبل ما يوصل بساعة. وبعدين جاء الرئيس الاتاسي من سوريا، والرئيس الأزهري من السودان، وعلى هذا انعقد الاجتماع بدون تدبير واتكلمنا فيه على إزالة آثار العدوان .."

وهنا أرهف الكثيرون آذانهم لعلهم يسمعون شيئاً عن رحلة الرئيسين عارف وبومدين إلى موسكو ولو بكلمة عابرة ... ولكن الرئيس عبد الناصر قفز عن الموضوع من غير إشارة .. وكان على حق في ذلك فالاتحاد السوفيتي كان الدولة الوحيدة التي تمد الجمهورية العربية المتحدة بالعون الاقتصادي والعسكري.

وتابع الرئيس عبد الناصر خطابه قائلاً : وهل يحجب هذا المؤتمر إمكانية عمل عربي .. يقول لا يجب أن ينزل الحكام على رأي الشعب العربي في كل بلد عربي .. والمعركة تستدعي تعبئة كل بندقية عربية وكل جنيه عربي .. وأنا بقول أن أحنا لازم نروح مؤتمر قمة علشان نضع كل واحد قدام مسؤولياته .. نحن مستعدين نروح مؤتمر القمة واللي عايز يساهم في المعركة يساهم واللي مش عايز يساهم ميساهمش .. ولكن النهارده إحنا للي بنعبأ للمعركة .. وجراید الملك فيصل لا تشارك بأي شيء إلا أنها تنتقدنا .. طبعاً يمكن بعثوا لواء بعد انتهاء المعارك وبعد إيقاف النار إلى الأردن.

واستطرد الرئيس عبد الناصر بعد ذلك مطمئناً المملكة العربية السعودية وأخواتها فقال : " إحنا لسنا ضد أي بلد عربي .. إحنا منغيرش النظام الاجتماعي في أي بلد عربي .. وإحنا مش ضد نفوذ أي بلد عربي .. ولكن نريد لأي بلد عربي أصيل .. حقيقي .. وحينما أقترح رئيس جمهورية السودان مؤتمر القمة وافقنا، ولكن نريد ضمانات نجاح لمؤتمرات القمة ..". تلك هي الملامح العامة للصورة التي أرادها الرئيس عبد الناصر لمؤتمر القمة الذي سينعقد في الخرطوم ..

وبقيت الجماهير العربية أربعين عاماً، بعد ذلك، في انتظار مؤتمر القمة في الخرطوم وهي تتساءل ..

- هل سيكون مؤتمر الخرطوم كمؤتمرات القمة الثلاثة التي انعقدت قبل الهزيمة، قرارات من غير تنفيذ؟.
 - هل سيضع مؤتمر الخرطوم كل طاقات الأمة العربية في المعركة ؟
 - هل ستنبتق عن مؤتمر الخرطوم خطة عربية شاملة، عسكرية وسياسية واقتصادية لإزالة آثار العدوان؟؟
 - وهل يستخدم البترول كسلاح فعال في المعركة ؟
 - وهل .. وهل .. وغير ذلك من التساؤلات والتساؤلات ... وقد غاب عنا قول الله تعالى في كتابه الكريم ..
- " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ أَنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ".
- صدق الله العظيم

حديث الأسرار..

بيني وبين عبد الناصر

كان العيد الخامس عشر لثورة 23 يوليو (تموز) 1967، هو العيد الأول بعد النكبة .. وامتزجت انتصارات الثورة بانتكاسات النكبة، وسنترك للتاريخ وحده أن يحكم أيهما أرجح .. ومعالم الرجحان لا تتجلى إلا بعد هدوء العواصف والعواطف...

وكنت في ذلك اليوم أجلس على المنصة الرئيسية في جامعة القاهرة، أستمع إلى خطاب الرئيس عبد الناصر، وهو يقلب أوراقه بين يديه، ينتقل من موضوع إلى موضوع .. ويدير بصره في الحاضرين من شرفة إلى شرفة . ووصل الرئيس عبد الناصر إلى الصفحة الأخيرة من خطابه، فركز بصره عليّ، وكأنه يريد أن يخاطبني وحدي، وقال :

" إن الطريق الوحيد أمامنا رغم النكسة هو المحافظة على حقوق شعب فلسطين، ولن نتخلى عن حقوق شعب فلسطين .. هذا أساس القضية .. ولا يمكن رغم النكسة ورغم احتلال سيناء أن نتخلى عن حقوق شعب فلسطين .. وإني أثق أن أجيالاً قادمة سوف تلتفت إلى هذه الفترة وتقول : كانت تلك من أفسى فترات نضالهم، ولكنهم كانوا على مستوى المسؤولية وكانوا الأوفياء لأمانتها .. وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .."

كانت هذه الكلمات هي آخر ما جاء في خطاب الرئيس عبد الناصر في ذكرى ذلك اليوم المنتصر المنكسر .. وانصرف الرئيس عبد الناصر إلى صالة الاستراحة في جامعة القاهرة، ودخلت عليه مع نوابه ووزرائه للسلام والتحية:

وقلت : الخطاب عظيم، ختامه مسك ...

قال : هو ما عجبكش إلا عن فلسطين ...

قلت : الخطاب كله موفق ، خاصة عن فلسطين ..

قال :أنا ما شفنتك من يوم ما سافرت مع الملك حسين إلى عمان

بطائرتة (1967/5/30) ..

قلت : اجتمعنا في قصر القبة أثناء زيارة بودجورني .. واجتماعات

القمة الخماسية ..

قال :لا، هذه اجتماعات عرضية ... أشوفك بكرة .. تعال عندي إلى

البيت ..

وفي اليوم التالي (24 تموز: يوليو) خرجت من مكنتي إلى منشية

البكري.. وإلى منزل الرئيس عبد الناصر .. وتأخر الرئيس نصف ساعة عن

موعده .. وحسبت أنني مخطئ في الموعد، أو أن ساعته مخطئة .. وبدر لي

أن أخرج إلى المكاتب المجاورة، وهي مكاتب السكرتارية، لأتأكد من صحة الموعد .. وإذا بالرئيس عبد الناصر يدخل الصالة، وتدخل يده وساقاه قبله .. وهو يقول .. أنا تأخرت عليك .. قبل قليل جاءتني الميزانية الجديدة، كنت أدرسها، نحن الآن نعد ميزانية تقشف، استعداداً للمعركة...
ثم قال : أحكي لي ... من الأول .. ومن يوم سافرت مع الملك حسين

...

ورويت للرئيس عبد الناصر على ساعة ويزيد ما كان من أمر سفري مع الملك حسين، وما جرى بيني وبينه من أحاديث حول المعركة، وعن سقوط القدس، ثم سفري إلى دمشق وبيروت - وأثينا - وطرابلس ليبيا - والقاهرة إلى آخر تفاصيل الرحلة الطويلة .. كما رويتها في مذكراتي..
وقلت : ولكني أريد أن أسمع عن ظروف المعركة، هنا ... ليس عندي من المعلومات إلا ما قرأته في الصحف.

قال : المعركة أشبه بالحلم، بالخيال، لا أكاد أصدق ما وقع، المعركة انحسرت في اليوم الأول، بعد أن دمر العدو سلاحنا الجوي ومطاراتنا .. القيادة العسكرية وقعت في ارتباك شديد .. أنا كنت أقدر أن المعركة واقعة لا محالة، وأنها ستقع في الخامس من يونيو، وأن الضربة الأولى ستكون موجهة على سلاحنا الجوي، وأنا حذرت القيادة العسكرية بنفسني، ولكن القيادة العسكرية لم تأخذ الموضوع بالجد الكافي .. تصور أن قيادتنا العسكرية بكاملها وعلى رأسها المشير عامر، ومعه الفريق صدقي قائد سلاح الجو، قد غادروا مطار القاهرة إلى سيناء في صباح الخامس من يونيو قبل العدوان الإسرائيلي بـ 5 دقائق في طائرة خاصة، وفي طريقها مرت على مطاراتنا العسكرية فلم تتمكن من الاتصال بها، بعضها كانت تحت اللهب، وبعضها كان يتصل بطائرة

المشير ليخبرها أن مطارهم تحت القصف من قبل العدو .. وعادت طائرة المشير إلى القاهرة دون أن تجد مطاراً واحداً قادراً على استقبالهم .. حينئذ أدركت القيادة العسكرية أن العدو قد قام بهجوم شامل علينا، وقد هبطت طائرة المشير في مطار القاهرة الدولي، ونزل منها المشير عامر والفريق محمود صدقي وأركان القيادة العسكرية، وبعد أن غادروها ببضع دقائق ضربتها الطائرات الإسرائيلية وجعلوها كومة نار ...

وتابع الرئيس عبد الناصر حديثه وهو يمسك أنفاسه وقال ... إن نكبتنا هي نتيجة أخطاء متراكمة منذ سنين .. بعض الناس يظنون أنني أنا الحاكم بأمر الله في القاهرة، وأنه كان يجب عليّ أن أتجنب كل الأخطاء .. أنا لا يمكنني أن أكون بجوار كل ضابط وكل موظف لأطمئن على أنه يقوم بواجبه على أكمل وجه.. البلد فيها مراكز قوى كثيرة غيري، أنا لست مسيطراً على كل شيء .. المرحوم عبد الحكيم عامر كان أعز عليّ من إخواني، ومع هذا كم وكم كنا نختلف، ونبقى نتجادل إلبالفجر حتى نسوي خلافاتنا فيما بيننا .. هو يتنازل شوية وأنا أتنازل شوية ويتم الاتفاق .. لم تكن كل الأمور كما أريدها، كان في قوى كثيرة في البلد تتصارع، ولم يكن بالإمكان لا الاستغناء عنها، ولا اصلاحها بالكامل، كنت أعمل ما أستطيع... الخلاصة أنه يوم جاءت المعركة كانت هذه أوضاعنا....

ومضى الرئيس عبد الناصر في حديثه قائلاً :

بعد ثلاثة ساعات من العدوان أصبح جيشنا بدون غطاء جوي - أولادنا قاتلوا قتالاً شجاعاً في اليوم الأول والثاني .. والذي بقي من سلاحنا الجوي قام بغارات انتحارية علنا العدو وأنزل به خسائر فادحة .. مصفحاتنا ودباباتنا خاضت معارك رهيبية مع العدو وتغلبت عليه في عدة مواقع، ولكنها كانت من

غير غطاء جوي .. خسرتنا خسائر كبيرة أثناء الانسحاب، وانسحابنا لم يكن منتظماً . ففي العدوان الثلاثي عام 1956 قررنا الانسحاب من سيناء وأنا أعلنته بنفسى، وبذلك تجنبنا أن يقع جيشنا في كارثة .. ولكن هذه المرة كان الانسحاب كارثة، لأن القيادة لم ترتب الأمور .. أولادنا العساكر والضباط وصف الضباط مقاتلون أبطال، ولكن مشكلتنا في الضباط الكبار، نحن الآن نسرّح العشرات من الضباط الكبار، وسنقدم المسؤولين إلى المحاكمة .. نحن الآن نعيد بناء الجيش من الصفر .. خسرتنا ثمانين ن في المائة من أسلحتنا، وما لا يقل عن عشرين ألف شهيد وأسير وجريح ومفقود.. وكان معظمهم في أثناء عملية الانسحاب، الذين فقدناهم في المعركة أثناء الالتحام مع العدو كانوا بضع مئات، ولكن الذين فقدناهم أثناء الانسحاب يتجاوزون الألوف، الطيران الإسرائيلي كان يتعقب جنودنا في كل مكان في الصحراء، وكثيرون ماتوا عطشا وتعبا، ولم يستطيعوا الوصول إلى منطقة القنال وهم على قيد الحياة.

وقلت للرئيس عبد الناصر : أريد أن أستوضحكم عن مسألة هامة، هي حديث الجماهير العربية في كل مكان ... هذه المسألة تتعلق بالخطة العسكرية .. أنا أعرف عدداً من العسكريين يرددون أنه كان يجب أن يقوم الجيش المصري بالمبادرة العسكرية، بالهجوم على إسرائيل ... إنهم يقدرّون أن تكون النتيجة أقل سوءاً حتى لو انتهت المعركة إلى هزيمة ... وأنا أذكر أن المارشال مونتغمري كان قد عقد ندوة عسكرية في أكاديمية ناصر (في 15 مايو (أيار) 1967) وقد حضر هذه الندوة كبار العسكريين في مصر، وحضر معهم ثلاثة من ضباط جيش التحرير الفلسطيني، وقد طرح السؤال في هذه الندوة عن احتمالات الحرب مع إسرائيل ... وأن المارشال مونتغمري قد حذر

الجيش المصري من أن يحارب حرباً دفاعية في سيناء، وذكر أسباباً كثيرة تأييدا
لرأيه .. والمهم أن مونتغمري قال هذا الكلام قبل المعركة بعشرين يوماً ...
وقاطعني الرئيس عبد الناصر وقال : لقد وصلني تقرير كامل عن ندوة
المارشال مونتغمري ... الفريق عبد المنعم رياض حدثني عنها شفويّاً في اليوم
نفسه... وأنا طلبت منه أن يلتقي بالمارشال مونتغمري في جلسة خاصة حتى
يعرض عليه أوضاعنا ... إن كلام المارشال مونتغمري يقوم على أساس خطة
مثالية ... ولكننا لنا أوضاع تفرض علينا خطة الدفاع .. فلاسفة الحرب في
العالم العربي أصبحوا الآن يتشدقون ويتساءلون، لماذا، عبد الناصر لم يهجم
.. الناس يقولون إن عبد الحكيم عامر كان يريد الهجوم وعبد الناصر كان
مخالفاً ... الواقع غير هذا بالمرّة ... الحقيقة أنه في 22 مايو كان اجتماع
اللجنة التنفيذية في بيتي، كنا جالسين هنا في هذه الحجرة .. قلت للجنة
التنفيذية العليا إن احتمالات الحرب 50 في المائة، وفيما بعد عقدنا اجتماعاً
آخر وقلت: إن احتمالات الحرب 80 في المائة .. وفي اجتماعاتنا السياسية
والعسكرية كان واضحاً من البداية أن عملنا دفاعي، وأننا لن نقوم بالهجوم ...
وفي هذه الاجتماعات لم يتكلم المشير عامر ولا خلفه بشأن الهجوم على
إسرائيل، وكنت دائماً أوضح ، أي عمل هجومي على إسرائيل سيعرضنا
لمخاطر كبيرة، وأول هذه المخاطر هو أن تهاجمنا أمريكا، وتصريحات أمريكا
واضحة في هذا الموضوع .. وكانت عمليتنا كلها هي عملية دفاعية نقصد من
ورائها أن نردع إسرائيل حتى لا تقوم بأي عدوان على سوريا ... وفي بداية
شهر يونيو أصبح احتمال الحرب مئة في المئة .. وفي يوم 2 يونيو ذهبت إلى
القيادة العسكرية وقلت لجميع المسؤولين العسكريين إن إسرائيل ستوقع ضربتها

علينا في خلال 24 ساعة إلى 72 ساعة ... بل إنني توقعت أن تكون الضربة الأولى في يوم 5 يونيو بالتحديد على سلاحنا الجوي.

قلت : ألم يكن ممكناً الاستمرار في القتال .. حتى بالقوات الباقية ...

قال : كان هذا ممكناً لو أن الجبهة السورية بقيت ثابتة .. لو أن

الجيش السوري استمر في القتال، لا يمكن أن نستمر في القتال الجيش السوري

لم يقاتل في بداية المعركة .. كان نشاطه قاصراً على مناوشات جوية وأرضية

... كان العدو واضعاً كل ثقله على جبهة سيناء .. ولما خُصَّ علينا خُصَّ

على سوريا .. سوريا لم تحارب ... إسرائيل هي التي حاربت سوريا .. كان

يمكن الجيش السوري أن يصمد في الجولان أسبوعين .. تحصينات الجولان

عظيمة، أنا أعرفها، بالإضافة إلى حصانتها الطبيعية، إنها ليست مثل سيناء

صحراء مكشوفة .. نحن أصلاً قمنا بهذه العملية من أجل سوريا، ولما دخلنا

المعركة إخواننا البعثيون لم يحاربوا، أنا اتصلت بالدكتور الأتاسي يوم خمسة

يونيو بالتلفون، وناشدته أن يبدأ الجيش السوري بالهجوم على إسرائيل، سهل

الحولة ومنطقة طبريا وصفد تحت رحمة الجيش السوري .. مصافي البترول في

حيفا ليست صعبة المنال على سلاح الجو السوري .. ولكن إخواننا البعثيين ما

أرادوا أن يحاربوا .. الجيش السوري بطل .. الشعب السوري بطل .. لكن

المشكلة البعثيون.

قلت : لقد كان الوفد السوري برئاسة الدكتور الأتاسي في القاهرة منذ

بضعة أيام، ألم تسألوه عن الأسباب؟

قال : ليس الوقت وقت عتاب ولا تحديد مسئوليات .. كل الذي قالوه

أنهم فوجئوا في المعركة، وأنهم لم يظنوا أنها معركة شاملة، وأنها مثل المعارك

المحدودة السابقة..

قلت : أنا أعرف الوضع العربي جيداً وكذلك فإنني أعرف الوضع الدولي جيداً وخاصة الموقف العدائي الذي وقفته الولايات المتحدة وحلفاؤها .. يهمني أن أعرف موقف الاتحاد السوفيتي.

قال : ولماذا نحاسب الاتحاد السوفيتي .. نحن أولى بالحساب .. صحيح أن موقف الاتحاد السوفيتي قبل المعركة وأثناءها وبعدها لمن يكن الموقف المطلوب .. لم يكن موقفاً حسناً .. ولكن موقف إخواننا البعثيين كان أخطر بكثير .. نحن لا نتوقع من الروس أن يحاربوا معنا .. المعركة معركةنا نحن العرب، ونحن الذين يجب أن نحارب ..

لما جاء الملك حسين إلى القاهرة في آخر شهر مايو ووقعنا اتفاقية الدفاع المشترك مع الأردن .. أنا اتصلت تلفونياً بالرئيس الأتاسي وأخبرته بكل ما جرى بيننا وبين الملك حسين .. وأخبرتهم أننا مقبلون على معركة، وأن الموقف يفرض علينا أن نتفاهم مع الملك حسين وأنت عارف الموضوع من أوله لآخره .. وكان حديث الرئيس الأتاسي فاتراً .. ثم علمت أن إخواننا البعثيين طبعوا عدة صور عن اجتماعنا في القاهرة - أنا والملك حسين وأنت - وكتبوا تحت صورنا " العملاء الثلاثة"، ووزعوها على مكاتب الحزب ودوائر الحكومة، وبقيت هذه الصور معلقة عندهم ولم يسحبوها إلا عند انتهاء المعركة. ثم إنه بلغني أن الدكتور إبراهيم ماخوس (وزير الخارجية السورية) كان يردد في أحاديثه بعد الهزيمة قوله .. بأنهم جروا رجلي إلى المعركة ..

وتابع الرئيس عبد الناصر حديثه، وهو يسحب سيجارته عميقاً إلى صدره .. قائلاً : المعركة ليست معركة عبد الناصر ولا معركة مصر وحدها .. إذا أنا انكسرت، وانكسرت مصر .. فليست الهزيمة علينا وحدنا، إنها هزيمة العرب، وماذا يستفيد البعثيون في دمشق إذا انكسرت مصر وانكسر عبد

الناصر ، فليتفضلوا ويقودوا الأمة العربية إلى النصر ، أنا أعرف أن البعث في دمشق يريد أن يتولى قيادة الأمة العربية ، فليتفضلوا ، الساحة أمامهم مفتوحة ، المعركة أمامهم جاهزة الآن .. لقد انكسرت أنا وانكسرت مصر فليتفضلوا ويقودوا وأنا أمشي وراءهم ، وأضع نفسي تحت تصرفهم ، وإذا انتصروا فسأضع أكاليل الغار بيدي في رقابهم ...

ومضى الرئيس عبد الناصر يتحدث عن حزب البعث فقال: أنا أعلنت عدة مرات إنني أتحمل المسؤولية كاملة بالنسبة للنكسة التي حلت بنا .. والواقع أن حزب البعث يتحمل المسؤولية الكبرى ، ألم يكن حزب البعث هو الذي كان يتحرش بإسرائيل في منطقة الحولة .. ألم يكن هو الذي يتعرض للمستعمرات اليهودية على الحدود باستمرار ، ألم يكن هو الذي استغل حماسة الشباب الفلسطيني وكان يحرضهم على أعمال فدائية قبل أن نستكمل استعداداتنا العسكرية ، لقد فعلت كل جهدي لأتفاهم مع حزب البعث في سوريا ولكني لم أنجح ، إنهم يريدون رأس عبد الناصر ، بعد الانفصال مع سوريا حاولت كل جهدي أن أتفاهم مع حزب البعث .. في شهر مايو ، بعد أن حشدت إسرائيل قواتها على الجبهة السورية أنا أرسلت الفريق فوزي يعرض أسراباً من سلاحنا الجوي لتتواجد في سوريا ، العسكريون السوريون كانوا موافقين ولكن القيادة السياسية لم توافق .. لو كانت بعض قواتنا الجوية موجودة في سوريا أثناء العدوان الإسرائيلي لأمكننا أن نغير سير المعركة .. ولكن حزب البعث كان خائف منا ، خائف من عودة الوحدة ، أكثر من خوفهم من إسرائيل ...

وتابع الرئيس عبد الناصر حديثه قائلاً : وأنا تخليت عن الوحدة من أجل التفاهم مع البعث .. حتى أنني أغضبت الوندويين في سوريا ، جميع القوى الوطنية في سوريا كانت زعلانة مني لأنني سرت مع حزب البعث ،

اعتبروا إني خذلتهم وتخلّيت عن قضية الوحدة .. وكانت النتيجة أنه في صباح الخامس من يونيو كان إبراهيم ماخوس في وزارة الخارجية في دمشق يكتب مذكرة لترسل إلى السفارات السورية في الخارج بأن حزب البعث هو الذي فجر المعركة، وأن المعركة تسير نحو النصر، وأن الفضل يعود في ذلك إلى حزب البعث .. وفي ستة يونيو، بعد أن ظهرت المعركة لا تسير في صالحنا، عدل ماخوس عن المذكرة، وراح يكتب مذكرة أخرى بأن عبد الناصر هو سبب الهزيمة، وأني ورطت حزب البعث وقرروا أن يسحبوا الجيش السوري من الجبهة وأن تتسحب الحكومة من دمشق إلى حمص، وكانت حجتهم في ذلك أنه يجب الحفاظ على نظام الحكم، وأن العدو الإسرائيلي إذا احتل الأرض يمكن استردادها، لكن إذا سقط النظام لا يمكن إعادته .. وهذا ما جرى فعلاً .. فقد انسحبت الحكومة إلى حمص وانسحب الجيش، ولم يبق في دمشق إلا القادة العسكريون ..

كان الرئيس عبد الناصر يتحدث بمرارة وعيناه الواسعتان تشعان غضباً وحزناً، فأمسكت بزمام الكلام لأعطيه فرصة برشف فنجان القهوة الذي طال انتظاره ويهدأ روعه بعض الشيء، وأخذت أتحدث عن جيش التحرير الفلسطيني في قطاع غزة وكيف أن القوات الفلسطينية خاضت معارك ضارية في وجه القوات الإسرائيلية وكبدتها خسائر فادحة في الضباط والأفراد والعتاد، وكيف أن خانيونس قد دخلتها القوات الإسرائيلية ثلاث مرات، وأخرجت ثلاث مرات. واسترسلت في هذه الحديث، وقاطعني قائلاً .. ليت الآخرين مثل جيش التحرير الفلسطيني والشعب الفلسطيني، أنا جاءتني تقارير عن بطولة جيش التحرير في قطاع غزة .. وعلمت أن عدداً من الضباط الفلسطينيين قد انسحبوا مع زملائهم المصريين، وأنا أصدرت أن يعاملوهم مثل الضباط المصريين.

وهنا سألني عبد الناصر: وكيف أحوال المنظمة في الظروف الحاضرة

...

قلت : الشعب والجيش على روح معنوية عالية .. في قطاع غزة والضفة الغربية الأهالي مستعدون للمقاومة المسلحة .. وأنا ما كنت أريد أن أزيد متاعبك بالحديث عن متاعبي ولكن ما دمت تكلمت عن البعثيين، فلا بأس من أن أنقل إليك خبراً مثيراً للذهول .. لقد قررنا في المنظمة بعد النكسة أن نبدأ مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي في داخل البلاد، وقد أفرزنا ثمانية عشر ضابطاً من جيش التحرير م ن أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة لنرسلهم إلى داخل البلاد، إلى مدنهم وقراهم، عند أهلهم وذويهم، لبدأوا إنشاء خلايا مديرية على السلاح، وتشرع في القيام بحرب العصابات .. وسافر ضباطنا إلى دمشق، ليسافروا منها إلى عمان، ومنها إلى الضفة الغربية... وفي دمشق قبضت السلطة على ضباطنا، وأودعوا سجن المزة لثلاثة أيام، وأجرى معهم اللواء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السوري، تحقيقاً واسعاً، وتردد ضباطنا في بادئ الأمر أن يذكروا له الحقيقة، لكنهم، اعتزازاً بمهمتهم وتسهلاً لإطلاق سراحهم، كشفوا ل ه عن حقيقة مهمتهم، وما كان من اللواء سويداني إلا أن اقتادهم في اليوم الرابع إلى مطار دمشق، وركبوا الطائرة إلى القاهرة، وهو يقول لهم " قولوا للشقيري الذي بعثكم، ما لكم طريق من هنا" ووصل ضباطنا الثمانية عشر إلى القاهرة، يروون لي هذه الحكاية، ولولا أن الذين قصوها علي كانوا ثمانية عشر، لظننت أنها أضغاث أحلام، كما يقول العرب... ومع هذا فإن جيش التحرير الفلسطيني في سوريا، ويبلغ ستة آلاف، قد كان في الخطوط الأمامية أثناء المعركة .. نحن ندفع رواتب جيش التحرير في سوريا، وسوريا لا تدفع التزاماتها إلى المنظمة، ولا إلى جيش التحرير الفلسطيني.

وقال : وما هي أحوالكم المالية في الوقت الحاضر ...
قلت : معظم الدول العربية متخلفة عن التزاماتها .. ولا ندري كيف
نستطيع الاستمرار في استبقاء جيش التحرير الفلسطيني ..
قال : بالنسبة لنا ..نحن نتقاسم رغيفنا معكم . وأنت تعلم أننا نعيش
ظروفاً مالية صعبة، وسأصدر الأمر إلى الفري ق فوزي أن يدفع مخصصات
جيش التحرير الموجود عندنا من ميزانيتنا .. إلى أن يفرجها الله ..
وسألني الرئيس عبد الناصر : وكم كانت خسائر جيش التحرير في
الجبهة السورية.

قلت : لم يصلني العدد الكامل حتى الآن.
قال : وهل تعلم أن خسائر الجيش السوري في المعركة كانت عشرين
ضابطاً، ومائة وخمسة وعشرين جندياً .. وهذا العدد أقل من الضحايا الذين
سقطوا أمام بيت الرئيس أمين حافظ لما قامت محاولة انقلابية عليه !!
قلت : يظهر أن القيام بانقلاب في دمشق أهم من الحفاظ على الجبهة
السورية، وأعلى ثمناً من الدفاع عن الوطن ..

قال : البعثيون ليسوا وحدهم مصدر الشر في الوطن العربي ..
مصيبتنا أيضاً في أبو رقية، وفي الحسن، وفي الحسين ..
قلت : أنا أعرف هؤلاء الثلاثة .. ولكن هل من جديد بشأنهم .. قال :
الحسن الثاني يهاجمنا في مجالسه .. مثل الملك فيصل .. قال الملك حسين أن
خطأنا الأكبر أننا لم نبدأ بالهجوم، وأنه لو كان هو مكاننا لكان البادئ
بالهجوم. طيب يتفضل يحل مكاننا ويتفضل يهجم، من يمنعه من الهجوم. لكن
هو قبل أن يتكلم فليخلص المغرب من النفوذ الاقتصادي اليهودي .. اليهود في

المغرب مستولون على زمام الاقتصاد في المغرب. الحسن الثاني ألقى القبض على مئات الطلاب والعمال والشباب لأنهم قاموا بمظاهرات وإضراب أيام حرب يونيو ... واعتقل محجوب بن صديق الأمين العام لاتحاد العمال في المغرب بتهمة إهانة السلطة . هل التحرك الوطني في المغرب يعتبر إهانة للسلطة .. أما الحسين ملك الأردن فلم ترك بلداً في أوروبا وأمريكا إلا وأعلن فيها أن أمريكا وبريطانيا لم يكن لهما ضلع في العدوان الإسرائيلي .. مع أن الملك حسين اتصل بي يوم 7 يونيو عند الفجر وقال لي أن 400 طائرة تهاجم الجبهة الأردنية، وأن أجهزة الرادار في الأردن اتضح لها أن هذه الطائرات أمريكية وبريطانية .. والحبيب بور رقيبته بدأ يتكلم علينا بعدما انتهت الحرب .. وكذلك فإن الشباب في تونس الذي قاموا بمظاهرات يوم خمسة يونيو هم الآن في السجون، وينتظرون محاكمة عسكرية .. كيف نرجو خيراً للأمة العربية من أمثال هؤلاء الناس ..

قلت : بل إن الملك حسين قد فضح نفسه بنفسه، فقد أعلن في مؤتمراته الصحفية التي عقدها في الولايات المتحدة، بأنه كان مضطراً لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع الجمهورية العربية (30 أيار 1967) والدخول في الحرب، وأنه لم يكن له خيار نظراً للظروف التي كانت تسود المنطقة آنذاك .. على كل حال، هؤلاء الذين سيحضرون مؤتمر القمة المقبل ..

قال : أنا أعلم ما يقول الناس عن مؤتمر القمة، وصلنتني تقارير عن مصر والبلاد العربية، أنه كيف عبد الناصر يوافق على حضور مؤتمر القمة في الخرطوم مع أنه هو الذي قاطع مؤتمرات القمة في سنة 1966، وأن هذا الموضوع يؤثر في كرامتي أنا وافقت على مؤتمر الخرطوم لأضع الجميع أمام مسؤولياتهم كرامتي الشخصية ليست موضوع بحث .. ولا يهمني كذلك إذا قيل

أن حضوري مؤتمر القمة سيكون محل شماتة. أنا لا يهمني لا الشماتة ولا الكرامة . ولا أنا ذاهب لأخرج أحداً .. اللي عاوز يساهم في المعركة يتفضل .. واللي مش عاوز تترك حسابه لشعبه..

وعدت السؤال مرة ثانية .. ما هو موقف أصدقائنا الروس .. قال : العلاقات الدولية لا يوجد فيها صداقة .. الروس يساعدوننا . لهم مصالح في المنطقة .. ونحن لنا مصلحة في مساعدتهم . أنهم يقدمون لنا معونات اقتصادية وعسكرية .. نحن لا نستغني عن الروس في الظروف الحاضرة . أمريكا فرضت علينا حصاراً كاملاً .. ولم يعد أماننا لا أن نمد أيدينا إلى الروس.

قلت : وماذا كان موقفهم قبل المعركة وأثناءها..

قال :طبعاً لا يساعدوننا كما تساعد أمريكا إسرائيل .. أمريكا تقدم لإسرائيل بدون حساب .. وروسيا تقدم لنا بعد ألف حساب وحساب .. أمريكا تريد أن تهزمتنا إسرائيل بأي ثمن .. وروسيا لا تريدنا أن ننتصر على إسرائيل .. العملية عملية مصالح متوازنة .. الاتحاد السوفيتي يتطلع إلى قيام جمهوريات شيوعية في الوطن العربي، ونحن نقاوم ذلك بكل قوتنا، لا نريد استبدال استعمار باستعمار .. أنت تذكر أنني تخاصمت مع خروشوف حول هذا الموضوع .. نحن لا نوافق على قيام نشاط شيوعي في المنطقة .. وأعلنا دائماً أن صادقتنا مع الاتحاد السوفيتي تقوم على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة وعدم التدخل .

قلت : (وأنا أعود إلى السؤال مرة ثانية) ما هو موقف الاتحاد

السوفيتي قبل المعركة وبعدها؟..

قال : أنا عارف من الأصل أن الروس لا يحاربون من أجلنا، ولا يريدون أن يصطدموا مع الأمريكان من أجلنا، وأن مصلحتهم هي بقاء إسرائيل حتى يظل النزاع مستمراً في الشرق الأوسط، ونظل محتاجين للاتحاد السوفيتي .. لكن لا شك أن أمريكا قد انتصرت علينا وعلى الروس في هذه الحرب .. الأمريكان خدعوا الروس، وقالوا لهم أن يضغطوا علينا وأن لا نبدأ بالقتال .. وحصل هذه فعلاً .. السفير السوفيتي أبلغني رسالة من قادة الاتحاد السوفيتي يلحون أن لا نكون البادئين بإطلاق النار، كما أن أمريكا ستضغط على إسرائيل .. يوم السبت في 3 يونيو مساء جاءني السفير السوفيتي وقال لي إن الاتحاد السوفيتي على يقين بأن الأزمة في طريقها إلى الهدوء، وإن إسرائيل لن تكون البادئة بالهجوم .. هذا مع العلم بأنه قبل أسبوع، لما كان عندنا يوثانت، سلمني برقية وصلت إليه من الرئيس جونسون وهو في القاهرة يطلب أن يبلغني بأن أمريكا ترى أن إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية يعتبر عدواناً على إسرائيل ومن حقها أن تدافع عن نفسها .. ولكن ظهر الآن أن أمريكا لم تضغط على إسرائيل .. كان هنالك تواطؤ بين أمريكا وإسرائيل على ضرب القومية العربية ... أمريكا حققت سياستها وانتصرت .. الأمريكان كانوا أشطر من الروس .. أنا لا أريد أن أنسب سوء النية إلى الروس .. ولكن الروس تركونا وحدنا في المعركة .. كانت باخرة التجسس الأمريكية " لبيرتي " تساعد اليهود وأمريكا قدمت لإسرائيل كل المعلومات التي حصلت عليها عن طريق الأقمار الصناعية .. والأسطول الروسي كان في شواطئنا لا يفعل شيئاً، ولا يقدم لنا أي خدمة، ولو مظاهر عسكرية، وانتهت المعركة وكان الروس غير موجودين في المنطقة ... لقد كان الأسطول الروسي في شواطئنا وكان بإمكان الرادار السوفيتي في السفن الحربية السوفيتية أن يقدم لنا معاونات قيمة، ولكنه

لم يفعل .. هذا مع العلم أن شمس بدران (وزير الحربية) حينما ذهب إلى موسكو في 25 مايو لبيحث مع الروس مدى المساعدات التي يمكن أن يقدموها لنا، أخبره قادة الاتحاد السوفيتي الثلاثة، بود جورني وبريجنيف وكوسيجين، أن موسكو تؤيد القاهرة من غير تحفظ ولو أدى ذلك إلى احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة.

قلت : والأسلحة السوفيتية ؟ ألم يكن بالإمكان أن ترسل روسيا طائرات مقاتلة أثناء حرب الأيام الستة ؟

قال : الأسلحة السوفيتية التي كانت عندنا هي أسلحة دفاعية .. ليست أسلحة هجومية، الأمريكان أعطوا إسرائيل أسلحة أحسن من السلاح الذي قدمته روسيا لنا، مع أن الروس يملكون أسلحة متفوقة.

وحينما ضرب العدو طياراتنا ومطاراتنا في خمسة وستة يونيو طلبت من الاتحاد السوفيتي أن يرسل إلينا طائرات مقاتلة بدلاً من الطائرات التي فقدناها حتى نستطيع أن نواصل المعركة، وتردد قادة السوفيت في بادئ، وبعد إلحاح، وافقوا بشرط أن تمر الطائرات المطلوبة عن طريق يوغسلافيا .. وقد اتصلت بالرئيس تيتو فوافق على ذلك، ولكن الاتحاد السوفيتي أبدى خشية أن يتعرض الأسطول الأمريكي للطائرات السوفيتية حتى ولو كانت عن طريق يوغسلافيا، واقترحوا أن يرسلوها إلينا عن طريق الجزائر، ووافقنا على ذلك، يوم 8 يونيو قالوا أن الأمر يحتاج إلى بضعة أسابيع .. وهكذا انتهت المعركة دون أن يمدنا الاتحاد السوفيتي بالطائرات المطلوبة ...

ووضع الرئيس عبد الناصر يده على جبينه، وهو يستذكر تلك الأيام الرهيبة .. وقال : ولقد وقع حادث آخر، ولا أزال في حيرة من تفسيره ... ففي اليوم السادس من يونيو كانت وصلت إلى شواطئنا سفينة سوفيتية محملة بمدافع

كنا طلبناها قبل العدوان، وبعد أن اقتربت من شواطئ الإسكندرية عادت إدراجها دون أن تفرغ شحنتها، بحجة أن الطائرات الإسرائيلية قد تقصفها .. مع أننا لو استلمنا هذه الأسلحة في وقتها لكان بإمكاننا الصمود بضعة أيام في مواقعنا الرئيسية في سيناء..

قلت : والأسلحة التي تصلكم الآن؟."

قال : نحن الآن محتاجون لكل شيء، لأي شيء، تحطم جيشنا وتدمر سلاحنا.. نحن نبدأ من جديد .. ولذلك فنحن نقبل ما تعطيه روسيا لنا، وبعد هذه المرحلة سنطالب بطيران متفوق .. المعركة معركة طيران .. الطيران هو الذي يقرر مصير المعركة .. وسنطالب الروس أن يقدموا لأجود طائراتهم، خصوصاً أننا أصبحنا بعيدين الآن عن إسرائيل .. قبل حرب يونيو كانت مطاراتنا في سيناء قريبة من الأهداف العسكرية في إسرائيل .. أما الآن فإن الوضع قد تغير، هذا ما نؤمله من الروس في المرحلة الحاضرة ..

واستطرد الرئيس عبد الناصر قائلاً : والإذاعة السعودية تلاحقنا أن تتخلى عن صداقتنا مع الروس .. أنا مستعد أن أتخلى عن الروس، ولكن من أين نأتي بالأسلحة، حتى الدفاعية .. هل الملك فيصل يريد أن يعرفني على أهداف الاتحاد السوفيتي .. نحن نعرف الاتحاد السوفيتي جيداً .. نحن كنا في المعركة سنة 1948 في فلسطين ، وكانت تصلنا الأخبار عن مناقشات الأمم المتحدة ... وأنا لا أنسى أن جروميكو وزير الخارجية الروسية كان بدافع عن إسرائيل مثلاً أمريكا وأشد، في مجلس الأمن كانت روسيا تسند إسرائيل .. كانت تعارض في خروج القوات الإسرائيلية من النقب .. وبقي الموقف الروسي عدائياً إلى أوائل الخمسينات ... هذه الأمور وغيرها نعرفها حق المعرفة .. أين كان

فيصل لما كنا محاصرين في الفالوجة، وكان جروميكو في خطبه في الأمم المتحدة يساند إسرائيل علينا .. أنت عارف هذه الأمور كلها... وكان الرئيس عبد الناصر يتحدث وكأنه وجد ضالته المنشودة .. كان يبحث عن شخص يحدثه عن همومه، ليخرجها من صدره، حتى يستريح ولو بعض الشيء .. وكان يريد أن لا يكون هذا الشخص ملكاً، ولا رئيساً ... وربما لا يريد أن يكون مصرياً ... فكنت أنا ذلك الشخص ... فلسطيني ... لاجئ ... غير مسئول ... عاش القضية كل عمره...

وأردت أن أخفف عن الرئيس عبد الناصر بعض الشيء فأردت أن أنتقل إلى ناحية أخرى في الموضوع، لعل فيها شيئاً من العزاء والرجاء ... فقلت : وما هو موقف الرئيس الجزائري بومدين، لقد لاحظت أنه كان فائراً بعد انتهاء اجتماع القمة الخماسية...

قال : الرئيس الجزائري بومدين يريد منا استئناف القتال .. وأنا أريد استئناف القتال ولكن لا أستطيع ذلك قبل أن نستكمل استعداداتنا العسكرية .. بومدين يريد أن نباشر الحرب الآن ولو على طريقة حرب العصابات، ونحن غير مستعدين لهذه العملية، عندنا مشاكل اقتصادية كبيرة، وعندنا أعداء في الداخل، وعندنا أمريكا تتريص بنا الدوائر ... أمريكا تريد إسقاط الحكم الوطني في البلاد العربية، ابتداء من مصر .. ثم أن بومدين كان يعارض أصلاً في وقف إطلاق النار .. كان يريد أن نستمر في الحرب حتى ولو دخلت إسرائيل إلى القاهرة وإلى دمشق وإلى بغداد لأن ذلك في رأيه يجعل المعركة في الوطن العربي كله...

واستطرد الرئيس عبد الناصر قائلاً : والواقع أن هذا كان ممكناً لو أن هذا كان ممكناً لو أن الأمة العربية كانت منظمة على الصعيد الشعبي، وأنا

أفكر بعد إزالة آثار العدوان أن أستقيل من رئاسة الجمهورية وأن أكرس كل وقتي للاتحاد الاشتراكي حتى ننظم الجماهير العربية، ونكون قادرين على الاستفادة من طاقات الشعوب العربية، ونكون قادرين على الاستفادة من طاقات الشعوب العربية .. هذا هو جوهر الخلاف بيني وبين الأخ بومدين...
وهنا سألني الرئيس عبد الناصر : وأنت ما هو رأيك في الموضوع؟
قلت : كلاهما على حق ..
قال : (مقتهماً) كيف، كلانا على حق .. لا بد واحد يكون على حق،
والآخر على الباطل..

قلت : كل واحد منكم يمثل مدرسة عسكرية... أنت كنت في الجيش النظامي، وابومدين كان في جيش التحرير، في جيش العصابات .. ولذلك فتفكيرك نظامي، وتفكير ابومدين تفكير عصابات .. أنت تريد أن تقود النضال وأنت رئيس دولة ... وبومدين كان يقود النضال وهو ضابط في خنادق الشعب ..

وسألني الرئيس عبد الناصر : وصاحبك الملك فيصل ما هو موقفه؟
وماذا تتوقع أن يكون موقفه في مؤتمر القمة ...
قلت : الملك فيصل صديقي صحيح، ولكن سابقاً ... الملك فيصل عنيد جداً، ولا أستبعد أن يعتذر عن حضور مؤتمر القمة .. وإذا حضر فإنه سيصر على حل مشكلة اليمن، إنه يريد أولاً " إزالة العدوا ن المصري" عن اليمن ، قبل أن يفكر في إزالة " آثار العدوان الإسرائيلي" على البلاد العربية..
وعدت مرة ثالثة أسأل عن موقف الاتحاد السوفيتي .. وماذا سيفعل الاتحاد السوفيتي من أجل إزالة آثار العدوان...

قال : الاتحاد السوفيتي يركز كل جهوده في الوقت الحاضر على الأمم المتحدة، والرئيس بود جورني حينما كان عندنا في القاهرة في الأسبوع الماضي ركّز على العمل السياسي داخل الأمم المتحدة وخارجها ... وأنهم سيواصلون الضغط على الرئيس جونسون ليضغط على إسرائيل للوصول إلى التسوية السلمية ...

قلت : وما هو رأي سيادتك في هذه المحاولة...

قال : نحن نتبع الطريقتين .. نقوي جيشنا ونجرب طريقة الأمم المتحدة .. بعد العدوان الثلاثي عام 1956 نجحت تجربة الأمم المتحدة في إجلاء إسرائيل عن سيناء وقطاع غزة

قلت : الظروف تغيرت .. اليوم لا يوجد إيزنهاور ولاخروشوف ..

قال :على كل حال لا ضرر من التجربة .. وإن كان الناس في مصر متحمسين .. يريدون إخراج إسرائيل بالقوة ... البارحة كنت في حديث مع ابني خالد حول هذا الموضوع ... خالد والشباب متحمسون، إنهم لا يريدون إخراج إسرائيل عن طريق الأمم المتحدة، ولكنهم يريدون أن نغسل العار ونخرجهم بالقوة..

وطالت الجلسة، وأحسست أنني أثقلت على الرئيس عبد الناصر في هذا الحديث، فنهضت أستأذن بالانصراف وسرنا إلى الباب الخارجي والرئيس عبد الناصر يسألني :

أيه رأيك في كلام خالد؟

قلت : هل تريد الحق؟

قل : نعم .. أيه الحق ؟

قلت : أنا مع خالد ولست مع أبو خالد ...

فقهه ضاحكاً وقال : كله واحد .. معي ومع خالد كله واحد ..
وانصرفت إلى منزلي، وإلى مكتبي لأدون ما دار بيني وبين الرئيس
عبد الناصر من حديث، وأدونه في يومياتي كاملاً، فلا يسقط منه موضوع ولا
معنى، ولا يسقط منه ملك أو رئيس ...
لقد كان حديثاً شاملاً وأحسب أن حكام العرب سيقرأون هذا الحديث،
وهم يعجبون أو يضحكون ..

والله تعالى يقول في كتابه الكريم :

"أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تتكفون".

صدق الله العظيم

هل جئتم لإزالة العدوان..

أم لإزالة منظمة التحرير

انهزم الملوك والرؤساء الهزيمة الكبرى في معركة الأيام الستة في حزيران (يونيو) عام 1967 .. وتوالت بعد ذلك الهزائم السياسية واحدة بعد الأخرى .. تماماً كالمسبحة المفروطة، حين تتساقط حبة بعد حبة. وكانت أولى الهزائم السياسية أن مجلس الأمن قد قرر وقف القتال، دون أن يقرر عودة القوات الإسرائيلية إلى خطوط ما قبل القتال..(1967/6/9)

ولقد قضيت في الأمم المتحدة قرابة خمسة عشر عاماً من عمري، أعطيتها كل جوارحي، حتى لم يبق عليّ إلا أن أمد فراشي في أورقتها وأنام فيها، ولم أشهد في جميع القضايا التي عالجتها الأمم المتحدة، سابقة واحدة قررت فيها الأمم المتحدة وقف إطلاق النار إلا وقرنته بالعودة إلى خطوط ما قبل القتال ..

وهكذا فقد جاءت حرب حزيران هي السابقة الوحيدة، والاستثناء الأوحد ... وقف القتال من غير عودة إلى الوراء ...

وكانت الهزيمة السياسية الثانية ذلك الفشل الذريع الذي انتهت إليه الدورة الطارئة للأمم المتحدة التي انعقدت بناء على اقتراح الاتحاد السوفيتي (19 حزيران) وكانت النتيجة أن رفضت الجمعية العامة جميع مشروعات القرارات التي عُرضت عليها بشأن انسحاب القوات الإسرائيلية ... واستمرت القوات الإسرائيلية تحتل الأراضي العربية المحتلة ... ولم لا .. فالأمم المتحدة، من حيث النتيجة، لم تقل لإسرائيل : أخرجي من الأراضي المحتلة... وبعد هذه الهزائم السياسية على الصعيد الدولي، جاءت الهزائم السياسية على الصعيد العربي.

وإن الباحث عن الأسباب لا يعدم أن يجد سبباً، ولو هزيباً، للهزائم السياسية على الصعيد الدولي .. ولكننا لا نستطيع أن نجد سبباً للهزائم السياسية التي منينا بها في الوطن العربي ... إلا أن الملوك والرؤساء جديرون بهذه الهزائم على الصعيدين الدولي والعربي سواء بسواء ...

أما على الصعيد العربي، فقد وقفوا أمام النكبة يتنأبون، كأنما الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل ليست أرضاً عربية، وكأنما الكرامة العربية التي أهدرت ليست بذات قيمة .. وكأنما مصير الأمة التي يحكمونها ليس بذى موضوع !!

وبقي كل حاكم عربي في عاصمته مكتوف اليدين، معقود الساقين، ولكن مطلق اللسانين : لسان الإذاعة، ولسان الصحافة، يخادع الجماهير العربية، ويرد أسباب النكبة إلى مئة سبب وسبب، حتى يحجب الحقيقة الأزلية إنه هو السبب !!

وهذا هو حكم قاس، من غير شك، ولكنه حكم عادل ومنصف، فإن قسوة الحكم متوازية مع هوية المجرم وماهية الجريمة ..

ولم يكف أن الملوك والرؤساء كانوا السبب الأكبر في الهزيمة، وأن تفاوت درجات المسؤولية في أعناقهم .. ولكنهم بعد أن وقعت وتمت .. وبعد أن أعلنوا أنها ستكون عبرة ودرسا، لاذوا بالفرار .. تماماً كما يفعل المجرمون العاديون، يقتربون الجريمة ثم يفرّون.

وفرّ الملوك والرؤساء إلى مخابئهم، إلى قصورهم، يفكرون في طمس معالم الجريمة، بإطلاق شعار جديد يكون ملهة للجماهير، يخدرها ويعزبها ويسليها ...

ومن هنا جاء الشعار الجديد " إزالة آثار العدوان " بعد الهزيمة .. وكان تدمير إسرائيل وتحرير فلسطين هو الشعار السابق الذي أعلنه الملوك والرؤساء، قبل الهزيمة، في مؤتمرات القمة الثلاثة، في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء ...

وكما كان الشعار السابق عبثاً ولهواً، فقد جاء الشعار الجديد أعبث لهواً، وألهى عبثاً .. وأخذت الأحداث تتكلم ..

وأول هذه الأحداث أن وزراء خارجية الدول العربية لم يجتمعوا إلا في السادس عشر من حزيران (يونيو) في الكويت ... أي بعد عشرة أيام من العدوان .. وكان من حق الأمة العربية المنكوبة بإسرائي ل، وبالحكم العربي أن تتساءل :

- ماذا كان يفعل وزراء الدول العربية طيلة هذه الأيام؟

- ولماذا لم يجتمع وزراء خارجية الدول العربية فور العدوان ؟

ولكن ما هو أهم من ذلك .. فإن من حق الجماهير العربية أن تقذف

بسؤال أكبر في وجه الملوك والرؤساء : ماذا كنتم تفعلون أثناء العدوان؟...

ولماذا لم تجتمعوا فور العدوان؟؟.

ومع هذا فإن اجتماع وزراء الخارجية في الكويت قد انعقد لبضعة

ساعات، وركب الوزراء بعدها طائرة واحدة إلى نيويورك ليخطبوا خطباً

ضجرت من أمثالها سقوف الأمم المتحدة وجدرانها، منذ أن خطب على منبرها

نوري السعيد، وفارس الخوري، وكميل شمعون، وفيصل بن عبد العزيز، في

عام 1948 مهديين ومنذرين .. وذهب كل ذلك أدراج الرياح، وبقيت الرياح!!

وظل الملوك والرؤساء يشدون أبصار الجماهير العربية وأسماعها إلى الأمم المتحدة، كأنما إزالة آثار العدوان، ستنتم في نيويورك لا في الوطن العربي...

وانتهت الدورة الطارئة إلى فشل ذريع (4 يوليو - تموز) ولم يتحرك الملوك والرؤساء من مخادعهم، وهم مشغولون بمخادعة الأمة العربية عن بلواها، لتتسى أنهم هم بلواها.. وما بلواها إلا هم..
وحصل اجتماع واحد فقط .. هو اجتماع القمة الخماسية (12 يوليو - تموز) ووصفه الرئيس عبد الناصر بأنه " تم من غير ترتيب ..". فقد حضره الرؤساء عبد الناصر والاتاسي وبومدين والأزهري وعارف ... وتخلله ملك واحد هو الحسين بن طلال...

وكل ما استطاع أن يفعله هذا الاجتماع الخماسي، أنه قرر الدعوة إلى اجتماع قمة أكبر، في الخرطوم، يسبقه اجتماع وزراء خارجية الدول العربية للدرس والتنسيق والتمهيد ... وبدأت الاجتماعات..

اجتمع وزراء خارجية الدول العربية في الخرطوم في 1 آب (أغسطس)
.. واجتمع مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبتترول العرب في 15 آب - (أغسطس) في بغداد ... ثم عاد وزراء خارجية الدول العربية للاجتماع في الخرطوم في 26 آب - أغسطس، واجتمع مؤتمر الملوك والرؤساء في الخرطوم في 12 آب- (أغسطس).

ومعنى ذلك أن الملوك والرؤساء الذين كان يفرض عليهم الواجب الوطني، أو تفرض عليهم ضخامة الهزيمة وجسامة النكبة أن يجتمعوا يوم العدوان أو بعد انتهاء العدوان مباشرة، لم يجتمعوا إلا بعد خمسة وثمانين يوماً

من احتلال سيناء والجولان والضفة الغربية .. وما أرخص الوطن العربي على ملوكه ورؤسائه..

واجتماعات وزراء الخارجية هذه .. ما جدواها ... وماذا تستطيع أن تنسق أو تمهد ... هؤلاء الوزراء لا يملكون من أمرهم شيئاً، ولا يعكسون رغبات شعوبهم .. هؤلاء ليسوا أعضاء في حكومات ديمقراطية، مسئولة أمام الشعب .. هؤلاء موظفون عند الملوك والرؤساء، يعزلونهم ويعينونهم متى شاؤوا ... والملوك والرؤساء بدورهم لا يمثلون مشيئة الشعوب، ولا يستمدون سلطتهم من رغبات الشعوب ... الملوك ورثوا السلطنة عن آبائهم بالسيف والترس ... والرؤساء وصلوا إلى الحكم عن طريق الدبابة والمدفع * ... وليست في حاجة أن أذكر الإستثناءات فإنه ضائع في الجماعة!!

ومثل هذا النوع من الحكم في الوطن العربي من شأنه أن تتلاحق على يديه المصائب، وأن تكون النكبات من بعض إنجازته، ومثل هذا الحكم إذا حلت في عهده الهزائم لا يستطيع أن يجد لها حلاً، ولا منها مخرجاً ... بل إن الحكم الأجنبي الصديق، تحقيقاً لمصالحه ومطامحه، كان أكثر جدية في الأخذ بزمام المبادرة .. وها نحن نرى الدول الشيوعية، تعقد في هذه الفترة اجتماعين للقمة : أحدهما في التاسع من حزيران (يونيو) في شبه جزيرة القرم، والثاني في 11 تموز (يوليو) في بلغراد، للنظر فيما يجب عمله للحفاظ على سمعتهم ومصالحهم في الشرق الأوسط، وقد نزلت بها الشروخ والصدوع في أعقاب حرب الأيام الستة.

وكذلك فإننا نرى المارشال تيتو، الصديق الشخصي للرئيس عبد الناصر، تحركه المصالح والمبادئ، فيعرض مشروعاً لحل أزمة الشرق الأوسط..

* يعني المؤلف بالأنظمة التي كانت سبب النكبة، وليس الأنظمة التي قامت رداً على النكبة.

ويحملة وزراؤه وسفراؤه، إلى القارات الست.. وقد وصل هذا المشروع إليّ بوصفي رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية... والمنظمة هي إحدى المؤسسات التي أثبتت وجودها في القارات الست، بعد عشرين عاماً من ضياع الشخصية الفلسطينية..

ومشروع الرئيس تيتو، على خيره وشره، قد أشغل الرأي العام الدولي وحرك قضية الشرق الأوسط لزمان غير قصير.. وراحت وكالات الأنباء تتبارى في التكهن بمحتوياته، وقد آن الأوان لمذكراتي أن تنشره كاملاً، عن مذكرة وصلتني من السفارة اليوغوسلافية في القاهرة... "سري جداً" وختمتها بالعبارة التقليدية "وتقبلوا تحيات السفارة اليوغوسلافية.. " وينص المشروع على ما يلي :

أولاً - انسحاب القوات الإسرائيلية تحت إشراف مراقبي الأمم المتحدة من الأراضي العربية التي تحتلها منذ نشوب القتال في الخامس من حزيران (يونيو) الماضي.

ثانياً - يتولى مجلس الأمن أو الدول الأربع الكبرى ضمان جميع دول المنظمة وحدودها ريثما يتم وضع حل نهائي للقضايا المتنازع عليها ولتحقيق هذه الغاية يمكن وضع قوات دولية على جانبي الحدود. ثالثاً - حرية المرور لجميع السفن في مضائق تيران (خليج القبة) إلى حين صدور قرار من محكمة العدل الدولية.

رابعاً - تكون الملاحة في قناة السويس كما كانت قبل الخامس من حزيران .

خامساً - بعد تنفيذ هذه الإجراءات يتخذ مجلس الأمن الدولي خطوات لحل القضايا الأخرى المتنازع عليها وفي مقدمتها مشكلة اللاجئين

الفلسطينيين وقضية مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس ويجري اتخاذ هذه الخطوات بمساهمة مباشرة من الفرقاء المعنيين".

والمارشال تيتو هو الذي حمل مشروعه بنفسه إلى القاهرة، فقد وصل إليها بعد شهر واحد من وقف إطلاق النار على رأس وفد يوغسلافي كبير (1967/8/10).. وقد مهدت المصادر اليوغوسلافية في بلغراد لهذه الزيارة فأعلنت " أن يوغوسلافيا لا يمكن أن تؤيد على الإطلاق أي عمل سياسي لحل أزمة الشرق الأوسط إلا إذا كان هذا الحل مقبولاً لدى الدول العربية ". فكان ذلك إيذاناً بأن يوغوسلافيا قد أعدت مشروعاً لحل أزمة الشرق الأوسط. وكان هذا هو الواقع فعلاً فقد عرض المارشال تيتو على صديقه الرئيس عبد الناصر بنود المشروع .. واجتمعت بالمارشال تيتو في السفارة اليوغوسلافية .. وسمع الجواب .. من الرئيس عبد الناصر ومني...

أجاب الرئيس عبد الناصر بأن المشروع جدير بالدرس وأنه يحسن بالرئيس تيتو أن يعرضه على سوريا والعراق فإن قبلاه فهو مستعد لقبوله .. وإلا فلا بد من البحث عن طريق آخر .. وأجبت بأن الشعب الفلسطيني ليس فريقاً في الأمم المتحدة ولا يسعه قبول هذا المشروع، لأنه يترك قضية فلسطين في مجموعها من غير حل ... ويجعل الأمر بين يدي مجلس الأمن .. ويكفي أن مجلس الأمن فيه الولايات المتحدة !!

وحسب التقاليد الدبلوماسية فقد كذبت المصادر اليوغوسلافية أن الرئيس تيتو يحمل مشروعاً، وأذاعت وكالة الأنباء اليوغوسلافية رسالة من القاهرة بأن "

ما نشرته الصحافة عن " مشروع السلام " اليوغوسلافي ما هو إلا استنتاج وتنبؤ غير صحيحين!!"

ونتيجة لإجابة الرئيس عبد الناصر فقد سافر الرئيس تيتو إلى دمشق (13 آب - أغسطس) وبقي فيها يومين، اجتمع خلالهما بالرئيس السوري الدكتور نور الدين الأتاسي وإخوانه ... ولم توافق سوريا على مشروع المارشال تيتو، وطالبت بإدخال تعديلات أساسية عليه حتى أصبح مشروعاً بعثياً لا يوغوسلافياً.

وصدر بيان صحفي على أثر انتهاء المباحثات السورية اليوغوسلافية يغطي الرفض بعبارات ناعمة، تقول : " إن المباحثات تعتبر إسهاماً جديداً في تعزيز العلاقات بين البلدين الصديقين لتعزيز الجهود المشتركة لإزالة آثار العدوان الإسرائيلي على البلدان العربية .. وإن المباحثات جرت في جو ودي وتم خلالها تبادل وجهات النظر في الأزمة القائمة في الشرق الأوسط وفي الوضع العالمي وفي تطوير العلاقات بين البلدين ". بيان كله مقدمات من غير نتائج.

وغادر المارشال تيتو دمشق إلى بغداد، إكمالاً لمهمته، وقد بقي فيها يوماً واحداً، سمع فيها من الرئيس عبد الرحمن عارف ما سمعه في دمشق، ولكن بلهجة أكثر اعتدالاً ... ولم يصدر بيان صحفي ولا بلاغ مشترك، وعاد إلى القاهرة، حيث توجه منها إلى الإسكندرية، مع الرئيس عبد الناصر لاستكمال المباحثات في جو أكثر هدوء وصفاء.

ولم تسفر مباحثات الإسكندرية عن قبول مباشر لمشروع الرئيس تيتو ... ولكن تم الاتفاق بين الرئيسين اليوغوسلافي والعربي أن تستمر المساعي السياسية لتأييد وجهة النظر العربية وأن يظلا على اتصال فيما بينهما، وصدر

بيان مشترك يؤكد " أنه لا يمكن الوصول إلى حل لهذه الأزمة إلا باحترام الحقوق والمصالح العادلة للشعوب العربية ... وضرورة مساعدة الدول العربية بما يمكنها من تعويض ما سببته الحرب من خسائر وبدعم طاقاته الاقتصادية والدفاعية من أجل المقاومة الفعالة لأية محاولة للعدوان ". وكانت هذه العبارة الأخيرة موجهة للاتحاد السوفيتي .

وأعلن الرئيس تيتو في مؤتمره الصحفي " إن هناك تفاهماً بيننا وبين الدول العربية على ما سوف يتخذ من إجراءات لحل هذه الأزمة حلاً سياسياً" وكانت هذه العبارة موجهة إلى الولايات المتحدة..

ويوغوسلافيا بزعامة الرئيس تيتو تحسن مخاطبة الروس والأمريكان معاً، وقد انتفعت من الفريقين معاً .. وهي، بعد إسرائيل، الدولة الأولى في تلقي المعونات الأمريكية.

وكانت ردود الفعل على مشروع الرئيس تيتو متباينة ...

فقد تلقى الرئيس الأمريكي ليندن جونسون مشروع السلام اليوغوسلافي مع رسالة من الرئيس تيتو حملها وزير خارجيته ماركو نيكزيتش .. ولم يقابله الرئيس الأمريكي باكتراث .. واكتفى الناطق الصحفي في البيت الأبيض بقوله : " إن هنالك عدة حكومات مهتمة في عروضها، يحدوها الأمل بإمكان تسوية أزمة الشرق الأوسط ..

وتسلم الرئيس الفرنسي شار ديغول المشروع اليوغوسلافي، وأعلنت المصادر الفرنسية أن الجنرال ديغول موافق عليه بصورة عامة وأن حل أزمة الشرق الأوسط يتطلب موافقة الدول الأربع الكبرى.

أما في لندن فقد وقفت الحكومة البريطانية موقف الحيطة والحذر فقد
أعربت الدوائر المطلعة عن رأيها في أنه من المحتمل أن ينال المشروع
اليوغوسلافي عطف العواصم الدولية الكبرى..
ولم تتحدث موسكو عن المشروع اليوغوسلافي، لأن الرئيس تيتو قد أعده
أصلاً، بالتفاهم مع الاتحاد السوفيتي.
وفي نيودلهي، أعلنت السيدة انديرا غاندي رئيس وزراء الهند موافقتها على
المشروع وأتتت على الرئيس تيتو لجهوده في تسوية أزمة الشرق الأوسط.
وفي روالبندي، استقبل الرئيس الباكستاني المشير محمد أيوب خان السفير
اليوغوسلافي الذي سلمه مشروع الرئيس تيتو، ولم تعلق المصادر الباكستانية
على المشروع، تاركة للدول العربية أن تتخذ الموقف الذي تراه مناسباً.
وأني لأذكر بهذه المناسبة، أن السفير الباكستاني في القاهرة، قد زارني
ليتعرف على الموقف العربي إزاء مشروع الرئيس تيتو، فإن الباكستان كما قال "
تقبل ما تقبلون وترفض ما ترفضون ..".
قلت : له إن القاهرة ودمشق وبغداد قد رفضت المشروع، ولكنها لم تعارض
أن يستمر الرئيس تيتو في بذل جهوده السياسية لحل أزمة الشرق الأوسط على
أسس أخرى...
وقال السفير الباكستاني: ولكن الأستاذ حسنين هيكل، في مقاله الأسبوعي
الأخير (1967/9/29) قد أعلن موافقته على مشروع الرئيس تيتو بقوله : "
إن مقترحات المارشال تيتو تشكل إطاراً معقولاً لمحاولة الحل السياسي".
قلت : الأستاذ محمد حسنين هيكل صحفي قدير من غير شك، وهو يعبر
عن رأيه الشخصي، ولا يمثل رأي القاهرة، ولا رأي العواصم العربية الأخرى...

قال : الذي أعلمه أن الأستاذ هيكل على صلة وثيقة بالرئيس عبد
الناصر .

قلت : الرئيس عبد الناصر على صلة وثيقة بكل مواطن .. والأستاذ هيكل
أحد المواطنين..

وأحسب أن السفير الباكستاني قد انصرف من مكنتي وهو غير قانع بهذا
التكذيب ولا بهذا التفسير .. ولكن ما العمل؟؟

ولقد أسهبت بعض الشيء في تفاصيل المشروع اليوغوسلافي، لأعود
وأؤكد أنه حينما كان الرئيس تيتو يقوم بنفسه وبوزرائه وبسفرائه ليطوف
على مئة وعشرين دولة يعرض عليهم في عواصمهم " مشروع السلام"، كان
حكام العرب يجوبون في الآفاق في منازلهم، لا يدرون ما يصنعون..
وأخيراً .. اجتمع موظفو الحكام العرب الذين يسمون، عادة في الصحف،
بوزراء الخارجية العرب، وهكذا انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في
الخرطوم في اليوم الأول من شهر آب - أغسطس 1967.. والحمد لله.. ولا
يحمد على مكروه سواه ...

وانعقد المؤتمر في الصالة الرئيسية في القصر الجمهوري في الخرطوم
وسط المظاهر المعتادة من الحفاوة والتكريم، وعلى مشه د من الصحفيين
ومراسلي وكالات الأنباء، من الذين عندهم بقية أمل في الحكم العربي !!
وافتح السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان المؤتمر، في جلسة
علنية بخطاب دعا فيه إلى وحدة الصف لإزالة آثار العدوان ختمه بقوله .. "
في الوقت الذي امتزج فيه الدم العربي بأرض الكفاح والقتال لا يقبل التاريخ منا
أبداً أن نختلف على مبادئ السياسة والتخطيط، فلقد قالت شعوبنا كلمتها وبقي
علينا أن نستلهم مشاعرها وأن نسلك دربها، درب النضال .." وصفق الوزراء

لهذه الكلمة الطيبة .. والتصفيق في الاجتماعات العربية هو الاستجابة الوحيدة لأي خطاب سواء كان حسناً أو عفناً ...

وبدأت جلسات المؤتمر بعد ذلك مقفلة .. ومعنى كلمة مقفلة، أن لا تُعطى أخبار الاجتماعات إلى الصحف بصورة علنية ورسمية .. ولكن لا مانع من أن يلتقي الوزراء بالصحفيين في حجراتهم ليقول لهم كل وزير : أنت تعلم أننا التزمنا عدم إذاعة شيء .. ولكن المصلحة تفرض أن يعلم الرأي العام العربي بعض الشيء .. أن وفدنا قد قدم مقترحات مهمة، وهذه صورة عنها .. ولكن مع الأسف، ماذا نعمل ..معظم الوفود الأخرى لم توافق على مقترحاتنا .. ومع هذا فسنظل نناضل لإنجاح مقترحاتنا .. على كل حال.. نحن نثق بك .. وانشر ما تجده متفقاً مع المصلحة العامة .. وسنظل على اتصال .. وسأطلعك على ما يجد .. ولا بد أن نلتقي بعد كل جلسة !!

وكذلك يتصرف الوزراء الآخرون مع الصحفيين الآخرين . إلا من عصم ربك ..

ولم يكن تفسيري لتعبير " الجلسة المقفلة " تجنياً على الوزراء العرب .. فقد عقدت الجلسة المقفلة واستمرت خمس ساعات للبحث في جدول الأعمال وترتيب بنوده، وتجويد ألفاظه، حتى تم الاتفاق عليه، وتم الاتفاق أن يظل سرياً لا يعلن في الصحف .. وإذا بالصحف ..

وإذا بالصحف العربية والأجنبية تنشره في اليوم التالي لتعلن : أن وزراء خارجية الدول العربية قد اتفقوا على أن يكون جدول الأعمال مؤلفاً من البنود الخمسة الآتية :

وها أنا أنشرها عن الصحف، لأنها مطابقة لأوراقى ومتفقة مع الواقع:

أولاً - بحث النتائج التي أسفرت عنها مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة انعقادها غير العادي لبحث أزمة الشرق الأوسط .
ثانياً - تضافر جهود الدول العربية لإزالة آثار العدوان .
ثالثاً - استمرار وقف ضخ البترول العربي إلى الدول التي ساندت العدوان .

رابعاً - تصفية القواعد العسكرية في الأراضي العربية .
خامساً - وضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق المبادئ السابقة.
والواقع أن وزراء الأعمال مجموعة من الطوائف العربية تتم عن " شخصية " كل وفد من الوفود العربية..

ومن هذه الطوائف، أن السيد المنجي سليم رئيس الوفد التونسي قد اقترح أن يكون البند الأول على جدول الأعمال دراسة أسباب النكسة وهو يريد من وراء هذا الاقتراح أن يثبت أن الرئيس أبو رقية كان على صواب في الدعوة إلى التعايش مع إسرائيل، وأن الحرب فكرة خاطئة .. وأن الواقعية هي السياسة الرشيدة .. وأن البورقبيبية هي قمة العقل والحكمة!.

واقترح السيد إبراهيم ماخوس استخدام البترول كسلاح فعال في المعركة، وتصفية القواعد العسكرية الأجنبية .. وتساءل الوفدان المغربي والليبي عن معنى موضوع تصفية القواعد العسكرية الأجنبية .. ومن المقصود بهذا الاقتراح .. وكادت جدران القاعة أن تقول : أن القواعد الأجنبية .. ومن المقصود بهذا الاقتراح .. وكادت جدران القاعة أن تقول : إن القواعد الأجنبية، عندكم في بلادكم..

واقترح وفد السودان تسوية قضية اليمن باعتبارها إحدى العقبات في طريق التضامن العربي .. فقد أصبح السودان برنادوت قضية اليمن .
وتساءل الوفد الجزائري ما إذا كان هدف المؤتمر هو استمرار النضال واستئناف القتال أم الاستسلام ... ولم يجب الوفد الجزائري عن سؤاله، والجواب بين شفثيه...

وحرص السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة أن لا يدخل في خلاف مع أحد، أو أن يؤيد هذا الوفد على ذلك. وأن القاهرة لا تريد أن تخرج أحداً .. وكل ما تؤكد عليه أن تقدم كل حكومة ما تستطيع من المساهمة من غير إحراج ولا استدراج .. أما بالنسبة لقضية اليمن فإن لدى الجمهورية العربية المتحدة مشروعاً محدداً على أساس المصالح الوطنية بين جميع الفرقاء المعنيين.

واقترح السيد إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق بحث الوسائل الناجعة لجعل الاقتصاد العربي في خدمة القضية العربية وإزالة آثار العدوان .
واقترح الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت تنقية الجو العربي من الشوائب دعماً للتضامن العربي ..

واقترح الدكتور جورج حكيم وزير خارجية لبنان وضع خطة سياسية تكتيكية لمعالجة القضية في الأمم المتحدة، والقيام بحملة اتصالات واسعة مع الدول الصديقة .

ولم يقترح السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية شيئاً، لأن الوفد السعودي يتكلم وراء الكواليس، إلا في الجلسات التي تدون فيها محاضر عن الاجتماعات.

وتقدمت باسم الشعب الفلسطيني بطائفة من المقترحات السياسية والإعلامية والعسكرية لتكون أساساً لخطة عربية شاملة لإزالة آثار العدوان اللاحق والسابق.

ولم أكد انتهي من سرد مقترحات المنظمة، طالباً توزيعها، وكانت هي المقترحات الوحيدة المكتوبة، حتى تململ الوفد التونسي في مقاعده وتكلم السيد المنجي سليم كلاماً بين التصريح والتلميح.

وقال : أعتقد أننا نحن اتفقنا في اجتماعات وزراء الخارجية في نيويورك أن تكون هذه الاجتماعات قاصرة على وزراء خارجية الدول العربية، دون سواهم.

وكنت أنا المقصود بهذا الاقتراح .. فأنا الوحيد الذي لم أكن وزير خارجية، وبدا واضحاً من كلام المندوب التونسي أن هذا الموضوع كان محل بحث بين الوفود العربية في نيويورك، وأنه كان هناك شبه اتفاق بين بعض الوفود العربية على عدم حضورى هذا الاجتماع.

وبدت علامات الموافقة الصامتة على وجوه الوفود السعودية والأردنية والليبية* والمغربية، ودرجات متفاوتة.

وطلبت الكلام وقلت: إن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، الذي هو أنا بلحمي ودمي، ليس فضولياً في هذا الاجتماع .. أن الشعب الفلسطيني هو فريق أصيل في هذا الاجتماع .. وما دمت رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية فإن حضورى معكم هو حق لا منحة .. ولو أنني تخلفت عن هذا الاجتماع لوجب عليكم أن توجهوا لي الدعوة .. إن اجتماعكم هذا هو من أجل البحث في إزالة آثار العدوان .. وقد وقع العدوان على الشعب الفلسطيني منذ عام 1917،

* طبعاً قبل ثورة الفاتح من سبتمبر .

حين صدر وعد بلفور الشهير، واستمر هذا العدوان حتى عام 1967، وشمل فلسطين بأسرها. وتوسعت رقعة العدوان في هذا العام حتى شملت أراضي الدول العربية ولهذا فأنا وانتم يجمعنا العدوان الواحد .. ومع هذا فإذا كان هناك من مصلحة وطنية في عدم حضوري هذا الاجتماع فإني أحب أن أعرفها .. أما إذا كانت هناك أمور شخصية فإني أتجاهلها ولا أبالي بها ..

فقال السيد منجي سليم : لا نريد أن ندخل التفاصيل، ولا أن نبحث عن الماضي وعن أسباب الكارثة .. كل ما أريد أن أقوله إن اجتماعاتنا العربية بعد النكبة يجب أن تكون بين أشخاص مسؤولين وعلى درجة كافية من المسؤولية، وهذا لا يتوفر إلا في الوزراء باعتبارهم الممثلين الرسميين للحكومات العربية .. وذلك حتى نخرج بقرارات سديدة ومسؤولة ..

قلت : هذا كلام غريب جداً .. وإن كنت لا أستغريه من مندوب تونس .. ولا أعتقد أن هذا الكلام يمثل مشاعر الشعب التونسي الذي كان لي شرف الدفاع عن قضيته لعدة سنوات في الأمم المتحدة .. ومن كان لا يرضيه حضوري في هذا الاجتماع فإنه يستطيع أن يخرج ولا يشارك فيه.

وهنا تدخل رئيس الجلسة السيد محمد أحمد محجوب : وقال : أنا أعلم أن هذا الموضوع قد بحث فيما بيننا حينما كنا في الدورة الطارئة للأمم المتحدة .. ولم يتخذ بشأن هذا الموضوع أي قرار، وأن الحكومة السودانية، باعتبارها الدولة المضيفة قد وجهت الدعوة إلى السيد رئيس المنظمة، لأن الشعب الفلسطيني منذ أن تأسست الجامعة العربية عام 1945، وهو عضو طبيعي في الاجتماعات العربية .. وعلى كل حال فإن الأمر مطروح للبحث الآن، ولكن أرجو أن يكون بمنتهى الهدوء والموضوعية ..

وعاد السيد المنجي سليم إلى الكلام وقال : أنا لا أبحث موضوع المنظمة ولا حق تمثيل الشعب الفلسطيني في الاجتماعات العربية . ولكن النقطة التي أحصر حديثي فيها هي أن هذا الاجتماع مخصص لوزراء خارجية الدول العربية .. والسيد الشقيري ليس وزير خارجية..

وقلت أنا لست وزير خارجية .. وإذا استقلت فلسطين سوف يأتي إليكم وزير خارجية فلسطيني ..تماماً كما جرى لتونس .. لقد وصلت إلى تونس إلى الاستقلال واصبح لها وزير خارجية، ومن أجل هذا فإن السيد المنجي سليم هو معنا .. وأنا لست مفتوناً بهذه الاجتماعات .. إن خبرتي الطويلة أن هذه الاجتماعات لا جدوى فيها .. وإنما أنا أحضر كواجب .. وعلى كل حال فإن الشعب الفلسطيني هو الذي يختار من يمثله .. وليس لتونس ولا لغير تونس أن تتدخل في هذا الموضوع

ثم أقيت بقفازي أمام الوزراء .. وقلت : إن الأمر لا يحتمل الجدل .. وأنا لا أرضى أن توجه هذه الإهانة للشعب الفلسطيني .. وإذا كانت إسرائيل قد احتلت وطني بكامله فليس معنى هذا أنها احتلت عقلاً وكرامتنا .. وأنا الآن أطرح هذا الموضوع عليكم متسائلاً : هل تريدون بقائي معكم، أم تريدون خروجي .. وإنه يهمني أن تتعرف الأمة العربية على موقفكم .. أريد منكم قراراً .. الآن ..

وتدخل رئيس الجلسة السيد محجوب .. وقال : إن البحث يدور بصورة أخوية.. ولا داعي هناك لأخذ قرار .. إنما هي وجهة نظر أباها الوفد التونسي .. وإني أشعر أن أحداً من الحاضرين لا يريد استبعاد منظمة التحرير من هذا الاجتماع..ويمكننا أن نعتبر الموضوع منتهياً ...

ولكن السيد المنجي سليم لم يعتبر الموضوع منتهياً .. فقد عاد إليه مرة أخرى ولكن بصورة أخرى .. وقال :إذن، أنا أقترح تأجيل الاجتماع .. وأن ينعقد الاجتماع المقبل في منزل الرئيس .. وأن يكون الحضور قاصراً عل الوزراء ..

وقلت: إذا كان السيد المنجي لا يمل من الباطل ، فأنا لن أمل من الحق .. وأنا لا أمانع من تأجيل الاجتماع إذا كانت هذه هي رغبتكم .. ولا مانع من عقد الاجتماع في بيت الرئيس .. وسأحضر الاجتماع لأن بيت الرئيس في هذه الحالة هو مكان الاجتماع، وليس ملكاً للرئيس.. هذا إذا كان الاجتماع مخصصاً لبحث آثار العدوان.

فقال الرئيس بلهجة سودانية : ونحن مجتمعون من أجل ماذا .. أحب أن أسأل الوزراء نحن مجتمعون من أجل ماذا؟.

فقلت : إذا كنتم ستجتمعون في منزل الرئيس من أجل الأمور الخاصة بالدول العربية، مثل تجارة القطن والأرز والفجل، فأنا لا مكان لي معكم ولا داعي لحضوري.. وإذا كان اجتماعكم هو من أجل إزالة آثار العدوان .. فإن العدوان واقع على بلدنا وشعبنا، ولا بد من حضوري ومشاركتي .. ومن كان لا يعجبه ذلك فإنه يستطيع أن يعود إلى عاصمته...

ثم واصلت حديثي متسائلاً: هل اجتمعتم لإزالة آثار العدوان أم لإزالة منظمة التحرير؟ إن الرغبة في التخلص من رئيس منظمة التحرير ليست سراً .. هنالك وثائق في ملفات الجامعة العربية تثبت أن الملك فيصل والرئيس بورقيبة والملك حسين يريدون " خلع الشقيري" من رئاسة المنظمة، ولم يستطيعوا ذلك قبل الهزيمة .. ولعلمهم يشعرون الآن أن الفرصة قد لاحت بعد الهزيمة⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ راجع: أحمد الشقيري، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء.

قلت هذا الكلام .. ونظر السيد المنجي إلى رفاق الطريق والهدف ..
السعودية والأردن وليبيا والمغرب، فلم ينجده أحد.
وتدخل الرئيس للمرة الأخيرة لينقذ الموقف .. وقال أنا أعتب ر الموضوع
منتهياً ونحن لا نستطيع أن نتخذ قراراً حول هذا الموضوع ولا أن نبحثه .. وقد
فاتني أن أقول لكم من الأول إن الموضوع خارج عن اختصاصنا كوزراء .. إن
الملوك والرؤساء في القمة الثانية، في الإسكندرية قد قرروا اعتماد منظمة
التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني.. وإن الملوك والرؤساء هم الذين
يملكون تغيير هذا القرار .. وإذا كان الوفد التونسي أو غيره يريد أن يتابع
الموضوع فمن الممكن بحثه في مؤتمر القمة المقبل..
ثم أعلن الرئيس، أن الاتفاق قد تم على جدول الأعمال .. ويحسن بنا أن
نعطي الفرصة لدراسته.. ولذلك نقرر تأجيل الاجتماع إلى الغد ... وتأجيل لا
للدس، ولكن لتهدئة الجو ... ودعماً للتضامن العربي !!
ولكن هذا الحل لم يرض السيد المنجي سليم، فكان لا بد له أن يقدم دليلاً
محسوساً على أنه نفذ تعليمات الرئيس بورقيبة، فأصدر بياناً بعد انتهاء الجلسة
وزعه على الصحفيين العرب والأجانب قال فيه: " إن رأي الحكومة التونسية
كان ولا يزال أن لا مبرر لحضور السيد الشقيري بعد أن أتضح أنه لا يقف عند
حدود المسؤولية التي تقتضيها الظروف".
وطلب إلي الصحفيون أن أعقب على هذا البيان فقلت : لي تعقيب واحد
... في هذا اليوم ... أصدرت المحكمة العسكرية التونسية الخاصة أحكاماً
تصل إلى عشرين عاماً على أربعة وخمسين تونسياً بتهمة الاشتراك في
التظاهرات التي عمت تونس في حزيران (يونيو) الماضي، وهاجم فيها
المتظاهرون المنشآت الأمريكية والبريطانية واليهودية ... هذه هي تونس الدولة،

لا تونس الشعب، التي يتكلم بلسانها السيد المنجي سليم، وزير العدل في الحكومة التونسية ... وليحي العدل .

وتوالت الاجتماعات ثلاثة أيام تخللتها ليلة سامرة ساهرة على النيل ..

وقد ترددت طويلاً أن أقول كلمة واحدة عن تلك الليلة الحمراء، على باخرة نيلية، حفلت بالشراب والغناء، فإن التصرفات الشخصية من شراب وعريضة ملك أصحابها .. ولكني تساءلت ومعني نفر من أمثالي الغرباء عن تلك الليلة الحمراء: هل هذا الفرح والمرح، هذا الابتهاج والانتشراح، احتفال بتحرير فلسطين؟؟ أما من دقيقة واحدة، على الأقل، للتأمل .. للتأمل فيما صارت إليه الأمور في الجولان وسيناء وبيت المقدس؟؟

وتذكرت، ما أشقى الذين يتذكرون .. تذكرت المجاهد نور الدين زكي، يسأله جلساؤه لِمَ هو مطرق دائماً ... وكان ذلك أيام الحملة الصليبية على مصر .. فقال : كيف لي أن أبتسم والصليبيون يضربون بلادنا في مصر .. وكائننا ما كان الأمر، فقد غاصت تلك الليلة الحمراء في اليوم الثاني في تيار الخلافات والمناقشات بين الوزراء، وكانت مشكلة اليمن، وموضوع البترول العربي على رأس المناقشات.

وكان السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان هو فارس مشكلة اليمن، فقد سبقت له وساطات كثيرة بين الرياض والقاهرة لتسوية المشكلة .. ولكنها انتهت إلى فشل كامل .. وكان السبب، باختصار، الملك فيصل .. ذلك أن الرئيس عبد الناصر قد تنازل وتنازل، وذهب بنفسه إلى السعودية، وقابل الملك فيصل، لعل هذه المبادرة النابعة من التقاليد العربية تجعل الملك فيصل يوافق على حل وسط.

ولكن الملك، لم تهزه هذه البادرة العربية، ولم ير في مجيء الرئيس عبد الناصر إليه إلا مجيء المنكسر المعتذر ... وبقي على إصراره وعناده .. كالحزب الوطني في مصر، حاشا لله من التشبيه، لا مفاوضة إلا بعد الجلاء...".

وكان هذا هو مطلب فيصل، لا مفاوضة إلا بعد الجلاء، أنه يريد جلاء آخر جندي مصري عن اليمن، كما جلا آخر جندي بريطاني عن مصر!! وعرض الرئيس السوداني الموضوع من جديد ... وقال : " إن حل هذه المشكلة أصبح الآن أوجب وألزم .. الشعوب العربية في الخارج تطالب باستئناف القتال .. وكيف نستأنف القتال وهذه المشكلة قائمة .. يجب إزالتها لنعبئ الطاقات المصرية السعودية مع الطاقات العربية الأخرى للمعركة..". ورفع الرئيس السوداني ملفاً ضخماً بين يديه يحتوي البرقيات والعرائض التي وردت من الوطن العربي، وقال : كل هذه العرائض تطالب باستئناف القتال .. لقد وردت على المؤتمر من كل أنحاء الوطن العربي... فكيف نقاتل وهذه المشكلة قائمة .

وطلب السيد محمود رياض الكلام: فشرح مراحل المشكلة... وتكلم كلاماً موضوعياً هادئاً .. وأعرب عن استعداد الجمهورية العربية المتحدة للوصول إلى تسوية ترضي جميع الأطراف، واقترح العودة إلى اتفاقية جدة وتنفيذها بروح أخوية صادقة ...

ولم يتحدث السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودية للشئون الخارجية .. وأراد عدد من الأعضاء استدراجه إلى الكلام ولكنه بقي معتصماً بالصمت .. وتحدث الرئيس السوداني لينقذ الموقف، فقال : أظن أن الأخ السقاف ليست لديه تعليمات بهذا الموضوع، ولا داعي لأن يخرج بعضنا بعضاً .. وبقي

السيد السقاف صامتاً .. ومسكين من يمثل السعودية، إذا لم يكن مستعداً
للاقامة أو الاستقالة ...

وطال الأخذ والرد في هذا الموضوع .. وتكلم مندوبو تونس والمغرب وليبيا
والأردن، وكانت أحاديثهم تتجه إلى أن الموضوع بين يدي " جلالة الملك
فيصل المعظم " وليس للمؤتمر أن يبحث هذا الموضوع . لأن وزراء الخارجية
لا يبحثون أي موضوع يتعلق مباشرة برؤساء الدول .. وحيا الله البروتوكول !
وحاول عد من الوفود أن يحملوا السيد السقاف أن يتصل بالملك فيصل
ليعرب له عن رغبة المؤتمر أن يبادر إلى تسوية مشكلة اليمن على أساس
اتفاق جدة ... ولكن السيد السقاف اعتذر عن ذلك قائلاً : ليس عندي تعليمات
في الموضوع .. وهو ليس من اختصاصي ... وقطعت جهينة قول كل خطيب
...

وتدخل الرئيس السوداني ليقفل باب البحث في الموضوع وأعلن: أن
السودان هو الذي تولى أمر الوساطة في الموضوع، وأنه سيواصل مساعيه ..
فأقفل الموضوع وأقفلت الجلسة ..

وخرجنا .. ولكن الجلسة عادت وانعقدت خارج الجلسة .. وراء الكواليس
حسب العادة ، فإن القضايا العربية تُحلّ في المعابر والردهات، لا في قاعة
الاجتماعات.

وطلب الرئيس السوداني من السيد السقاف أن يبرق إلى الملك فيصل بما
دار في الجلسة، فاعتذر إليه السقاف مكرراً : ما عندي تعليمات .. على نسق
" ماكو أوامر " التي كان يرددتها ضباط الجيش العراقي في أثناء حرب فلسطين
عام 1948.

وعلى هذا، فقد أرسل الرئيس السوداني برفيقة إلى الملك فيصل عن طريق سفارته في جدة، وجاء جواب الملك فيصل في اليوم التالي، من غير إبطاء، فقد كان الجواب حاضراً في ذهن الملك فيصل لأنه ناضج عنده منذ أن نشبت الثورة في اليمن.

وقال الملك فيصل في جوابه : " نحن لسنا طرفاً في النزاع، والشعب اليمني هو الذي يقرر مصيره بعد جلاء القوات غير اليمينية عن اليمن..". ومعنى ذلك جلاء القوات المصرية أولاً .. وبعد ذلك تتكلم..

وكان هذا الجواب هو الجواب الذي كان يكرره الملك فيصل على مدى ثلاثة أعوام، كلما ناشده أي عربي، أو أنشده أي شاعر، حتى لو كان الشاعر هو السيد محمد أحمد محبوب رئيس وزراء السودان ..ويومها قلت للشاعر

الناثر السيد محبوب: ما قاله العرب : ما أرانا نقول إلا معادا !!

وعدنا إلى بحث الموضوع في الجلسة التالية .. فلم يكن أمام وزراء

الخارجية إلا أن يصدروا توصية غير مكتوبة ، وهو أن يستمر الرئيس

السوداني في مساعيه الحميدة، وأن يترك الموضوع لمؤتمر القمة ... لعل

الملوك والرؤساء يجدون للأمر مخرجاً !!

وانتقلنا بعد ذلك لبحث الموضوع الخطير : استخدام البترول في المعركة...

وهبَّ السيد إبراهيم ماخوس وزير الخارجية السورية، يتكلم عن أمريكا

وبريطاني ودورهما في مساندة العدوان الإسرائيلي وأن الجماهير العربية تطالب

بوقف البترول عنهما.

وأعلن السيد إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق أن لدى العراق

مشروعاً اقتصادياً متكامللاً لاستخدام الطاقات الاقتصادية العربية، ومنها

البترول، للعمل على إزالة آثار العدوان، ويتلخص المشروع في " وقف ضخ

البترول لمدة ثلاثة أشهر ابتداء من أول شهر أيلول (سبتمبر) القادم، وسحب الأرصدة العربية واحتياطيات النقد المودعة أو المستثمرة في بنوك دول العدوان، وتأميم جميع المصالح الاحتكارية الأجنبية، وإنشاء صندوق عربي للإنماء، واتحاد للمدفوعات، وتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية".

وتحدثت بدوري عن فتح الجبهة الاقتصادية في المعركة، إلى أن تستكمل الدول العربية استعداداتها العسكرية لاستئناف القتال، وذكرت أن الشيخ عبد الله الطريقي خبير البترول العربي قد وافق على أن ينضم إلى وفد منظمة التحرير الفلسطينية، وأنه حاضر معنا ليشرح الجوانب الاقتصادية والفنية المتعلقة باستخدام البترول كسلاح في خدمة القضية العربية...

وخلال حديثي عن قضية البترول، كان السيد عمر السقاف يغادر معقده ويهمس كلاماً في أذن الرئيس السوداني .. كنت أفهمه بالفراسة لا بالسمع .. فالسعوديون لهم مهارة عجيبة في الهمس والوشوشة، منذ حروبهم مع الهاشميين وآل رشيد .. وليس هذا الكلام مزاحاً ولا مداعبة..

وقد صحت فراستي، فبعد أن انتهت الجلسة، جاءني رئيس الوزراء السوداني ليقول : هل تريد أن تنسف المؤتمر .. المؤتمر معقود من أجل فلسطين ويجب على فلسطين أن تهيئ كل فرصة لنجاح المؤتمر .

قلت : خير إن شاء الله .. نحن ما جئنا لننسف المؤتمر .. وإن كنا مستعدين أن ننسف كل من يريد أن ينسف المؤتمر .. وما هو الموضوع؟؟

قال : الوفد السعودي عازم على الانسحاب، إذا كان الشيخ عبد الله الطريقي سيتحدث في المؤتمر...

قلت : لماذا الانسحاب؟

قال : الطريقي سعودي الجنسية .. وهو مغضوب عليه من الملك فيصل ..
وأن ضمه إلى الوفد الفلسطيني هو تحد واضح للملك فيصل .. وخصوصاً أن
قضية البترول حساسة جداً عند الملك فيصل..

قلت : أنا ظننت أن المؤتمر سيشكرني لأنني جئتهم بخبير عربي في شئون
البترول .. وليس بين وفودكم خبير بترولي واحد .. وهل يمكن أن ينفض هذا
الاجتماع بدون بحث قضية البترول؟.

قال : عندي حل للموضوع.

قلت : ما هو ؟

قل : هنالك اتجاه عند عدد من الأخوان أن نحيل قضية البترول بكاملها
إلى مؤتمر لوزراء البترول العرب .. وفي هذه الحالة يمكن للمنظمة أن ترسل
أي خبير بترولي تختارونه ليعرض رأيه باسمكم أمام ذلك المؤتمر.

قلت : سأفكر في الموضوع...

قال غاضباً : تفكر أيه .. انتم عاوزين عنب والا تقاوتلوا الناطور...

قلت : سأفكر في الموضوع .. كل خوفي، وأنا أعرف الاجتماعات العربية

السابقة، أن نخرج من هذا المؤتمر عنب ولا ناطور !!

وعدنا إلى الاجتماع .. ورأيت الحل الوسط بنفسني ، فقد كان الشيخ عبد

الله الطريقي قد أعد دراسة وافية عن الموضوع، فقدمتها في بداية الجلسة

وقلت هذا هو رأي المنظمة، وهو رأي علمي يستند إلى الأرقام والوقائع..

وانبرى السيد المنجي يتحدث عن قضية البترول، وأنه موضوع خطير ولا

يجوز أن يتخذ فيه أي قرار ارتجالاً .. وأنه يتصل باقتصاد الدول البترولية

نفسها، وهي وحدها التي تقرر أمره.

ثم دخل السيد المنجي بالتفاصيل، وهو ينظر في الأوراق التي في ملفه،
كما يفعل المحامي الذي يترافع عن قضية تقاضى عليها أجراً، فأورد دخل
السعودية من البترول، وكذلك الكويت، وليبيا، كل ذلك بالبرميل يومياً، وبالدولار
سنوياً .. تماماً كما لو كانت آبار البترول كله في تونس !!
والواقع أن المنجي سليم، أن لم يكن قد تقاضى الأجر المؤجل، حسب لغة
المحاميين ، كان ينتظره، كما كان يتوقع، فقد كانت تونس ترشح السيد المنجي
سليم لأن يكون أميناً عاماً للجامعة العربية، وكانت السعودية والأردن وليبيا تؤيد
هذا الترشيح .. فقد آن الأوان، وقد حلت الهزيمة، أن يتولى شؤون الجامعة
العربية رجل غير مصري .. كان ذلك هو منطقتهم ..

وتكلم الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية الكويتي فأعرب عن استعداد
الكويت للموافقة على أي قرار يتخذ بالإجماع بشأن البترول .. والإجماع
صيغة ذكية للرفض .. لأن الإجماع غير ميسور بوجود السعودية وليبيا، وهما
تقفان بعناد ضد المساس بالبترول من قريب أو من بعيد، حتى لا تلوث أيدي
اللامسين !!

ولكن الوزير الكويتي أورد نقطة جديدة بالدرس، وهي أن الكويت تعتمد
في استخراج ماء الشرب والإضاءة على ضخ البترول، وطالب بإيجاد حل لهذه
المشكلة.

ورفعت الكوفية عن إذن الشيخ صباح وهمست في إذنه، وكيف عاش
الكويت آلاف السنين قبل البترول؟؟
أما وزيراً ليبيا والسعودية فلم يتكلما في الموضوع، ولكنهما كانا " يطيبان "
مرافعة السيد المنجي سليم بالحواجب وفرقة الأصابع .

وتكلم السيد إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق فعارض السيد المنجي سليم في أرقامه ووقائعه، وأيد مقترحاته التي تدعو إلى وقف ضخ البترول لمدة ثلاثة أشهر على الأقل ..

وصاح الوزير السوري السيد إبراهيم ماخوس مطالباً بالمبادرة إلى إصدار قرارات حاسمة بالنسبة للبترول، حتى قبل أن يجتمع الملوك والرؤساء. ووقف السيد المنجي سليم ليقول : إذا أنتم قررتم قطع البترول فنحن لا نتحمل المسؤولية، ولا نستطيع أن نشارك في هذه الاجتماعات.

وسأله السيد ماخوس : وما هي المسؤولية؟

قال المنجي سليم : نحن نؤمن إيماناً جازماً بأنكم إذا تعرضتم للبترول فإن أمريكا ستضطر إلى احتلال مناطق البترول بقوة السلاح .

وساد الاجتماع جو من التوتر وأصبح الوزراء يناقش بعضهم بعضاً، من غير نظام، وتدخل الرئيس السوداني وقال :يا إخوان .. هذا موضوع له جوانب سياسية من اختصاصنا، ولكن له جوانب اقتصادية وفنية ومالية كلها من اختصاص وزراء ليسوا معنا، وهم الوزراء العرب المختصون بشئون المال والاقتصاد والبترول، ولذلك فإني أقترح أن نرجئ بحث الجوانب السياسية لهذا الموضوع، وأن نقرر دعوة الوزراء العرب المختصين إلى اجتماع قريب لبحث الموضوع ن كل جوانبه، وتقديم تقرير بأبحاثهم وتوصياتهم..

ودار نقاش طويل حول هذا الاقتراح، وانتهى المؤتمر بعده إلى الموافقة عليه وتقرر أن يجتمع وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب في بغداد في 15 آب (أغسطس)، وأن يجتمع وزراء الخارجية في 26 آب (أغسطس) لدراسة توصيات مؤتمر بغداد، ليكون كل شيء جاهزاً أمام مؤتمر القمة الذي تقرر عقده في 29 آب.

وهكذا انتهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب في الخامس من الشهر
(آب 0 أغسطس) بعد أن أصدر توصيات إنشائية في مقدمتها الحفاظ على
التضامن العربي، وهو الموضوع القديم الذي نشأ مع نشوء الدول العربية.
ذلك ما دونته في يومياتي عن مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية استذكر
أيامه وأشخاصه وأحداثه، لأجد أنه لم يكن أكثر من تلك الليلة النيلية، ونحن
نلهو بالمأساة ونزهو بالعار .. ونشرب نخب الشهداء .. وليس لأحد أن يشمئز
من هذه التعابير الصارخة الجارحة .. ذلك أن يومياتي قد سجلت أموراً رهيبة
عن العدو، كان يفكر فيها ويخطط لها وينفذها، حين كان وزراؤنا في عبثهم
يعبثون ..

أجل، سجلت يومياتي أمراً رهيبة، وهذه بعضها، أوردتها موجزة، بتاريخها
ثم بتعليقاتي العابرة عليها . كما دونتها ..

- ليفي أشكول، رئيس الوزراء الإسرائيلي تكلم في هيئة المستدروت
التنفيذية فأكد على ضرورة الهجرة - الهجرة .. وأصر على
أنه يجب أن يبلغ تعداد إسرائيل خمسة ملايين نسمة في نهاية هذا
القرن ... " (67/7/11) . وكان اليهود في بداية القرن ثلاثين ألفاً على
أكثر تقدير .

- أرسل ايبان وزير خارجية إسرائيل مذكرة إلى الأمم المتحدة يعلن فيها
إن إسرائيل ترفض الانصياع لقرار مجلس الأمن الخاص بالقدس، ولا
تعتبر أنها " ضمت " القدس إليها، ولكنها " وحدت " شطري القدس
لتكون عاصمة لإسرائيل (67/7/11) . وقال الملوك المسلمون
وأمرؤهم، وهم يسمعون هذا الكلام عن وطن الإسراء والمعراج وأولى
القبلتين وثالث الحرمين، " سمعنا وأطعنا"

- قالت جريدة الجروسالم بوست الإسرائيلية التي تصدر بالقدس " إن قرار مجلس الأمن الذي صدر بشأن القدس، لا يهمننا من قريب أو بعيد " (1967/7/16). ولماذا تهتم إسرائيل لمجلس الأمن، وهو لا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً ...
- عرض في سينما " رون " في القدس الفيلم المعروف " ستة أيام للنصر " واشتباك الشباب العرب مع الشباب اليهودي في معركة، وسقط عدد من الجرحى (1967/8/9) وقتل ما أسعد الأمة بشبابها وأشقاها بحكامها .
- خطب الجنرال ديان في مهرجان شعبي فقال : " إذا كنتم شعب التوراة فإنكم تملكون أرض التوراة من النيل إلى الفرات " (1967/8/9). وقتل فليسمع حكام العرب من النيل إلى الفرات.
- ولمناسبة عيد الحداد اليهودي على ضياع القدس الذي يحتفلون به في كل عام، أعلن مجلس الحاخامية اليهودي الأعلى في إسرائيل " أن طقوس الحداد التي يمارسها اليهود في كل عام يجب أن تستمر، وأن لا يحدث أي تغيير فيها، رغباً عن أن القدس جميعها في أيدي يهودية اليوم، لأن المعبد وقدس الأقداس لا يزال ركاباً ولا تزال قطاعات هامة من الشعب اليهودي تعيش في بلاد مختلفة في المهجر " (1967/8/10) . وقتل : هلا يسمع بعضنا الذي يسخرون بالقيم الروحية والذكريات التاريخية.
- ابا يبان وزير خارجية إسرائيل عقد مؤتمراً صحافياً حضره ما يقرب من مئة صحفي من المراسلين الأجانب قال فيه : " إن خريطة الشرق

الأوسط التي كانت موجودة قبل 5 حزيران (يونيو) قد دمرت إلى غير رجعة " (1967/8/14).

وقلت : وهل يسمع من في القبور.

وغير هذا، وغير هذا، مما دونته يومياتي .. ولكن نبذة واحدة وردت

في يومياتي لم أستطع أن أجد عليها تعليقاً .. فقد كانت مفاجئة موجعة ..

لجمت قلمي وأوراقي .. كانت النبذة نقلاً عن تعليق إذاعة إسرائيل باللغة العربية

تستعرض فيه انتصاراتها الثلاثة في 48، 56، و 1967 ... وختمته بالآية

القرآنية المعروفة : " وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .. ". تستخدم

القرآن على شعب القرآن !!.

وتضرعت إلى الله " أتهلكنا بما فعل السفهاء منا"

صدق الله العظيم

هل نحن سعاة بريد.. عند الملوك والرؤساء

مؤتمر القمة العربي الرابع، بملوكه ورؤسائه ووزرائه، كان مؤتمر الأيام الستة، كحرب الأيام الستة، هزيمة أخرى للأمة العربية . وكانت الهزيمة هذه المرة، لا في سيناء والجولان والضفة الغربية، ولكن في قلب عاصمة عربية، في الخرطوم حاضرة جمهورية السودان . ففي الأيام الثلاثة الأولى اجتمع الوزراء والسفراء، وفي الأيام الثلاثة التالية اجتمع الملوك والرؤساء .. وكانت نتيجة الاجتماعات وحصيلة القرارات هزيمة قومية صادعة، لا تزال الأمة العربية تعيش آثارها، كما تعي ش آثار العدوان الإسرائيلي، الجاثم على الأرض العربية . ولقد شهدت مؤتمرات القمة الثلاثة في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء، وهالني ما كان فيها من تناقضات ومشاحنات !!

ووقعت النكبة الكبرى في حرب الأيام الستة، واندفع الملوك والرؤساء في حملة كبرى للنقد الذاتي، يشرحون ظروف النكبة ويردون لها إلى أسبابها، ويتعاهدون على الانتفاع من أخطائها والاستفادة من دروسها...

وجاء مؤتمر الخرطوم كالיום الموعود ... ومعه السؤال الكبير الأوحده .. هل استفاد الملوك والرؤساء من دروس النكبة .. ومضت ستة أيام في اجتماعات ومباحثات، ومآدب ومجاملات، لتثبت من جديد، أن الملوك والرؤساء، كالعهد بهم، لم يتعظوا ولم يعتبروا .. وقد تجلى ذلك في أمور... من هذه الأمور أن الملوك والرؤساء ما جاؤوا إلى مؤتمر القمة في الخرطوم بخطة شاملة مدروسة تتناول الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية...

وباستثناء الرئيس عبد الناصر الذي كان يحمل معه ملفاً سياسياً مدروساً، والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف الذي كان يحمل مشروعاً اقتصادياً متكاملًا، فإن الملوك والرؤساء لم يكونوا يحملون إلا حقائبهم، وليس فيها غير ملابسهم، الخارجية قبل الداخلية... ولم يكن هذا الاجتماع على عجل .. فقد سبقته مشاورات، ورسائل، ورسالات، امتدت ثمانين يوماً بلياليها ...

وكانت الأمة العربية الماجدة، وكل ذنبها أنها صابرة على حكامها، تحسن الظن بلقاء الملوك والرؤساء في الخرطوم ، وتعلق الأمل على مؤتمرهم، وترجو الخير على يديهم...

وجاءت مذكراتي، ومعها هذه الأعوام الستة من التجارب والمعاناة... لتثبت أن مؤتمر الخرطوم كان أكبر هزيمة سياسية حلت بالأمة العربية ... منذ أن كان للأمة العربية ملوك ورؤساء..

ففي هذا المؤتمر كانت اللاخطة هي الخطة...
وانتصرت اللاوحدة على الوحدة ...
وتغلب بترول العرب على العرب ...
وارتفعت راية الحلول السلمية بديلاً عن مسيرة النضال ..
وبرز شعار الصمود .. فكان صموداً على أرض الذل والهوان ..
وليس هذا الكلام حماسياً عاطفياً .. فلم أعد ابن العشرين أو الثلاثين
... وأنا الآن أكتب ما أكتب، وقد تجاوزت الستين.
بل إن هذا الكلام ليس وراءه بغض لهذا الملك، أو كراهية لذلك
الرئيس، فقد مات البعض وخلق البعض الآخر، وأنا سائر مع الباقيين لنلقى
وجه الله ... وفي غمرة هذا الإحساس، لا يكتب المرء إلا منصفاً وعادلاً ..
وبهذا الإحساس وحده، فأني أكتب عن مؤتمر القمة في الخرطوم ...
من بدايته إلى نهايته، وكانت منظمة التحرير هي البداية .. ذلك أن الدعوات قد
أرسلت إلى الملوك والرؤساء ... ولم ترسل إلى رئيس واحد هو رئيس منظمة
التحرير.
وطال انتظاري للدعوة .. وحكومة السودان في حرج كبير ... فقد توالفت
علينا الأبناء بأن هذا الملك لا يحضر ... وأن ذلك الرئيس لا يحضر .. وأن
وجود الشقيري هو السبب.
وكان قد سبق للملك حسين والرئيس بورقيبة والملك فيصل قبل حرب
الأيام الستة، أن أعلنوا أنهم لا يرون " السيد أحمد الشقيري جديراً بتمثيل الكيان
الفلسطيني " (1) ووقعت حكومة السودان وهي الدولة المضيفة في حرج

(1) أحمد الشقيري، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء.

وحيرة...إنها حريصة على حضور جميع الملوك والرؤساء ... وهي كذلك لا تستطيع أن تقرر " وحدها" استبعاد رئيس منظمة التحرير .
ولقد كنت زاهداً، في الواقع، أن أحضر مؤتمرات القمة بعد الذي عانيته من الملوك والرؤساء في السنوات الثلاث الماضية ... ولكني رأيت كذلك أنه لا يصح من أجل القضية الفلسطينية شعباً ووطناً، أن أرضى بهذه السابقة، وتغيب منظمة التحرير عن الساحة.

وخطرت لي إحدى خواطر الشباب .. فنفذتها على الفور ...دعوت السيد شفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت، وقلت له : يا أخ شفيق ... أنت لك صداقات طيبة في السودان ... المنظمة لم تصلها دعوة لحضور مؤتمر القمة ... أرجو أن تسافر إلى الخرطوم وأن تكلم رئيس الحكومة وزملاءه بالحسنى .. فإن لم تجد تجاوباً فأبرق إليّ ... وستجديني في اليوم نفسه في مطار الخرطوم، ومن المطار إلى الجامع الكبير، لأعلن للشعب السوداني أنني سأكون ضيف الشعب، في بيت الله، في الجامع الكبير .. وأن الملوك والرؤساء ومعهم حكومة السودان يريدون استبعاد منظمة التحرير عن الحضور ... وهكذا كان، فقد سافر السيد شفيق الحوت .. ومضت ثمانية وأربعون ساعة، فجاءت البرقية من الحكومة السودانية بدعوة رئيس منظمة التحرير لحضور مؤتمر القمة ... وكنت في المساء نفسه في الخرطوم، والسيد محمد أحمد محبوب في استقبالي في المطار، وبادرني معاتباً، وهو يقول ...
- تنزل في الجامع لماذا .. وبينك موجود .. تنزل عندي سواء وافق الملوك والرؤساء على حضورك أو لم يوافقوا ...
قلت : إن رغبتني أن أذهب إلى الجامع لأستعين بالشعب على الملوك والرؤساء...

قال: والله يا أخي .. أنت ما تعرف حماسة الشعب السوداني .. إذا علموا
بالأمر فسيهاجمون المؤتمر بالعصي .. يكسرون رؤوسنا ..

قلت : وهذا هو المطلوب ..

وذهبت إلى الفندق وتركت السيد محجوب في المطار، وهو معتمر بعمامة
سودانية، ومسريل بجلبابه الأبيض الفضفاض، ينتظر بقية الوافدين من دنيا
العرب .. الوزراء والسفراء.

وذهبت في اليوم الثاني لحضور اجتماع وزراء الخارجية، وهو الاجتماع
الذي يمد جدول الأعمال للملوك والرؤساء ومعه التوصيات والدراسات.
وبدأ رئيس الاجتماع السيد محمد أحمد محجوب، وهو يرتدي بدلة أنيقة،
وكان أجمل في الليلة الماضية بعمامته وجلبابه، يستحث الوزراء المبادرة إلى
العمل حتى يكون كل شيء جاهزاً وفي موعده قبل أن ننشغل باستقبال الملوك
والرؤساء ..

وافتح السيد إسماعيل خير الله وزير الخارجية العراقي المناقشة وطرح
مشروعه " التكامل الاقتصادي" كما شرحة في الاجتماع السابق في أول الشهر
(آب - أغسطس) وقال : لقد انعقد في بغداد اجتماع وزراء المال والاقتصاد
والبنترول العرب (10 آب - أغسطس) واشترك فيه مندوبون عن البحرين وقطر
وأبو ظبي .. وأن توصيات هذا المؤتمر هي بين أيدينا الآن، وأنا أرجو أن
نناقشها ونقرها ونرفعها إلى الملوك والرؤساء ...

وكان الرئيس العراقي الفريق عارف قد أقترح مؤتمر وزراء المال والاقتصاد
والبنترول العرب بكلمة قال فيها : " إن شركات النفط تريح الملايين لتحويلها إلى
أسلحة قاتلة تهديها إلى عدوتنا إسرائيل .. وإذا كنا نرغب في أن نعيش بعزة
وكرامة أصبح لزاماً علينا أن نعيد النظر في واقع وطننا ونحمي ثروتنا من

الاحتكار "، ودعا الوزراء العرب إلى إقرار المشروع العراقي " : كسلاح اقتصادي ضد إسرائيل وضد الدول التي تساند إسرائيل".

وأخذ الوزير العراقي السيد خير الله يتلو توصيات مؤتمر بغداد من عبارة " سرى وخاص " إلى عبارة "المرفقات " وأني أوجزها كما يلي :-
أولاً : يوصي المؤتمر بوقف ضخ البترول كلياً، وإلى أجل غير محدود حتى تزول آثار العدوان .. ذلك أن وقف الضخ سلاح اقتصادي فعال، على أن لا يكون محدداً بمدة أو جزئياً ...

ثانياً : يوصي المؤتمر بأن يتم سحب الأرصدة العربية بالإسترليني والدولار، وتخفيض الاستثمارات العربية في منطقتي الدولار والإسترلين ي، وأن يتم نقل الأرصدة الذهبية العربية المودعة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى خارجها، وأن توجه الاستثمارات الحكومية إلى الأسواق العربية.
ثالثاً : إنشاء مستجمع للاحتياطات النقدية .

رابعاً : إنشاء صندوق عربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، كما يوصي المؤتمر بإنشاء صندوق لدعم الدول العربية المتضررة بالعدوان الإسرائيلي، وإنشاء اتحاد المدفوعات العربي تتضم إليه جميع الدول العربية..

خامساً : يوصي المؤتمر إقامة مجموعة اقتصادية عربية مشتركة، ترمي إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والاكتفاء الذاتي .. والوحدة الاقتصادية العربية..
وقد أرفق بالتوصيات تقارير تفصيلية مدروسة عن شئون البترول والأمور المالي والاقتصادية العربية.

ولا بد أن أنه، مع التوكيد والتشديد، أن هذا المؤتمر الذي انعقد في بغداد، كان أكبر مؤتمر اختصاصي شهدته الأمة العربية في تاريخها المعاصر .. فقد

احتشدت فيه النخبة الممتازة من خبراء الوطن العربي وكفاءاته الدراسية في مختلف المواضيع البترولية والمالية والاقتصادية وقد استمر المؤتمر منعقداً لمدة أسبوع كامل، وتفرعت عنه لجان متخصصة تولت دراسة القضايا المعروضة عليها .. وبلغت الدراسات والتوصيات والمشروعات عدة ملفات احتوت كنوز العقل العربي، الدارس المدقق ...

أقول هذا ليتأكد المواطن العربي أن توصيات مؤتمر بغداد لم تكن مرتجلة ولا عاطفية، ولكنها كانت حصيلة دراسة العلماء .. وبقيت المهمة على الوزراء ..

ولكن الوزراء الذين اجتمعوا هذا اليوم في الخرطوم ليمهدوا للملوك والرؤساء أعمالهم قد وقفوا مبهوتين أمام هذه التوصيات .. لا يدرون ما يصنعون بها. وانبرى الوزير التونسي السيد المنجي سليم يفند توصيات المؤتمر وأنها غير علمية، وتحتاج إلى درس طويل، ولا بد من إحالتها إلى خبراء! وسانده الوزير الليبي الدكتور أحمد البشتي مطالباً بمزيد من الدراسة والتعمق في البحث !!

وصاح الوزير السوري الدكتور ماخوس بأن الموضوع قد قتل بحثاً واستنفذ كل أنواع الدراسة .. وتدخل السيد محمد أحمد محجوب ليعيد الاجتماع إلى الهدوء والنظام وقال : -

أنتم في اجتماعكم السابق بحثتم موضوع البترول، ولم تستطيعوا الاتفاق على قرار، ثم أحلتم الموضوع إلى مؤتمر يضم وزراء المال والاقتصاد والبترول باعتبارهم أهل الخبرة، حتى يقولوا كلمتهم .. وها قد جاء تقرير المؤتمر، لم يبق عليكم إلا أن تحددوا موقفكم من تقرير مؤتمر بغداد بالموافقة أو الرفض أو التعديل.

فعاد السيد المنجي سليم إلى الكلام وقال : إن هذا الموضوع خطير وكبير ،
ولا يمكن أن ننظر فيه بمثل هذه السهولة ولا بمثل هذه السرعة.

واستأذنت بالكلام فقلت : لدي ملف كامل عن الموضوع من بدايته إلى
نهايته .. وأنا مستعد أن أضع أمام الوزراء عرضاً كاملاً ييسر علينا سبل العمل
... وأنا لا أريد أن أعود إلى موضوع البترول منذ اجتماعات بلودان في عام
1946 حينما صدرت القرارات السرية الشهيرة باستخدام البترول كسلاح فعال
في قضية فلسطين لردع الولايات المتحدة عن تأييدها لمشروع إقامة الدولة
اليهودية .. وكذلك فإنني لا أريد أن أستعرض القرارات الكثيرة التي صدرت بشأن
البترول على مدى عشرين عاماً، منذ إنشاء الجامعة العربية .. ولكنني أريد أن
أقتصر على المرحلة الراهنة التي نحن فيها الآن.

واستطردت بعد ذلك إلى القول: في أوائل حزيران (يونيو) من هذا العام
وضح تماماً أن الموقف بيننا وبين إسرائيل يؤذن بالانفجار، وخاصة بعد إغلاق
خليج العقبة وسحب قوات الطوارئ الدولية، تداعى وزراء النفط في الدول العربية
ف عقدوا اجتماعاً طارئاً في بغداد، وكان ذلك في الرابع من حزيران، واتخذوا
بالإجماع قرارين تاريخيين هامين أولهما : قطع النفط العربي ومنع وصوله
بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الدول التي تعتدي أو تشترك في الاعتداء
على سيادة دولة عربية أو على أراضيها أو مياهاها الإقليمية، وقد فسر المؤتمر
أن العدوان الذي يؤدي إلى قطع النفط بأنه الاعتداء المسلح المباشر أو مد
العون العسكري إلى العدو بأية صورة كانت، أو محاولة إمرار السفن التجارية
عبر الخليج العقبة تحت حماية عسكرية أيا كان نوعها .. والقرار الثاني الذي
وافق عليه المؤتمر ينص على أن دخول أية دولة في عدوان مسلح مباشر أو

غير مباشر ضد الدول العربية يخضع أموال شركاتها وأموال رعاياها الموجودة في أراضي الدول العربية لقوانين الحرب، بما في ذلك أموال شركات النفط. واستأنفت حديثي بعد ذلك قائلاً : لقد كان هذا القرار الإجماعي قبل العدوان الإسرائيلي بيوم واحد .. ووضعت الحكومات العربية أمام الامتحان .. وبدأت المعركة وانتهت وجاء الأوان لاستخدام البترول كما قرر وزراء البترول أنفسهم ..

وارتفعت الأصوات من الأمة العربية تطالب بتنفيذ القرارات البترولية ... وكان أول صوت أرتفع في الوطن العربي من اتحاد عمال البترول العرب فقد وجه نداء إلى كل الدول العربية بمنع تصدير البترول إلى الدول المعتدية وطرد رعاياها من البلاد العربية .. وكان ذلك يوم العدوان .. (1967/6/5). وقد أشرت إلى موقف اتحاد عمال البترول بالذات، لأنهم أول من يتأثر بتوقف المؤسسات البترولية، وما يؤول إليه ذلك بالنسبة لأرزاقهم. وقاطعني الوزير التونسي قائلاً : نحن لا شأن لنا بالعمال، نريد أن نتحدث عن موقف الدول العربية.

قلت : سأحدث عن موقف الجميع، الحكومات والشعوب ... وسأضع أمام مؤتمركم الصورة كاملة .. وأن الصورة طويلة بعض الشيء ولا أعتذر عن ذلك، فإن النفط هو السلاح الباقي للأمة العربية في الظروف الراهنة، بعد أن تحطمت الأسلحة العسكرية.

ورحلت أسرد الوقائع المتصلة بالنفط في الوطن العربي، مع الأحداث والتواريخ، منذ أواخر شهر أيار .. شهر الأسرار والأخبار ... فكانت كما يلي:-

- في الكويت، أدلى الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت قبل سفره إلى القاهرة حاملاً رسالة من أمير الكويت إلى الرئيس عبد الناصر بحديث قال فيه "إننا لا نبخل بالدم في هذه المعركة فكيف بالبترو، وإن هذا الموضوع أصبح ثانوياً بالنسبة لما هو حاصل الآن .. وكان هذا الحديث جواباً عن سؤال صحفي حول إمكانية استخدام البترول في المعركة المحتملة المتوقع (1967/5/23).
- وفي لندن، فقد أعلن الملك فيصل في مؤتمر صحفي، وكان في زيارة لبريطانيا أن أي عربي يتردد في خوض هذه المعركة غير جدير بحمل أسم عربي" وفي نفس اليوم نفى دبلوماسيون سعوديون النبأ القائل إن الملك فيصل هدد بقطع النفط عن الدول الغربية إذا ما ساعدت إسرائيل في الحرب ضد العرب .. (1967/5/23).
- وفي الكويت، عقد مجلس الأمة اجتماعاً لمناقشة تطورات الأزمة في الشرق الأوسط وطالب أعضاء المجلس بتأميم حصة الولايات المتحدة في بترول الكويت ووقف البترول عن الدول الاستعمارية واتخاذ إجراءات ضد أي دولة تقف إلى جانب إسرائيل، وألقى الشيخ جابر الاحمد رئيس الحكومة بياناً أمام المجلس أعلن فيه أن الحكومة كلفت وزير خارجيتها إبلاغ ممثلي الدول الكبرى أن اشتراك أية دولة في العدوان على البلاد العربية سيعرض مصالحها في الكويت إلى الخطر (1967/5/27).
- وفي ليبيا، أعلن السيد خليفة موسى وزير شئون النفط لوكالة الأنباء الليبية الرسمية أن حكومته ستتخذ جميع الإجراءات لمنع تدفق النفط الليبي إلى أية دولة تشترك في العدوان الصهيوني (1967/6/2).

- وفي بغداد، أعلنت الحكومة العراقية وقف ضخ النفط "بالنظر للموقف الخطير في موقف كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وقيامهما بمد العون العسكري للعدو ...". وقرر الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق مقاطعة جميع البواخر وناقلات النفط ... وكان هذان القراران في اليوم الثاني من العدوان (1967/6/6).
- وفي الكويت، اجتمع مجلس الوزراء وقرر وقف تصدير النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا (1967/6/6).
- وفي الجزائر، أصدرت الحكومة قراراً بوقف تصدير البترول إلى بريطانيا والولايات المتحدة (4967/6/7).
- وفي بغداد، رفضت السلطات العراقية تحميل ناقلة بريطانية وأندرتها بوجوب مغادرة المياه الإقليمية العراقية فقامت بتنفيذ الأوامر فوراً وكانت الناقلة البريطانية وحمولتها 41 ألف طن قد وصلت إلى ميناء البصرة في اليوم الأول من العدوان .. (1967/6/7).
- وفي السعودية، عرض الشيخ أحمد زكي اليماني وزير البترول السعودي على مجلس الوزراء السعودي القرارات التي أصدرها مؤتمر وزراء البترول الذي عقد في بغداد، وصرح " بأن مجلس الوزراء قد وافق على قرارات مؤتمر بغداد وأصدر أمراً بمنع وصول البترول السعودي إلى الدول التي تشارك إسرائيل وتساعدتها عسكرياً في عدوانها على الأمة العربية ، وأنه قد تم إبلاغ ممثل شركة أرامكو تليفونياً بمحتوى القرار لتنفيذه، وكذلك أبلغت جميع الشركات البترولية العاملة في السعودية .. ومنذ صباح هذا اليوم توقف ضخ بترولنا إلى الدول التي تقف في صف الوليدة الممسوخة إسرائيل ". (1967/6/7).

- وفي نيويورك، أعلن ناطق بلسان شركة أرامكو البترولية أن الشركة أغلقت منشآت إنتاج النفط والمصافي التابعة لها في المملكة العربية السعودية بسبب وقوع تظاهرات مناوئة للأميركيين هناك، وأن عدة مئات من السعوديين بينهم عدد من موظفي الشركة اشتركوا في التظاهرات، وأن منازل حوالي 1350 أمريكياً يعملون في المنشآت قد دمرت، ولكن لم تلحق إضرار بمنشآت النفط ..
(1967/6/7).

- وفي طرابلس، قررت الحكومة الليبية " وقف ضخ البترول ومنع تصديره من الموانئ الليبية، وذلك التزاماً من ليبيا بالدور الذي تفرضه طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة العربية ضد العدوان الصهيوني وتضامناً مع الدول العربية المنتجة للبترول" .. إلى آخر ما جاء في البيان الرسمي (1967/6/7).

- وفي البحرين، أصدر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين أمراًً بوقف جميع عمليات شحن ناقلات البترول، كما أمر بإغلاق خط الأنابيب الذي ينقل النفط الخام من السعودية إلى البحرين (1967/6/7).

- وفي بيروت، أصدرت القيادة العليا للجيش اللبناني أمراًً "بمنع تحميل أو تزويد أي سفينة من أي نوع كان بالبترول اعتباراً من الآن وإلى إشعار آخر (1967/6/7).

- وفي واشنطن أعربت الدوائر الرسمية عن قلقها البالغ بسبب توقف النفط العربي وقد أكد المسؤولون الأمريكيون أن قطع النفط سيضعف

إلى حد بعيد نشاط الولايات المتحدة الحربي في فيتنام كما أنه قد يؤدي إلى مزيد من الاضطراب الاقتصادي الداخلي وإنه من المعروف أن كمدن كبيرة من منتوجات النفط المصفى التي تؤمن الطاقة للعمليات الحربية الأمريكية في فيتنام تأتي من مصافي الخليج العربي مضافاً إلى ذلك أن أوروبا الغربية تستورد ستين في المائة من نفطها من الشرق الأوسط (1967/6/7).

- وفي الجزائر، أصدرت الحكومة أمراً بإقفال مكاتب ثلاث شركات بترولية تملكها هولنده، وبريطانيا وفرنسا وسويسرا، وختمت مكاتبها بالشمع الأحمر (1967/6/10).

- وفي إمارة أبو ظبي، أمر الحاكم الشيخ زايد بن سلطان شركات النفط العاملة في أبو ظبي عدم تحميل ناقلات النفط المتوجهة إلى بريطانيا والولايات المتحدة.

- وفي الرياض، أصدرت الحكومة السعودية أمراً بالموافقة على استئناف شحن النفط من رأس تنورة، ولكن ليس إلى الولايات المتحدة وبريطانيا (1967/6/12).

- وأعلن مسئول في شركة أرامكو أن عملياتها في المملكة العربية السعودية عادت إلى حالتها الطبيعية وأن مصافي البترول في رأس تنورة والخليج العربية عادت إلى العمل وأخذت تزودنا ناقلات النفط كالعادة وأن الحظر العربي المفروض على إرسال النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ما زال ساري المفعول (1967/6/13).

- وفي الرياض، أعلن الشيخ أحمد زكي اليماني وزير البترول السعودي أن حظر إرسال شحنات النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ما زال

مستمراً وأن خط التابلاين لا يزال مغلقاً، حرصاً على دقة تطبيق قرار مجلس الوزراء القاضي بحظر تدفق البترول السعودي إلى الدول التي تساعد دويلة العصابات الصهيونية، وأن وقف ضخ الزيت تماماً بدأ منذ اللحظة التي صدر فيها القرار.. ثم وضعت الترتيبات التي تضمن عدم تسرب أي شحنة إلى أي دولة تقرر منع البترول السعودي عنها... وعلى ضوء ذلك فقد أصدرت حكومة صاحب الجلالة أمراً لشركة أرامكو يسمح باستئناف ضخ الزيت ابتداء من منتصف ليلة الثلاثاء، بعدم وصول الزيت السعودي إلى أراضي الدول التي قررت حكومة صاحب الجلالة منعه عنها، وقد عينت وزارة البترول والثروة المعدنية مراقباً من كبار موظفيها للإشراف على تطبيق الترتيبات المذكورة ويجري هذا التدبير بالتعاون الكامل مع شركة أرامكو. (1967/6/13).

- وفي الكويت، أعلن الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية الكويتي، عقب اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي عقد في الكويت أن الدول العربية المنتجة للنفط ثابتة على قرارها بقطع النفط عن الدول التي ساعدت إسرائيل في عدوانها على الدول العربية (1967/6/17).

- وفي الجزائر، ألقى الرئيس الجزائري بومدين خطاباً في اجتماع شعبي ضم عشرة آلاف شخص، دعا فيه الحكومات والشعوب العربية إلى وقف شحن النفط إلى أعدائها لمدة سنة.. (1967/6/19).

- وفي الجزائر، هاجم الراديو، القرار الذي اتخذته السعودية بالسماح لشركة أرامكو بضخ النفط، ووصف القرار بأنه خيانة، وأن من شأنه أن

يشجع الاستعماريين ليضغطوا على دول عربية أخرى لتحذو حذو
السعودية .. (1967/9/22).

- وفي الكويت، أعلن الشفي خ جابر الاحمد رئيس حكومة الكويت في
حديث نقلته إذاعة الكويت إن بلاده ستستقيد بأي قرار يتخذه مؤتمر قمة
عربي بشأن النفط، وأن الكويت قد أوقفت شحن النفط إلى الدول التي
ساندت العدوان الإسرائيلي الغادر .. (1967/6/28).

- وفي السعودية، نقلت إذاعة مكة تصريحاً للشيخ أحمد زكي اليماني
وزير البترول السعودي قال فيه إن خسارة بلاده نتيجة لوقف ضخ النفط
خلال الأربعة وعشرين يوماً الماضية تزيد على مئة وستة مليون ريال
سعودي وأن الخسارة من الآن وصاعداً لن تقل عن مليون ونصف
مليون ريال يومياً .. (1967/6/29).

- وفي طرابلس أبرقت وكالة اليوناييتد برس للأنباء تقول إنه يبدو أن
حسين مازق رئيس حكومة ليبيا* ، استقال أول أمس بسبب خلاف نشب
حول ما إذا كان يجب على ليبيا أن تستأنف ضخ النفط إلى دول
الغرب أم لا، وأضافت الوكالة تقول إن حكومة مازق كانت تتعرض
لضغط شديد جداً من الوطنيين الذين يريدون استمرار المقاطعة مهما
كان الثمن بينما أعلن بعض المسؤولين في حكومة مازق عن قلقهم لأن
ليبيا تخسر يومياً مليون ونصف المليون من الدولارات منذ بدء وقف
تصدير البترول الليبي.

- وفي بغداد، استجابت الحكومة العراقية لطلب إسبانيا بأن تبيعها النفط بسبب موقفها المشرف من العدوان الأخير على البلاد العربية (1967/7/1).
- وفي السعودية، طالبت جريدتنا الندوة والبلاد باستئناف ضخ النفط بحجة أن إيقاف الضخ يضر بمصالح العرب الاقتصادية وأن بالإمكان الاستفادة من عائدات النفط في تمويل الجيوش العربية المقاتلة (1967/7/2).
- وفي الجزائر، عقب إذاعة الجزائر على تصريح وزير النفط السعودي وما قاله بأن قطع النفط العربي يضر بالاقتصاد العربي، فهاجمت المملكة العربية السعودية، ووصفتها بأنها طعنت الدول العربية من الخلف وأن التحلل من حظر النفط إلى بريطاني ا وأمريكا يعني خيانة الكفاح... (1967/7/31).
- وفي ليبيا، أعلن اتحاد العام للنقابات الليبية الإضراب الشامل احتجاجاً على سياسة الحكومة الجديدة التي يرأسها السيد عبد القادر البدري، بعد أن أعلنت استئناف ضخ النفط وتصديره إلى بعض الدول الغربية، وقد دعا عمال نقابة النفط إلى الإضراب لمدة ثلاثة أيام، مطالبين بعدم استثناء ألمانيا من إمدادها بالنفط بالإضافة إلى أمريكا وبريطانيا .. (1967/7/4).
- وفي السعودية، دعت جريدة عكاظ التي تصدر في جدة إلى إعادة تصدير النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا، بعد أن أعلن الملك حسين أنه أصبح متأكداً من عدم اشتراك الولايات المتحدة وبريطانيا في العدوان الإسرائيلي الأخير على البلاد العربيّة.. (1967/7/4).

- وفي بغداد، دعا مدير شركة النفط الوطنية إلى تأميم الممتلكات النفطية الخاصة بالولايات المتحدة وبريطانيا في العراق (1967/7/5).
- وفي طرابلس، أصدر عمال النفط في ليبيا بياناً قالوا فيه " إن إعادة ضخ النفط الليبي سيوفر أرباحاً طائلة لشركات النفط بسبب رخص النفط الليبي، وكأن ليبيا بإعادتها الضخ تقدم لشركات دول العدوان جائزة كبرى قدرها 450 مليون جنيه إضافية مكافأة لها على العدوان " (1967/7/6).
- وفي أبو ظبي، أعلن الحاكم الشيخ زايد بن سلطان أنه لا يعترف كسر الحظر الذي فرضه العرب على شحن النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا (1967/7/6).
- وفي جدة، قالت الإذاعة السعودية إن الحكومة ترى أن أساس حظر تصدير النفط إلى بريطانيا وأمريكا لم يعد قائماً، وأن هذا الحظر يهدد مستقبل الأقطار العربية. (1967/7/7).
- وفي ليبيا، استأنفت الحكومة ضخ النفط الليبي إلى فرنسا وإيطاليا وتركيا وإسبانيا واليونان، وأنهى عمال النفط إضرابهم واعتقل عدد من زعمائهم. (1967/7/7).
- وفي القاهرة، أذاع صوت العرب تعليقا هاجم فيه سياسة المملكة العربية السعودية الداعية إلى إعادة ضخ النفط إلى كل من أمريكا وبريطانيا (1967/7/8).
- وفي بغداد، نددت الهيئات والمنظمات العراقية بقرار الحكومة السعودية استئناف ضخ النفط إلى بريطانيا والولايات المتحدة، وبموقف ليبيا من دول العدوان. (1967/7/10).

- وفي طرابلس، نفى ناطق باسم وزارة النفط ما يشاع من أن ليبيا تصدر النفط إلى بريطانيا وأمريكا، وأكد أنها لا تصدره إلا إلى خمس دول هي إسبانيا وتركيا واليونان وفرنسة وإيطاليا. (1967/7/10).
- وفي السعودية، دعت إذاعة مكة إلى إعادة النظر في قرار تصدير النفط العربي إلى أمريكا وبريطانيا، على اعتبار أن الدول العربية المنتجة للنفط بحاجة لعائداته، لدعم اقتصادها، لمد جبهات القتال ومسيرة النضال بما تحتاج من أموال (1967/7/11).
- وفي بيروت، صرح الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي أثناء زيارته للعاصمة اللبنانية أن حكومته لا تنوي استئناف ضخ النفط إلى أمريكا وبريطانيا (1967/7/12).
- وفي الكويت، أعلن الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي أثناء زيارته أن العرب يتكبدون خسائر طائلة نتيجة قعطهم النفط عن بريطانيا وأمريكا (1967/7/13).
- وفي الخرطوم، أذاع الرئيس السوداني السيد إسماعيل الأزهرى كلمة في الراديو شدد فيها على أهمية سلاح النفط في المعركة (1967/7/19).
- وفي بغداد، طلبت الحكومة العراقية من اليابان أن تقدم تأكيدات قاطعة بان النفط العراقي الذي يصدر إليها لن يصل بشكل مباشر أو غير مباشر إلى بريطاني وأمريكا (1967/7/22).
- وفي بون، أعلنت مصادر رسمية في ألمانيا الغربية أن الحظر الذي تفرضه ليبيا والعراق على تصدير النفط إلى ألمانيا الغربية يحرمها من 40 في المائة مما تستورده من النفط (1967/7/22).

- وفي الكويت، صرحت مصادر رسمية أن قطع النفط الكويتي عن أمريكا وبريطانيا يكلف البلاد ما قيمته مائة وخمسة وأربعون مليون دولار سنوياً (1967/7/23).
- وفي بغداد، أعلن السيد إسماعيل خير الله وزير الخارجية العراقي أن الحكومة العراقية لا تزال ملتزمة كلياً بالقرارات التي اتخذها مؤتمر البترول العربي حول قطع النفط عن البلدان التي أيدت وتؤيد إسرائيل (1967/8/11).
- وفي بيروت، نقلت وكالة يونايتد برس للأنباء أن كمية من النفط العربي تصل إلى بريطانيا بواسطة طرف ثالث، ولم تذكر الوكالة أسم الطرف الثالث، كما لم تكشف النقاب عن كمية النفط التي تصل بريطانيا بهذه الطريقة (1967/8/14).
- وفي لندن، نشرت جريدة الجارديان البريطانية تحقيقاً ذكرت فيه إن المشروع العراقي المتعلق بالبترول قوبل بالفنور من قبل السعودية وليبيا وتونس والمغرب (1967/8/17).
- ومن جدة، قالت الإذاعة السعودية إن وقف ضخ النفط سيضر باقتصاد بعض الدول العربية وبالتالي بالمجهود الحربي، العربي، وحذرت من أن المقاطعة الاقتصادية العربية لبعض الدول الكبرى لن يكسب العرب إلا غضب تلك الدول، وأنه ليست هنالك دواع حقيقية لهذه المقاطعة..".
- فرغت من هذا السرد الطويل لموضوع النفط العربي ومواقف الحكومات العربية، وكان وزراء الخارجية يدونون في مفكراتهم كل ما يتعلق بحكومته، وكأنهم يستعدون للرد والإيضاح!!

ورأى رئيس المجلس أن موضوع النفط إذا فتح على مصراعيه فسيأخذ وقت المؤتمر بكامله، وهو لم ينجز شيئاً بعد، فاقترح إحالة الموضوع بكامله مع توصيات مؤتمر وزراء المال والبتترول والاقتصاد العرب على مؤتمر الملوك والرؤساء، " وهم يتصرفون في الأمر".

وعارض وزيراً الجزائر والعراق، بونفليقة، وخير الله ، وأصر على بحث الموضوع، وأنه لا يستغرق وقتاً لأن الجوانب الفنية والاقتصادية قد استنفذت ولم يبق إلا بحثه من الناحية السياسية.

وتدخل الوزير التونسي السيد المنجي سليم وطلب أن يترك الموضوع للملوك والرؤساء لأنهم أقدر على معالجته، وقد يجدون صيغة مقبولة من الجميع، وأيده الوزير المغربي الدكتور أحمد العراقي بقوله: "إن وقف البترول العربي هو سرطان قاتل بالنسبة للدولة العربية نفسها".

ولم يتكلم الوزيران السعودي والليبي، فقد تكلمت عنهما الوقائع التي سردتها .. وانتظرا أن يرمى الأمر على عتبات مؤتمر القمة ويخلصا من الكلام، أو التصويت..

والواقع إنني طلبت التصويت .. وقلت لرئيس الجلسة .. نحب أن نعرف في هذه الجلسة من الذين يوافقون على توصيات مؤتمر بغداد، ومن الذين يعارضون.

وسأل رئيس الجلسة وما هي الفائدة التي تبتغيها من التصويت؟؟؟
قلت : أريد أن يعرف العالم العربي، ماذا يقول المسئولون العرب في الداخل، وماذا يقولون في الخارج .. إن موضوع البترول قد مضى عليه أكثر من ربع قرن، وهو يترنح بين العن والخباء .. وقد اجتمع أكبر حشد من الكفاءات العربية في بغداد قبل أسبوع، وأقروا بالإجماع ضرورة استخدام البترول

كسلاح فعال في خدمة القضية العربية لقد قال الاقتصاد والعلم كلمته، ولم يبق على السياسة إلا أن تقول كلمتها .. وإذا كان الاقتصاد يقول نعم، فلم يبق على السياسة إلا أن تقول نعم .. هذا إذا كنا جادين مخلصين ... وخشي الرئيس السيد محجوب أن يتطور الموضوع إلى نقاش حاد، فاقترح وقف المناقشة لتستأنف في الجلسة المقبلة .

ودارت الأحاديث وراء الكواليس بين الوزراء والسفراء وتدخل الوسطاء من الخبراء بحجة " أن الملوك والرؤساء سيتوافدون غداً أو بعد غد ومن الخير أن يترك الموضوع بين أيديهم فإنهم أقدر على معالجته .. وأنه ينبغي اقتصار الجلسة التالية على إعداد جدول الأعمال ولا داعي أن ينقسم مؤتمر وزراء الخارجية على نفسه!!"

وجاءني الرئيس السوداني ليقول : يا أخي .. " مرافعتك " مسجلة في المحاضر، وستحال المحاضر كلها إلى الملوك والرؤساء .. وفي مؤتمر القمة تستطيع أن تنثير هذا الموضوع من جديد .. ولا داعي للتصويت وليكن اجتماعنا اليوم مساء ... وأنا سأكون مشغولاً باستقبال الملوك والرؤساء مع الرئيس الأزهرى.

وهكذا كان فقد اجتمعنا في المساء وطرح الرئيس محجوب اقتراحه بإحالة موضوع النفط إلى الملوك والرؤساء وتمت الموافقة بالصمت .. وقلت : هنالك قضايا أخرى غير النفط، وعلى أهميته فليس النفط كل شيء .. إن لدى المنظمة ورقة عمل تريد أن تطرحها وتناقشها، ونحن نطمح أن يوافق عليها مؤتمركم ويحيلها إلى الملوك والرؤساء.

وقال : الرئيس السوداني: تفضل وأقرأها علينا.

وبدأت أقرأ .. تقترح المنظمة على الصعيد الفلسطيني ما يلي :

- 1 -وضع خطة تفصيلية لإعداد وتنظيم ومساندة المقاومة الشعبية المسلحة في داخل فلسطين المحتلة.
- 2 -إصدار بيان باسم ملوك والرؤساء الدول العربية يلتزمون بموجبه نيابة عن حكوماتهم وشعوبهم بتعبئة جميع طاقات الأمة العربية وإمكاناتها لتحرير فلسطين وتأييد شعب فلسطين في كفاحه لاسترداد وطنه، ويعرف هذا البيان باسم " عهد بيت المقدس " .
- 3 -الاستمرار في دعم منظمة التحرير الفلسطينية وتمكينها من تحمل مسؤولياتها القومية في تعبئة الشعب الفلسطيني ليقوم بدوره الطبيعي في تحرير وطنه وتقرير مصيره".
- 4 - تعزيز جيش التحرر الفلسطيني بحيث تكون للمنظمة سلطة كاملة عليه من حيث تشكيله وتدريبه وتسليحه وجميع شؤونه الإدارية، على أن يكون الواجب العسكري مرتبطاً بالخطة العربية الموحدة.
- 5 - إنشاء معسكرات لتدريب أبناء فلسطين في الدول العربية.. بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية.
- 6 - إصدار التشريعات والأوامر اللازمة من الدول العربية كل حسب نظمها الدستورية لتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من استيفاء ضريبة التحرير من أبناء فلسطين حيثما وجدوا..
- 7 - الوفاء بجميع الالتزامات المالية المترتبة لمنظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني، بموجب قرارات مؤتمر القمة، والاستمرار في أدائها في مواعيدها المقررة.
- وعلى الصعيد العربي - تقترح المنظمة

- 1 - إنشاء (الدولة العربية المتحدة) من الدول الراغبة في الاتحاد، لها سيادة كاملة في الشؤون السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية والمشروع مرفق بهذه الاقتراحات(1).
- 2 - تعزيز الجامعة العربية لتدعيم العلاقات فيما بين الدول العربية ومنها الدول العربية المتحدة المقترح إنشاؤها.
- 3 - وضع سياسة بترولية عربية تكون ناحيتها الإيجابية الانتفاع بهذه الثروة لخير الأمة العربية، وناحيها الرادعة معاقبة الدول الأجنبية التي تتصدى لإلحاق الأذى بالقضية العربية وقضية فلسطين.
- 4 - سحب الأرصدة العربية من المصارف الأجنبية وإنشاء بنك مركزي.
- 5 - إنشاء صندوق قومي للتعمير والتحرير، تؤمن له موارد ثابتة تجبى بموجب تشريعات قانونية
- 6 - إنشاء جهاز إعلامي عربي موحد، في إطار الجامعة العربية يكون له استقلال ذاتي ، ويؤمن له مورد ضخم، وكفايات عربية وأجنبية ممتازة.
- 7 - بالإضافة إلى التعزيز العسكري الذي تقوم به الدول العربية، بوضع نظام خاص لوزارات التربية العربية يتم بموجبه تدريب عسكري صارم وتوعية قومية عميقة، للطلاب والشباب في الوطن العربي.
- 8 - إنشاء لجان شعبية في الوطن العربي لمعاونة الحكومات العربية في تنفيذ جميع المسؤوليات القومية.

- وعلى الصعيد الدولي: تقترح المنظمة:

- 1 - قطع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الولايات المتحدة، وبريطانيا وألمانيا الغربية والدول الأخرى التي قامت بدور بارز في

(1) انظرا كتاب المؤلف: حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء.

مقاومة الموقف العربي في الدورة الطارئة للأمم المتحدة، وكذلك اتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين جميع مؤسساتها في الدول العربية.

2 - تعزيز العلاقات السياسية مع الدول الصديقة، وتحويل العلاقات الاقتصادية والثقافية العربية إلى تلك الدول ... وبصورة خاصة تدعيم الروابط مع الدول الإسلامية.

3 - إصدار بيان تؤكد فيه الدول العربية بأن علاقاتها مع الدول الأجنبية تقوم على أساس موقفها من قضية فلسطين وإرسال البيان إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ليوزع على الدول الأعضاء كوثيقة رسمية

4 - الاعتراف بألمانيا الشرقية.

5 - إدراج بند على جدول الأمم المتحدة في دورة ايلول المقبلة بإقتراح نقل مقر الأمم المتحدة من نيويورك إلى باريس."

وقال الرئيس السوداني: - هذه اقتراحات نافعة، سنقوم بطبعتها وتوزيعها على الوفود، ونضعها في الملف الذي سنقدمه إلى الملوك والرؤساء مع جدول الأعمال...

قلت : قبل إحالتها إلى الملوك والرؤساء يجب أن يناقشها الوزراء ، ويقرروا بشأنها ما يرونه قبولاً أو رفضاً، أو تعديلاً أو اضافة .. فهل نحن هنا سعاة يريد لدى الملوك والرؤساء ...؟

قال الوزير التونسي السيد المنجي سليم، هذا مؤتمر حكومات

والاقتراحات يجب أن تأتي من قبل الحكومات!!

قلت : منظمة التحرير ليست حكومة، ولكنها في هذه الاجتماعات لها نفس الحقوق التي للحكومات ... وإذا كان الوزير التونسي يريد أن يبحث هذا الموضوع فنحن حاضرون.

وتدخل السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة وقال : لا داعي لخوض هذا الموضوع مرة ثانية ... المنظمة من حقها أن تقدم ما تشاء من المقترحات .. وورقة العمل التي قدمها رئيس المنظمة تحتوي آراء مفيدة ... ومن الحكمة أن نحيلها إلى لجنة فرعية لدراستها وتقديم التوصيات بشأنها ...

وأيد الاقتراح كل من الوزير الكويت الشيخ صباح الاحمد، والوزير العراقي السيد إسماعيل خير الله.

وتكلم الوزير الليبي الدكتور البشتي، وسانده الوزير المغربي الدكتور أحمد العراقي ما خلاصته أن هذه الاقتراحات جديدة وليس عندهما تعليمات بشأنها ولا يستطيعان أن يتخذا بشأنها أي موقف .. وشاركهما الوزير السعودي السيد عمر السقاف بكلمة واحدة : " ما عندي تعليمات " .. وكانت هي الكلمة الوحيدة التي تقوه بها في المؤتمر ... في داخل الاجتماعات.

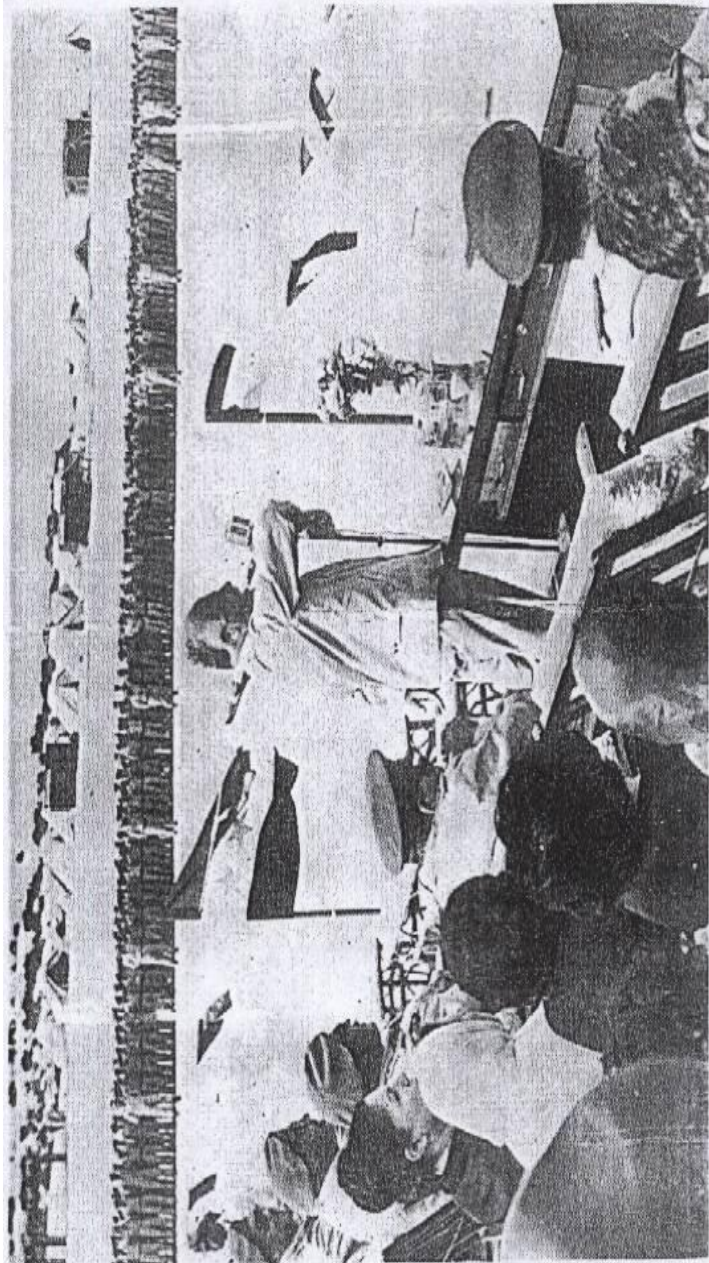
وحسب الوزير اليمني أن الفرصة لاحت له، فقال: وقضية اليمن، أما عندكم تعليمات بشأنها ... وكان هذا الكلام موجهاً إلى الوزير السعودي السيد السقاف .. ولكن لم يجب السقف ولا السقاف !!

وتعطل جهاز التكييف في قاعة الاجتماعات، واصبح الجو الطبيعي ثقيلًا كالجو السياسي، وبدا واضحاً أن الوزراء يريدون أن يكونوا سعاة بريد لدى الملوك والرؤساء يحملون إليهم الملفات من غير توصيات ..

والواقع أن الذي تعطل لم يكن جهاز " التكييف"، ولكن الذي تعطل هو
إرادة النضال، والعناد في الحق، والتصميم على التضحية.

ومن غير أن أقارن، فإن المقارنة تفجيني ففي الأيام التي كان فيها
الوزراء العرب يخطبون في القاهرة أو بغداد، أو الخرطوم، كان العناد الإسرائيلي
مشفوعاً بالتصميم والإرادة يتجلى في الاجتماعات الشعبية التي كانت تتعقد في
إسرائيل.

وفي أحد هذه الاجتماعات خطب الجنرال بيجال ألون وزير العمل
الإسرائيلي فقال : " يجب أن يكون نهر الأردن حد إسرائيل الشرقي، وأن الوجود
الإسرائيلي الدائم في الضفة الغربية سيضمن سلامة إسرائيل .. وأن



في معسكرات جيش التحرير الفلسطيني في سيناء



في ه حزين ان تحول بيتي في كيهون الى كلكة للبدائينين .. و بينو هنا المقدم حمد الشاسر يعطى توجوهات
الى فصل من البدائين المستجدين





مع الفريق أول علي علي عامر









مع جروميكو وير خارجية الاتحاد السوفيتي

الجولان جزء من إسرائيل القديمة، ولا يقل انتماؤها إلى إسرائيل عن نابلس والخليل .. ألم يحكمها يفتاح أحد أجدادنا العظام..".(1967/8/15). بل إن مؤتمرات القمة برمتها لم تعد تخيف إسرائيل.. ولم تعد تثير اهتمامها إلا بصورة عادية، وهذه وكالة الصحافة الفرنسية قد نشرت تعليقا عشية انعقاد مؤتمر القمة تقول فيه : إن إسرائيل لم تعد تشعر بمخاوف عند الإعلان عن اجتماع عربي على مستوى القمة..."(1967/8/29). ومع هذا فقد مضينا نعد جدول الأعمال للملوك والرؤساء، بعد أن تعطل جهاز " التكييف".

أجل، لقد أعدنا جدول الأعمال وما أعدنا أنفسنا للنضال .. بالعناد والتصميم .. كما يفعل عدونا ..

ولهذا فقد كان جدول الأعمال يصدق فيه قوله تعالى:

" أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف"

صدق الله العظيم

مؤتمر الخرطوم..

يحتضر في يوم ميلاده

في فجر الثلاثاء، التاسع والعشرين من شهر آب (أغسطس)، في السنة الأولى من النكبة الكبرى نهضت من فراشي لأرى السماء غير السماء، والأرض غير الأرض، والخرطوم غير الخرطوم. فركت عيني، وأنا أنظر من الشرفة، لاستيقن ما أرى، وما كذب البصر ما رأى ... لقد أبصرت بالأشجار فإذا هي بيضاء بأغصانها وجذوعها وأعمدة الكهرياء بيضاء بسواربيها ومصابيحها، والشوارع بيضاء بأرصفتها وأسطحة المنازل بشرفاتها بيضاء .. وظننت لأول وهلة ، أن سحابة بيضاء من الثلج قد هبطت على المدينة، فجعلت من الخرطوم إحدى مدن القطب الشمالي المتجمد ..

ولكني سرعان ما تبينت الأمر على حقيقته بأذني لا بعيني .. فقد كان هذا " البياض " يتكلم ويصيح يأكل ويشرب ويتنفس ويدخن، تبينت أن هذا هو شعب السودان، افترش الأرض وتسلق الأشجار واحتشد في الشوارع، وملاً الأسطحة والشرفات ... والجميع بالملابس البيضاء والعمائم البيضاء، وكأنما هبط على الخرطوم رداء من السماء، ناصع البياض، تزيده الشمس الساطعة تألقاً وسناء.

وكان هذا الحشد الأبيض الأكبر هو لاستقبال الملوك والرؤساء الوافدين على مؤتمر القمة، وكان من العجب الأعجب أن تحشد هذه الخلائق في ذلك اليوم اللاهب لتستقبل الملوك والرؤساء استقبال الفاتحين المنتصرين.. ولما مسحوا بعد، عفار الهزيمة، وغبار النكبة، عن وجوههم!!
وتلك كانت مفارقة عجيبة حقاً، للذين لا يعرفون هذا الشعب، وعناده في حقه وصبره على آماله.. ولكن الشعب أراد أن يستقبل آماله المرجوة وقد فقدها، وأطماحه التي يصبو إليها وقد خسرهما.
وهكذا فقد خرج الشعب لا لاستقبال الهزيمة والمهزومين بالأمس، وإنما لاستقبال النصر والمنتصرين بالغد، ومن هنا كان هذا الطوفان من البشر يغمر الخرطوم على سعتها وامتدادها، من المطار إلى الحارات وليس هذا مبالغة في الوصف.. ولكنه هو الحقيقة في عبارة وجيزة.
وخرجت مع الوزراء والسفراء إلى المطار لاستقبال الملوك والرؤساء كل وزير لاستقبال ملكه أو رئيسه.. وأما أنا فلم يكن لي ملك ولا رئيس ولا وطن قائم ولا شعب مجتمع.. وكان يكفيني أن أكون واحداً من المواطنين جنّت لاستقبال الأمل والرجاء في صدر الغيب البعيد أو القريب لا أدري.
وبدأ القادمون الكبار يتوافدون.. الرئيس اللبناني شارل حلو.. الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، الملك الأردني حسين بن طلال.. الرئيس اليمني المشير عبد الله السلال، أمير دولة الكويت الشيخ صباح الاحمد الصباح، الأمير حسن الرضا ولي عهد المملكة الليبية في العهد الساقط، السيد الباهي الأدغم ممثلاً للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، السيد عبد العزيز بوتفليقة ممثلاً للرئيس الجزائري هواري بومدين، الدكتور بن هيمة ممثلاً لملك المغرب الحسن الثاني.

وجرت مراسم الاستقبال المعتاد للجميع بكل حفاوة وانسابت سيارات الوفود بين الجماهير المحتشدة إلى فندق السودان في فيض زاخر من الحماسة البالغة والتهنئات المدوية.

ولم يبق إلا قدوم الرئيس عبد الناصر والملك فيصل.. وأخذ الشعب ينتظر ورجال الدولة وموظفو المراسم يروحون ويغدون ويتشاورون ثم ينظرون إلى السماء .. إلى الأفق البعيد بحثاً عن طائرة قادمة من القاهرة أو الرياض. وهبطت أولاً طائرة الرئيس عبد الناصر، فاشتد زحام الجماهير من حول أرض المطار، والناس يودون أن يخطفوا الرئيس ليحملوه على الأكتاف إلى الخرطوم، غير مباليين بالبروتوكول وتقاليده .. والشعب في السودان على الفطرة العربية ..

وخف الجميع لاستقبال الرئيس عبد الناصر يتقدمهم رئيس مجلس السيادة السيد إسماعيل الأزهري، ورئيس الحكومة السيد محمد أحمد محجوب، والوزراء العرب، وتعالق التهنئات الداوية ترددها الجموع حتى خفتت مراسم الاستقبال الرسمي ومعها العشرون طلقة وطلقة التي تطلقها مدافع الاستقبال لا مدافع الميدان !!

وأقترح الرئيس الأزهري أن ينتظر الرئيس عبد الناصر في المطار بعض الوقت، فقد أصبحت طائرة الملك فيصل وشبكة الوصول، وبهذا يكون من المناسب أن يركب الرئيس عبد الناصر والملك فيصل في سيارة واحدة ومعهما الرئيس الأزهري، ليكون الموكب واحداً أمام الجماهير. وأعرب الرئيس عبد الناصر عن رأيه في أن تكون مراسم الاستقبال كالمعتاد، لكل ملك أو رئيس على حدة .. ولم ينشرح الرئيس عبد الناصر لهذا

الرأي، فلم يلتق بالملك فيصل بعد القطيعة الطويلة بينهما، فضلاً عن أن الحسابات ما صفت بينهما، وما يزال مصير المؤتمر القمة يكتفه الظلام ... ومشى الرئيس عبد الناصر إلى صالة المطار ليلقي كلمة إلى الشعب السوداني .. وكانت إذاعة الخرطوم ومعها إذاعة القاهرة جاهزة للاستقبال لتسمع الأمة العربية من الخرطوم على المحيط ... ومن الخرطوم إلى الخليج.

ولم تقتصر خطبة الرئيس عبد الناصر على الشكر والتحية، بل تعرض لمؤتمر القمة وما يدور حوله فقال : (إذا كانت الاجتماعات التمهيدية التي كان من عملها الإعداد لهذا الاجتماع على مستوى القمة العربي لم تحقق ما كنا نرجوه منها فأن ذلك أيضاً لا يثنينا عن التمسك بالمحاولة إلى آخرها .. ونحن قد جئنا إلى هذه المحاولة ونحن نعلم أن أخوانا أعزاء علينا يرون مقدماً بعدم جدواها، ولكننا آثرنا مهما كانت الاعتبارات أن نجى، وأنا لنتمنى من كل قلوبنا أن يتحقق ما يتصوره البعض، حتى من إخواننا، بعيد المنال) .

وكانت هذه العبارات موجهة إلى سوريا والجزائر اللتين اعتذرتا عن حضور المؤتمر (لعدم جدواه) كما أعلنت إذاعات دمشق والجزائر.

وبينما كان الرئيس عبد الناصر يتحدث إلى جماهير الأمة العربية توقفت إذاعة السودان وأنتقل الميكروفون إلى المطار لينقل نبأ وصول طائرة الملك فيصل، وظل شعب السودان يواصل الاستماع إلى إذاعة صوت العرب، ولم يخل الموقف من شيء من الارتباك ...

وخرج الرئيس عبد الناصر ومعه الرئيس محمد أحمد محبوب وسط الطوفان البشري، والجماهير تهتف ملء الحناجر، والنساء تزغرد والطلاب والشباب يتسابقون على الموكب، تتصيب جباههم بالعرق، وتتشقق أشداقهم،

وهم يصيحون : ناصر ... ناصر ... شعب واحد .. جيش واحد .. القتال.. القتال .. الثأر.

واستمرت هذه الهتافات تواكب الرئيس عبد الناصر حتى أوصلته إلى فندق السودان .. وبقي الرئيس إسماعيل الأزهري في المطار ليستقبل الملك فيصل، وتمت مراسيم الحفاوة .. وخرج الملك فيصل ومعه الرئيس الأزهري في سيارة الرئاسة في موكب فخيم عظيم، تحف بهما الجماهير . وكانت الجماهير تهتف، ولكن بشعارات أخرى لها معناها ومغزاها، والجماهير العربية ذكية واعية، تحسن صياغة الشعارات، كما تجيد القصائد الشعبية.

كان هتاف الجماهير، (عدو عبد الناصر عدو الله) .. وعلى طول الطريق، من المطار إلى الفندق، كانت الجماهير تقترب من سيارة الملك فيصل لتصيح في أذنيه : (عدو عبد الناصر عدو الله) .. وكان الملك فيصل، يلقي بكوفيته على رأسه ووجهه، من حين إلى حين، لا اتقاء للحر، فهو اليف الحر في الجزيرة العربية، ولكن اتقاء لهذا الهتاف ومعناه ومغزاه أشد لهباً من حر الخرطوم والرياض معاً .

وعلى طول الطريق كذلك فقد كانت الرايات، أشد إخراجاً من الهتافات ... فقد كانت الرايات مكتوباً عليها .. (أوقفوا البترول عن دول العدوان) وما إلى ذلك من العبارات البترولية.

وصل الملك فيصل إلى فندق السودان وهو يبدي سروره من استقبال السودان الرسمي، ويكظم غيظه من (استقبال) السودان الشعبي ... وبهذا تكامل وصول الملوك والرؤساء، وقد تخلف عن القافلة ملكان وثلاثة رؤساء.

تخلف الملك المخلوع إدريس السنوسي، لأسباب صحية كما ذكر ولي عهده حسن الرضا، وتذكرت الملك الكامل وقد حمل نفسه على محفة عبر الصحاري والقفار ليصل إلى ميدان القتال في دمياط ويشرف على معركة المسلمين بنفسه ضد الصليبيين، غير مبالٍ بالمرض الذي هدهه وأنهك جسده... وما أعظم الفارق بين الملوك المجاهدين، والملوك المتقاعدین المتناقلين..

وتخلف الحسن الثاني ملك المغرب، وهو هو الذي اقترح عقد مؤتمر قمة ينعقد في الرباط في عشية العدوان الإسرائيلي، وهو يريد المؤتمر أصلاً أن ينعقد في عاصمته حتى ينسى الشعب همومه من الحكم.. وها هو اليوم يتقاعس عن المجيء إلى الخرطوم وهو في ريعان شبابه، وقد كرس لسانه بعد الهزيمة ليقول على الدوام.. " كان يجب على الرئيس عبد الناصر أن يبدأ بالهجوم ولو كنا مكانه لكننا البادئ بالهجوم.. " وها هو لا يبدأ بالسفر فضلاً عن الهجوم !!

وتخلف الرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي لأن القيادة القومية مؤتمر القمة، وأوفدت الدكتور إبراهيم ماخوس إلى الخرطوم ليجتمع بالملوك والرؤساء في حجراتهم، لا في قاعة الاجتماعات.. فكان موقفاً ينم عن المراهقة السياسية بالإضافة إلى التفاهة القومية.. واكتفى البعث السوري أن يصيح من دمشق، عن طريق جريدة الثورة " بأن مؤتمر القمة هو المنبر الأخير لدعاة تصفية قضية فلسطين" .. وكان الأجدر أن يتخذوا من هذا المنبر مسيرة جديدة أصيلة تحول دون تصفية القضية الفلسطينية !

وتخلف الرئيس التونسي بورقيبة، وكان في تمام الصحة وكمال العافية كما يقول إخواننا التونسيون، واختار أن يخاطب مؤتمر القمة من تونس فخطب في اجتماع شعبي كبير دعا فيه العرب أن " يعترفوا بوجود إسرائيل وأن يمتنعوا

عن التهديد بمسحها من خارطة العالم وطالب الدول العربية بأن تنتهي حالة
العداء مع إسرائيل، وأضاف أن العرب يتعرضون الآن للهزيمة والاحتلال لأن
أحدهم (عبد الناصر) توقع أن يأتي المعتدي من الشرق فجاء من الغرب
... (1967/8/26) ونسى الرئيس أبو رقية خطابه الشهير في يوم : " الآن
جاءت ساعة الحرب ..!!"

وتخلف الرئيس الجزائري هواري بومدين، وفي اليوم الأول لعمل مؤتمر
القمة، خطب في مؤتمر شعبي كبير بالجزائر فقال : " نحن نرفض أي حل
سياسي لأزمة الشرق الأوسط لأن هذا الحل يشكل في الواقع اعترافاً بإسرائيل
وتصفية نهائية للقضية الفلسطينية .. وأن متابعة النضال هو الوسيلة الوحيدة
لاسترداد الأرض العربية المحتلة وتحرير فلسطين .. وإذا جرى استفتاء في
العالم العربي حول النقطتين التاليتين : متابعة النضال أو الإقرار بالأمر الواقع
فأنا متأكد أن 99 بالمائة من الشعب العربي سيختار متابعة النضال .. ولا يحق
لأية حكومة عربية أن تعمل على تصفية القضية الفلسطينية لأن هذه تتعلق
بمصير شعب بأسره .. وأن الطريق مفتوحة لكم من يريد أن يذهب إلى تل
ابيب، ولكن فليذهب وحده ولا يطلب من الحكومات العربية الأخرى أن يلحقوا به
للتفاوض مع إسرائيل والاعتراف بالأمر الواقع والهزيمة ... ويجب أن نقوم
بالتصفية الشاملة للمصالح الإمبريالية في العالم العربي .. " إلى آخر هذا
الخطاب الرائع الذي كنت أتمنى أن يلقيه الرئيس الجزائري في مؤتمر القمة، في
الخرطوم، لعله يوجهه وجهة أخرى.

ونحن لو حذفنا ثلاثة من المتخلفين وهم الملك الحسن الثاني والرئيس
بورقيبة، والملك إدريس، فلا مناص من الأسف على تخلف الرئيس بومدين
والأتاسي فقد كان حضورهما مدعاة لدفع المؤتمر خطوة واحدة إلى الأمام أو

خطوة أقل إلى الورا ء ... بل لأمكن رفع المؤتمر من الهوة التي وقع فيها،
وسميت ظلماً بمرحلة الصمود ... وجاءت الأحداث لتثبت أن الصمود تحقق،
ولكن على الهوان!!

وهكذا انعقد مؤتمر القمة بما يقرب من نصف رؤسائه .. ومع هذا فإن
مؤتمر القمة لم يصل إلى نصف القمة.. بل أنه هوى إلى الحضيض.
وفي مساء يوم الثلاثاء (1967/8/29) خرجت من الفندق إلى قاعة
الجمعية التأسيسية، وتعاقب مجيء الملوك والرؤساء والوفود لشهود الجلسة
الافتتاحية العلنية.

وألقى الرئيس السوداني السيد إسماعيل الأزهري خطاباً حذر فيه من "
التناذب والتناحر لئلا يهدر الحق العربي والكرامة العربية، مؤكداً أن مسؤولية
اتخاذ قرارات بناءة تقع على عاتقنا ولن تغفر لنا شعوبنا إخفاقنا وعلينا واجب
ملح يقضي باتخاذ جميع التدابير الاقتصادية والعسكرية والسياسية لإزالة آثار
العدوان، وأن واجبنا الأول أن نخرج من هذا المؤتمر بوحدة بناءة وخلاقة".
وانتهت الجلسة العلنية، وخرج الصحفيون والمصورون، وانعقدت الجلسة
مقفلة، وباتت كل ذرة في القاعة، تتساءل هل سيحقق المؤتمر الأمل المرجو
في اتخاذ " التدابير الاقتصادية والعسكرية والسياسية لإزالة آثار العدوان".
كما أشار الرئيس الأزهري في خطابه ... أم إن هذا الكلام سيكون
شأنه شأن رايات القماش التي نصبت بالمئات في ميادين العاصمة وهي تطالب
الملوك والرؤساء " قاطعوا دول العدوان " ... نريد استئناف القتال "
" البترول سلاح المعركة " .. وما إلى ذلك من الشعارات .. حبر على قماش
يتماوج في الهواء!

وبدأت الجلسة المقفلة أعمالها بالشؤون التنظيمية .. ولم يكن جو الاجتماع مسترخياً .. فالحاضرون لم يفتح بعضهم على بعض، ولم تهيأ لهم لقاءات سابقة ليتفاهموا على القضايا الحساسة، والرئيس عبد الناصر والملك فيصل لم يلتقيا منذ مؤتمر القمة في الدار البيضاء ووقعت بينهما قطيعة حادة، المشير السلال يحاول عبثاً أن ينزع ابتسامة أو نظرة من الملك فيصل، والملك حسين يراقب تحركات وفد منظمة التحرير، والوفد التونسي يستشعر الغربة في هذا الاجتماع بعد أن استبعدت تونس عن الاجتماعات العربية بسبب مواقف رئيسها الحبيب بورقيبة، والرئيس اللبناني شارل حلو يدير وجهه المكتنز إلى الجميع ليعرض دور لبنان التقليدي في المساعي الحميدة، والوزير الجزائري السيد عبد العزيز بوتفليقة يطبق عينية ويفرك جبينه وهو يتذكر في ذهنه الخطوط العريضة للسياسة الجزائرية، والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف وأمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد يتبادلان النظرات بحثاً عن مخرج لقضية النفط لا يكون فيه ضرر ولا ضرار .. والوفدان الملكياني الليبي والمغربي يتهامسان لتنسيق مواقع الأقدام!!

كان هذا هو الجو النفسي للمؤتمر، قلوب مغلقة في الجلسة المقفلة .. ولاحت الفرصة للرئيس الأزهري أن يفتح القلوب، ومعها الأفواه .. فوقف وقال : إن عملنا الأول هو انتخاب رئيس للمؤتمر وأنا أرشح نفسي للرياسة، وأظن أنكم لن تجدوا خيراً مني لرياسة المؤتمر!!

وانفتحت الأفواه .. وضحك الجميع، ولم يكن الأمر في حاجة إلى موافقة، فالنقلات تقضي أن تكون الرياسة للدولة المضيفة.. وجلس الرئيس الأزهري في كرسي الرياسة: ثقيل الجسم خفيف الروح..

وتقدم رئيس وزراء السودان السيد أحمد محمد محبوب، بوصفه رئيساً لمؤتمر وزراء الخارجية، ولخص أعمال المؤتمر، وتوصيات مؤتمر وزراء الاقتصاد والمال والبتترول العرب، ثم تلا جدول الأعمال الذي أقترحه وزراء الخارجية وهو :

أولاً : بحث النتائج التي تترتب عن العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ودراسة وسائل إزالة آثار العدوان:

أ) على المستوى العسكري...

ب) على المستوى الاقتصادي (توصيات مؤتمر بغداد).

ج) على المستوى السياسي

ثانياً : تصافر الجهود لإزالة آثار العدوان ودراسة نقاط الضعف لتلافيها في المستقبل.

ثالثاً : تصفية القواعد العسكرية الأجنبية في الدول العربية..

رابعاً : وضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى ومتكاملة سياسياً

وعسكرياً واقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق الأهداف العربية.

ومن غير بحث أو كلام أو تصويت، أقر الملوك والرؤساء، بالصمت،

جدول الأعمال ..وقد أوردته بالنص الكامل ليرى المواطن العربي في النهاية ما

الذي بحث في هذا الجدول، وما الذي تم عليه الاتفاق ق .. وأخيراً، ماذا كان

حظه من التنفيذ...

وأقول " التنفيذ"، لا بعد المؤتمر مباشرة فحسب، ولكن حتى بعد السنوات

الست التي انقضت على ذلك المؤتمر.

وبعد إقرار جدول الأعمال، افتتح الرئيس الأزهري باب المناقشة

.. وسأل :

- من يريد أن يتكلم.

فلم يتكلم أحد ...

وعاد الرئيس وسأل : هل من اقتراح .. ولم يتكلم أحد ..

ولم يجد الرئيس أمامه إلا أن يعلن تأجيل الجلسة إلى صباح الغد ..

وخرجنا نحمل معنا جدول الأعمال إلى الفندق، كل وفد إلى جناحه المخصص

له .. وأنا إلى غرفتي، لأن شعب فلسطين مقصوص الجناح في الهواء، فلماذا

يكون له جناح على الأرض ... أو في الفندق !!

وبدأت الاجتماعات في الأجنحة، الملوك والرؤساء يتزاورون، وأنا أطوف

عليهم أقدم لكل واحد منهم ملفاً كاملاً عن الجوانب السياسية للقضية

الفلسطينية، والأمور العسكرية لـ جيش التحرير الفلسطيني، والوضع المالي

لمنظمة التحرير، ومع هذا كله ورقة العمل التي قدمتها إلى مؤتمر وزراء

الخارجية العرب في مطلع هذا الشهر، ومشروع الدولة العربية المتحدة.

وكانت إجراءات الأمن المسددة لا تسمح لأحد بدخول الفندق، ولذا فقد كانت

تلفونات الفندق مشغولة باستمرار ... مشغولة مع الصحفيين، فقد كانوا يطلبون

الوزراء والسفراء على التلفون، ويستدرجونهم لأحاديث صحفية، من غير نصب

ولا تعب ..

وقضينا شطراً من الليل في حديقة الفندق ننعم بالنسيم الناعم هروباً من

الهواء المكيف ... وما أن انتصف الليل حتى خرج الرئيس عبد الناصر

بسيارته، وخرج بعده الملك فيصل بسيارته، وتقدمتهما سيارات الحرس .. وكان

لا بد لهذه الحركة " المكشوفة " أن تثير حركة الصحفيين، فلحقوا بالموكب إلى

أن وصل .. ووصلوا ..

وكان المكان منزل رئيس الوزراء السيد محمد أحمد محبوب .. ووصل
الرئيس عبد الناصر ..وبعد دقائق وصل الملك فيصل .. وأقفلت الأبواب ولم
يدر أحد ماذا جرى ...

وطال انتظارنا لنعلم ماذا تم في هذا الاجتماع .. وانصرفت إلى غرفتي،
وعدد من الوزراء والسفراء يلحون عليّ البقاء لنعرف ماذا تم في هذا اللقاء ..
ولكن نهضت، وأنا أقول لهم : رحم الله العرب ما تركوا شيئاً إلا وقالوه .. قالوا :
عند الصباح يحمد القوم السرى .. وفي اجتماع الصباح ستعرفون نتيجة اجتماع
الليل!!

وكان الأمر كذلك .. فعند الصباح بدأت ترشح الأخبار بين الوفود في
الفندق .. وكل ما قالته الأخبار ساعتئذ أن الرئيس عبد الناصر والملك فيصل
عقدا اجتماعاً في منزل الرئيس السوداني .. وأن الاجتماع استمر حتى الفجر
...وأن الرئيس السوداني حضر لبضعة دقائق في بداية الاجتماع، ثم تركهما
وحدهما ليتكاشفا، وانهما خرجا من المنزل وأيديهم متشابكة، ووجوهما تتم على
التوافق والرضا..

وبدأ الوزراء يحاولون التكهن بما جرى في هذا الاجتماع .. فقد قال الوفد
المصري إن رئيسهم ملتزم الصمت ولا يعرفون شيئاً .. ولم يكن الوفد السعودي
في حاجة أن يؤكد أن الملك فيصل قد التزم الصمت... فالملك فيصل لا يكلم
أحداً، إلا حينما يريد، ولا يتكلم إلا بمقدار، و الملك فيصل، كما قال الشاعر، "
لا يتكلم إلا حين يبتسم" وقل أن يبتسم، والصمت عنده من بترول، لا من
ذهب، ومهما تدفق البترول فإن لسان الملك فيصل لا يتدفق..

وقلت للوزراء لا تجهدوا أنفسكم في التكهن .. جلسة العمل الأولى ستكون بعد قليل، وستعلمون من خلال الحوار ما تم بين عبد الناصر وفيصل، اليوم، أو غداً، على الأكثر..

وبدأت الجلسة العمل الأولى .. ووقع الاختيار أن يكون الاجتماع في صالة الفندق لا في قاعة المجلس التأسيسي " ضمانة للسرية " .. كأنما السرية يمكن ضمانها في الاجتماعات العربية !!

واستهل الرئيس الأزهري الجلسة بقراءة البرقيات والرسائل، كان من أبرزها برقية بعث بها الرئيسان نيقلاي بودجورني واليكسي كوسيجين باسم الاتحاد السوفيتي، وجَّها فيه التحية إلى مؤتمر القمة وأكدوا فيه " أن البلاد العربية تستحوذ على عطف جميع الشعوب المحبة للسلام لأن النضال العربي ضد العدوان الإسرائيلي الذي وقع على الأراضي العربية هو نضال ضد كل السياسة العدوانية الإمبريالية التي تشن حرباً من حروب قطاع الطرق في فيتنام، وتنظم الاستفزازات ضد كوبا، وترسل جماعات التخريب من المرتزقة إلى الكونغو، وتدس المؤامرات ضد البلاد والشعوب الأخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. " وبهذا حشرت القضية العربية مع القضايا الدولية الأخرى التي تثير اهتمام الاتحاد السوفيتي، في القارات الستة.

ومن الرسائل، مذكرة قدمها اتحاد نقابات العمال في السودان، تدعو الملوك والرؤساء العرب " إلى الاستيلاء على المؤسسات الأجنبية، وتأميم البنوك والشركات البريطانية والأمريكية والألمانية الغربية، وتصفية القواعد الأجنبية العسكرية في الوطن العربي، وإيقاف ضخ النفط عن الدول التي ساهمت في العدوان على الأمة العربية، وسحب كل الأرصدة العربية من البنوك الأجنبية، واعتراف جميع الدول العربية بجمهورية اليمن". وقد لخصت هذه المذكرة لأنها

تمائل الآلاف من البرقيات والرسائل والمذكرات التي وردت على المؤتمر من كافة أرجاء الوطن العربي.

تم تلا الدكتور محمد بن هيمة رئيس وزراء المغرب خطابا للملك الحسن الثاني، حمله من أقصى المغرب، وكان أجود ما فيه إنشاؤه الأجود الأمجد، دون أن يذكر سبب تخلفه عن المؤتمر.

وطلب الملك حسين الكلمة، فألقى خطابا حسن الصياغة بديع العبارة .. وهكذا أجاد الحسن والحسين ..

وجاء دور جدول الأعمال فتلا الرئيس الأزهري البند الأول وعرضه للمناقشة، فلم يتكلم أحد.. وعرض البند الثاني فليم يتكلم أحد .. ثم الثالث، والرابع، فلم يتكلم أحد.

لقد كانت الجلسة مزدحمة مكتظة، فقد حضرها وراء الملوك والرؤساء والوزراء والسفراء، ورائهم الخبراء، وحولهم الموظفون من الدرجات العادية.. وكيف يمكن أن تكون الجلسة سرية .. بل كيف يمكن للملوك والرؤساء أن يتحدثوا بالصراحة، ولو بالقدر القليل.

وأدار الرئيس السوداني رأسه الضخم بين منكبيه العريضين، وهو يبحث عن مخرج .. فصاح السيد محمد أحمد محبوب، رئيس الوزراء، أنا أقترح تأجيل الجلسة لنشرب المرطبات، وكذلك كان، فقد انفضت الجلسة .. وتنفست القاعة الصعداء...

وجرى الحديث بين الحلقات .. واتفقت الكلمة أن ينعقد الاجتماع " مصغراً " فلا يحضره إلا الملوك والرؤساء، ومع كل منهم واحد فقط من أعضاء وفده. وعدنا إلى صالة الاجتماع .. واتجهت الأنظار إلى الرئيس عبد الناصر فالجميع ينتظرون منه أن يبدأ المناقشة .. فإن مصر هي قطب الرحي بالقضية

العربية، وهي التي وقعت عليها أكبر ويلات الحرب أرضاً وشعباً .. وعبد
الناصر يعرف خوافي الأمور قبل الهزيمة وبعدها ..
وفتح الرئيس عبد الناصر ملفه أمامه .. ينظر يه حيناً ويتحدث حيناً ..
وامتد حديثه قرابة ساعتين، وتحدث بعده الملوك والرؤساء، كما تحدث باسم
شعب فلسطين .. وها أنا أعود إلى محاضر منظمة التحرير لأنشر ما قاله
الملوك والرؤساء، ويقيني أن العثور على محاضر الملوك والرؤساء في "
أرشيف" الحكومات العربية يكاد أن يكون معجزة ... هذا إذا أمكن العثور عليها
كاملة وسليمة !!

وأرهب الملوك والرؤساء أسماعهم، وتحدث الرئيس عبد الناصر قائلاً:
" نحن الآن نواجه أوضاعاً خطيرة، ونخوض معركة مقدسة تتطلب منا
جميعاً موقفاً موحداً .. وعلى الرغم من أن جدول الأعمال، يشير في نقطته
الأولى للناحية العسكرية إلا أنني أجد من الضروري أن أمهد لذل ك سياسياً ..
والحقيقة أن الأمرين مترابطان معاً ولا يمكن الفصل بينهما.
" لقد وقع الخلاف بيننا وبين الأميركي ن قبل العدوان بسنتين، وذلك عندما
طلبت أميركا منا إيقاف الأبحاث الذرية مع حق التفتيش على ذلك .. كما
طلبت منا إيقاف إنتاج الصواريخ مع حق التفتيش كذلك .. أما الطلب
الأمريكي الثالث فكان إيقاف سباق التسلح وضرورة التوازن بيننا وبين إسرائيل.
وقد قدم إيقاف سباق التسلح وضرورة التوازن بيننا وبين إسرائيل .. وقد قدم هذه
الطلبات مبعوث الرئيس الأمريكي وأسمه " ماكلويد " .
" وقد كان ردنا على هذه الطلبات الرفض الكامل .. وقلنا إننا نقبل بعدم
انتشار الأبحاث الذرية عن طريق إشراف دولي على أن تقبل إسرائيل الشيء
نفسه ..

" ثم وصلتنا رسالة أخرى من أمريكا تعترف فيها بأنها ستسلح إسرائيل، وأنها لا تقبل بأي اختلال في ميزان التسلح، وهددتنا بأننا إذا شهرنا بها فستعطي إسرائيل مزيداً من السلاح، ورفضاً هذا التهديد .

" إذن هذا هو سر الخلاف بيننا وبين أمريكا " .

" ثم أخذت العلاقات بالتدهور بعد أن اكتشفنا صفقة الأسلحة السرية الألمانية، وعندما أعلننا ذلك ساءت العلاقات أكثر فأكثر .. وقد حاولت ألمانيا الغربية إغراءنا بالمساعدات مقابل السكوت ولكننا لم نقبل".

" فسر الخلاف بيننا وبين أمريكا ،كما يتضح من هذا الكلام، سببه قضية العرب، قضية فلسطين، وكان باستطاعتنا أن نسكت عما يجري في إسرائيل وعن حقوق شعب فلسطين لتمشي الأمور ولكننا لا نقبل .

" وانقطعت المساعدات الأمريكية نتيجة رفضنا لطلباتهم، وكان تبرير أمريكا لذلك أننا نستعمل مساعداتها في تطوير سلاحنا، ولذلك قال الأمريكان، إنهم لا يستطيعون الاستمرار في مساعداتهم لنا .. وقيمة مساعداتهم تقدر بـ 60 مليون جنيه مصري، كانوا يأخذونها منا وينفقونها في مصر .. وقد سبق قطع المساعدات أن وصل إلى القاهرة ممثل آخر لجونسون وتكلم عن المساعدات والطلبات ثم تقرر قطعها، فقبلنا نحن بذلك لأننا نريد أن نبقى مستقلين، ولأننا نرفض أن نبيع مبادئنا .. وبعد ذلك بدأ تسليح إسرائيل، وعملنا نحن من جهتنا لشراء المزيد من السلاح.

" بعد ذلك، نصل إلى مايو الماضي والقصة هنا معروفة، فحشدنا قواتنا للرد على أي هجوم على سوريا أو أي بلد عربي.وهنا أيضاً كان باستطاعتنا أن نسكت وأن نقول "نحننا مالناش دعوة بحد " ولكننا أخذنا مسئوليتنا، وبغض النظر عما يجري فإننا لن نتردد عن السير مرة أخرى على نفس الطريق، لأننا

نعتبر أنفسنا جزءاً من الأمة العربية والوطن العربي لأننا نؤمن أن العدو إذا بدأ بأي دولة عربية فلن ينتهي عندها.

" وكان من الطبيعي، بعد الحشد، أن ننهي وضع قوات الطوارئ الدولية ، خصوصاً وأن إخواننا العرب، في إذاعاتهم وصحفهم، لم يتوقفوا عن هذا الطلب .. وهذا - بنظرنا - معناه العودة بالأوضاع إلى ما قبل 1956.. ثم تطورت الأمور ، ووصلتنا رسالة جونسون لضبط النفس وطلب في أن يرسل نائبه، ورديت عليه بأنني مستعد من طرفنا لإرسال زكريا محي الدين .. كذلك وصلتنا رسائل أخرى من جونسون يقول فيها أن أي عمل عسكري ضد إسرائيل ستكون له نتائج خطيرة ، وأعلنوا تمسكهم بقرارات كنيدي لضبط الحدود في الشرق الأوسط.

" ودفعنا قواتنا إلى سيناء، ثم بدأت المعارك يوم خمسة يونيو بهجوم إسرائيلي، وكان المفاجأة بضرب قواتنا الجوية. وقد أثر هذا الضرب على قواتنا في سيناء ولم يصبح بقدرتنا الجوية.. وقد أثر هذا الضرب على قواتنا في سيناء، ولم يصبح بقدرتنا بعد الضربة الأولى أن نرد على الهجوم الإسرائيلي. " ولم نكن قد أعلننا عن التواطؤ الأمريكي إلا بعد أن اتصل بي الملك حسين الساعة الخامسة من صباح 6 يونيو وقال لي أن الهجوم جاي من البحر وان أجهزة الرادار قد سجلت ذلك.وقلت للملك حسين إنني مستعد لإصدار بيان في هذا الصدد ... وطلعنا البيان.

" وكان واضحاً أن تقديرنا لقوات إسرائيل كان مخطئاً .. كان عندهم متطوعون، وكذلك دبابتهم كانت أكثر مما تصورنا.

" وصمدت قواتنا يوم 5 و6 و 7 يونيو للهجوم بدون غطاء جوي، وكان لنا في سيناء حوالي 800 دبابة، و18 لواء وألف مدفع .. كان عندنا أسلحة ثمنها

ألف مليون جنيهه. وقد قضى العدو على 80% من قواتنا المسلحة وده اللي خلانا نقبل بوقف إطلاق النار، لأن الـ 20% الباقية يدوب تدافع عن غرب القتال.

" لقد انهزمنا في المعركة، ولن نكون أول ولا آخر من يهزم، والمهم هو كيف نحول الهزيمة إلى درس.

" من 8 يونيو حتى اليوم أعدنا تسليح جزء من قواتنا المسلحة، وبنقول أنو حنا عوضنا 50% من اللي خسناه .. ولكننا لم نعوض من قتلوا، وعددهم 1500 ضابط و 10.000 عسكري بالإضافة إلى الأسرى وعددهم 500 ضابط و 5000 عسكري، وهناك 40 طيار مفقودون.

" والسؤال الآن: هل نستطيع النهاده أن نهاجم إسرائيل؟

" الجواب : لا .. ولا أستطيع أن أكابر، نحن لا نستطيع الهجوم اليوم ولفترة غير قصيرة .. ولكننا نستطيع الدفاع ضد أي هجوم يحاول عبور القتال .. نحن الآن نعمل على استكمال قواتنا . نشترى أسلحة بالعملات الصعبة .. وهدفنا أن نعيد بناء جيشنا في أقصر وقت ممكن .. وطبعاً إذا أردنا أن نستعيد أراضينا بالحرب فلن نبدأ بالحرب ولا يصح أن نبدأها إلا بعد أن نكون على ثقة بأننا نستطيع أن ننتصر وإلا نضع أنفسنا في نكسة أشد . إذن فالعمل العسكري لا بد أن ينتظر بناء قواتنا المسلحة ، وبعد الاستفادة من النكسة ودراسة أساليب إسرائيل، وبعد حشد قواتنا السياسية والاقتصادية .. نحن خسنا حوال 160 مليون جنيهه . مية وخمسة مليون من القتال وعشرين مليون بترول سيناء، و 40 مليون من السياحة.

" والعملية العسكرية والاقتصادية والسياسية مرتبطة ببعضها".

وعندما نتكلم سياسياً ونحن في مركز الضعف نصل إلى الاستسلام. ولكن إذا تكلمنا من مركز القوة فمعنى ذلك أننا نستطيع أن ندافع عن حقوقنا وحقوق شعب فلسطين .. وهذا لا يتم إلا إذا كان عندنا قوات مسلحة . ووضعنا الآن تصلح، وهو يتصلح كل يوم .. وكلما تصلح وضعنا العسكري يصبح وضعنا السياسي أحسن.

" اقتصادياً خسرتنا أكثر من ثلث مدخولنا من العملة الصعبة .. وإذا جاء يوم لا أستطيع فيه شراء القمح فمعنى ذلك أننا على طريق الاستسلام، أما إذا كان هناك وضع اقتصادي يخلينا نصبر فمعنى ذلك أننا نقاوم أكثر، وساعتئذ يصبح العمل السياسي مش استسلام.

" ده ملخص لموقفنا نحن، ولكن إذا سمحتم فعاوز أقول حاجة بالتفصيل.. " من الملاحظ أن هناك ضغط أمريكي لحل سياسي، وكلنا نعرف هذا الضغط .. وكلنا نعرف أنو قضية فلسطين مش بتاعت واحد فينا .. دي قضيتنا كلنا، ولازم قبل ما نطلع من هنا نقر موقفنا بالنسبة لقضية فلسطين وشعب فلسطين .. هل سنسلم أم سنناضل؟

" حصل الضغط علينا من أجل قبول الحل السياسي الذي عرض في الأمم المتحدة ويتخلص بـ:

أولاً - إنهاء حالة الحرب بيننا وبين إسرائيل.

ثانياً - الانسحاب إلى مواقع خمسة يونيو .

" هذا معناه أن نسلم بقضية فلسطين مقابل خروجهم من سيناء. فهل أقبل أنا بذلك؟ هذا موضوع كبير جداً لأنه لا يختص بمصر ولكن بالأمة العربية كلها كما يختص بأطماع إسرائيل التوسعية، ومصير الإنسان العربي وضياعه. " وأنا بقول يقعدوا في سيناء حتى نعد أنفسنا .. ولكننا لن نسلم..

" ثم تطورت المشروعات لغاية المشروع السوفيتي - الأمريكي الأخير

وملخصه:

- 1 - الجمعية العامة للأمم المتحدة تعرب أن السلام والحلول النهائية لهذه المشكلة ممكن تحقيقها على ضوء مبادئ الميثاق..
- 2 - تقرر بناء على ذلك عدم المكاسب الإقليمية وتطالب دون تأخير الانسحاب من الأراضي (لاحظوا دون تأخير " وما قالوش فوراً ").
- 3 - تؤكد بالمثل أن تقرر كافة دول المنطقة الحقوق القومية لكل دولة في المنطقة، وأن تكف كل دولة عن المطالبات.
- 4 - تطلب من مجلس الأمن أن يعمل مستخدماً قوات الأمم المتحدة للوصول لحل عادل ومناسب لكافة الأطراف، ووضع حد لمشكلة اللاجئين وضمان حرية الملاحة.

" وقد رفضنا هذا، وقد تصدرت أمريكا لأي قرار آخر، بالرفض".

" ولم يحدث حتى الآن أي اتصال بيننا وبين أمريكا، ولكن أبلغنا عن مشاريعهم عن طريق يوغوسلافيا والهند..."

" الرئيس الأمريكي بعث برسالتين لتيتو في هذا الموضوع: الأولى عامة وتتلخص بالتمسك بالنقاط الخمس التي أعلنها الرئيس الأمريكي بعد العدوان . والثانية رسالة تفصيلية تشرح وجهة نظر أمريكا بضرورة اعتراف الدول العربية بإسرائيل وإنهاء حالة الحرب معها، وذكر جونسون إن هذه الخطوة لا تعني اعتراف العرب قانونياً بإسرائيل ولا تستتبع التمثيل الدبلوماسي معها، ولكنها تستتبع مرور السفن الإسرائيلي في خليج العقبة وقنال

السويس. وتضمن الخطاب الأمريكي برنامجاً لتحقيق السلام على الـ ه
التالي:

1 - قبول جميع الدول العربية بالقرار الأمريكي.

2 - أن يُقر المشروع في مجلس الأمن ويصبح أساساً لتحقيق
تسوية عامة تعالج العناصر الأخرى للقضية.

(أ) مأساة اللاجئين.

(ب) حماية الحقوق الدولية في القدس.

(ج) انسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود آمنة يتفق عليها.

" وبعدين قال جونسون برسالته أنه من الضروري أن تتحمل الدول

المعنية علاج مشاكلها بصورة واقعية .. ومن الممكن أن يعد يوثانت وسيطاً
للاتصال مع الأطراف المعنية . (أي كما حدث سنة 1949 في لجنة التوفيق
الدولية). وطلب جونسون أيضاً احترام وقف إطلاق النار كي تتوفر ظروف
السلام لانسحاب كامل .. وأخيراً قال جونسون أن المهم أن تتضمن الاتفاقية
اتفاقاً على تخفيض التسليح .

" وأخيراً في مقابلة بين راسك وسفير الهند، تكلم الاثنان حول الموضوع.

فأكد راسك نفس الموقف في رسالة جونسون، ولكنه أضاف عدم موافقة إسرائيل
على انسحاب إسرائيل إلى حدود 5 يونيو. وقال بوضع غزة تحت السيطرة
الدولية والاحتفاظ بالقدس، وأن تكون سيناء سوريا خالية من السلاح .. وقال
راسك أن نفوذ أمريكا على إسرائيل محدود جداً ،، ولم ترتبط أمريكا بهذه
الطلبات، لا نيابة عن نفسها ولا نيابة عن إسرائيل بأي التزام بشأن انسحاب
إسرائيل إلى المواقع القديمة.

" وقال الهنود : إن موقف أمريكا كما يلي :

نقطة البدء في أي تسوية هو إقرار العرب بحق إسرائيل في الوجود الدائم الآمن، ثم حرية الملاحة في القنال والعقبة، والرضوخ لإسرائيل للحصول على مطالب إقليمية .. وبعد ذلك تعود إسرائيل على حدود يتفق عليها ثم تحدثوا عن حل إنساني لمشكلة اللاجئين.

" هذا ما حصل في الأمم المتحدة . وما وصلنا عن موقف أمريكا سواء عن طريق تيتو أو الهند ..

" ولا بد لي من تعليق مختصر" ..

" إن معنى هذا تسليم بكافة المطالب الإسرائيلية، وهذا برأيي مستحيل، وسنبحث في هذا. والتسليم سهل: نرفع أيدينا وخلص .. وعندئذ يكون راح مستقبلنا ومصيرنا وكرامتنا وشرفنا .. ولا يجوز ذلك لأننا خسرنا معركة عسكرية .. وإذا ما كناش حنسلم لازم نجهز أنفسنا للعمل السياسي ووضعه في مركز القوة ، وذلك عن طريق استكمال بناء قواتنا العسكرية وهذا بحاجة لوقت وثانيا أن نستعد اقتصادياً كي نصمد ولا نسلم .

" الموضوع هو قدرتنا في الاستمرار على المعركة. وهذا يستدعي قيامكم بواجبكم .. أنا خسران 150 مليون جنيه فما هي مساهمتكم للأردن علشان ما يطلبش مساعدات من أمريكا؟

" ليس الموضوع وقف ضخ ولا سحب أرصدة، إنما المساعدة ..

" أما الاقتراح اليوغوسلافي، فقد تقدم تيتو بمقترحات سياسية من شأنها

أن تشكل برنامجاً للعمل السياسي تعمل الدول الصديقة على تحقيقه.

(1) تنسحب القوات الإسرائيلية إلى مواقع 5 يونيو على أن يتم ذلك تحت

إشراف الأمم المتحدة وأن تتمركز بعد ذلك قوات دولية عند الجانبين.

(2) يعطي مجلس الأمن أو الدول الأربع الكبرى ضماناً للموقف في الوقت الذي يستمر فيه العمل لإيجاد حل سلمي.

(3) تستأنف الملاحه في السويس كما كانت في السابق. أما في العقبة فسينتظر قرار محكمة العدل الدولية.

(4) ثم يجري العمل السياسي من أجل حل لقضية فلسطين.

" نحن في مصر هزمتنا في المعركة العسكرية، وتعرضنا لضغط اقتصادي إلا أننا لم نهزم شعبياً، وعندنا من الإمكانيات ما يكفينا لبناء أنفسنا .. الهزيمة جرحتنا ولكن لم تقتلنا. وهذا الجرح يلتئم كل يوم .. وسيأتي يوم يزول فيه هذا الجرح .. وهذا يعطيني أملاً في المستقبل : أملاً في أن لا نسلم لهذه الشروط الأمريكية حيث كل مطالب إسرائيل مفروضة وكل مطالب العرب مهملة.

" نستطيع أن نناضل على ثلاث جبهات - العسكرية - والسياسية - والاقتصادية - وأمامنا طريقان:

(1) عمل عربي موحد والسبيل هو هذا المؤتمر ..

(2) إذا لم نصل إلى حل فسيخرج كل واحد منا وكل واحد يعمل اللي عاوز يعملُه وعفا الله على الأمة ومستقبلها، وهذا ما لا نرجوه...".

وفرغ الرئيس عبد الناصر من حديثه، والوفود يحاولون أن يتلمسوا ماذا يقترح الرئيس عبد الناصر .. لقد كان عرضه للموقف كاملاً وشاملاً، ولكن بقي

السؤال : وماذا بعد ذلك .. ما هي الخطة لمعالجة الموقف؟؟

وتناول الكلام الملك حسين .. وظن الحاضرون أنه سيقدم الجواب،

ولكنه تحدث مستعرضاً ظروف المعركة .. وأراد أن يفعل كما فعل الرئيس عبد الناصر فتحدث عن خسائر الأردن فقال : " إن الجيش الأردني تكبد خسائر

فادحة بالأرواح والسلاح والعتاد، وقدرها كما يلي : 197 دبابة و 2960 آليات مختلفة و 21.000 مدفع رشاش و 6094 شهيداً، والخسارة المجملية تقدر مالياً بـ 70 مليون دينار، ثم قال الملك حسين أن العجز في ميزانية الدولة لهذا العام يقدر بـ 50 مليون دينار".

وأضاف الملك قوله : " إن إسرائيل تحاول إنشاء حكومة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولذلك علينا أن نبادر باتصالات دولية واسعة عاجلة لتضع على إسرائيل حتى تسحب قواتها إلى حدود الخامس من حزيران .. وباستطاعتنا أن نقوم بذلك .. يجب علينا اتباع الطريق السياسي فهو أجدى .. ويجب علينا أن نتجنب الوسائل الماضية، لا بد لنا من وسائل جديدة يقبلها الرأي العام الدولي .. ونحن موافقون على كل كلمة قالها الرئيس عبد الناصر".

وتكلم الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف كلمة موجزة فدعا لضرورة وحدة العمل العربي المشترك في سبيل الجهاد واسترداد فلسطين وإزالة آثار العدوان.

وفي جلسة بعد الظهر كان أول المتكلمين الدكتور محمد بن هيمة رئيس وزراء المغرب فقال: إنه يشارك الملك حسين والرئيس عبد الناصر تحليلهما وعرضهما للموقف، وأنه يمكن تلخيص الأمر كما يلي:

- (1) إن الوضع العربي الراهن لا ينصح بأي عمل عسكري.
- (2) إنه لا يقبل - كذلك - بأي حل يقوم على الاستسلام.
- (3) إن أي حل سياسي يجب أن ينطلق من وضع قوي حتى لا تملى على العرب الشروط المخلة بالكرامة.

ثم تكلم الرئيس اللبناني السيد شارل حلو فأعلن تأييده لما ورد في كلام الدكتور بن هيمة، ودعا إلى ضرورة توحيد الكلمة لإزالة آثار العدوان، وإلى

إحياء مقررات القمة الماضيّة، وخصوصاً القيادة العربية الموحدة، وميثاق التضامن العربي، ثم أعرب عن استعداد لبنان للقيام بواجبه رغم ضآلة إمكانياته.

وتلا ذلك كلمة ولي العهد الليبي فقال بعد مقدمة تمهيدية بضرورة :
(1) حشد الطاقات العربية وبذل الجهود في كافة المجالات لإزالة آثار العدوان.

(2) تنقية الجو العربي من الشوائب.

(3) الالتزام بميثاق التضامن العربي وإحلال التفاهم.

(4) وضع الأسس لتعاون مثمر بعيد المدى ..

ودعا الرئيس اليمني المشير عبد الله السلال إلى تناسي الخلافات، ولو لفترة ، : ثم أعلن استعداده للنضال كجندي في معركة إزالة آثار العدوان...
وأعطيت الكلمة بعد ذلك لمندوب تونس السيد الباهي الأدغم فقال:
" أريد أولاً أن أؤكد أننا نتفق جميعاً في الغاية وهي استرجاع الحق العربي السليب وتحرير الوطن الذي وقع عليه العدوان حديثاً .. وجميعنا مستعدون لتقديم ما يتعهد به لمواجهة النكسة واسترجاع حقوقنا ، وسنتحمل في سبيل ذلك كل ما يمليه علينا الواجب .

" ولكن بالنسبة للوسائل الموصلة لهذه الغاية فقد نختلف، ويكون هنالك تباين في وجهات النظر رغم أن الاجتهاد ينبثق عن حسن نية وإخلاص، المهم أن هذه الخلافات حول الوسائل لا تتناول الجوهر.

" وفي رأينا ومن تجربتنا الخاصة، أن هنالك حلولاً منقوصة يمكن

القبول بها، واستعمالها كمنطق لخلق أجواء جديدة لتضييق الخناق على الاستعمار تمهيداً للحلول الكاملة".

بعد ذلك تكلم أمير الكويت الشيخ صباح السالم، وأعرب عن استعداد الكويت للمساهمة في أي واجب، وأن الكويت حكومة وشعباً مستعد للقيام بمسئوليته القومية وحشد كل طاقاته..

وتطلع الحاضرون إلى الملك فيصل ليقول، ولو كلمة موجزة .. ولكنه لم يتكلم.

وجاء دوري للكلام .. وكنت قد أعددت كلمة مكتوبة، تخيرت عباراتها ومعانيها، وقد قصدت، خلافاً لعادتي أن أقرأ كلمة مكتوبة وأن ألتزم بألفاظها حتى لا يظن أحد أن العاطفة تتكلم .. وأني أورد هنا نص الكلمة بكاملها لسبب واحد...

هذا السبب هو أن هذه الكلمة تعيد إلى المواطن العربي صورة حية عن مؤتمر الخرطوم وأجوائه، وملامحه، واتجاهاته .. إنها تعيد " بناء " مؤتمر الخرطوم نابضاً متحركاً .. ليثبت من جديد أن مؤتمر الخرطوم كان أكبر هزيمة سياسية صنعها العرب لأنفسهم في تاريخهم الحديث ... وهذه هي الكلمة بنصها الكامل :

" يواجه مؤتمر القمة العربي بوصفه أعلى أداة للعمل العربي المشترك مرحلة خطيرة حاسمة ستقرر مستقبل العلاقات الرسمية إلى زمن بعيد، كما ستعكس آثارها على القضية الأساسية التي انعقد المؤتمر من أجلها، ألا وهي إزالة العدوان الاستعماري الإسرائيلي الذي وقع على الوطن العربي. " ولقد تابعت منظمة التحرير الفلسطينية المداولات التي جرت في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في كل من الكويت ونيويورك والخرطوم، كما درست الأبحاث والتوصيات التي توصل إليها مؤتمر وزراء الاقتصاد والمال والنفط العربي في بغداد.

" وبعيداً عن روح التشاؤم، يبدو واضحاً لمنظمة التحرير أنه إلى هذه اللحظة، فإن مؤتمر القمة يسير إلى نهاية غير مجدية، إذا لم يبادر الملوك والرؤساء إلى التوصل إلى قرارات إيجابية ترتفع إلى مستوى آمال الأمة العربية ومطالبها، وتخرج الوطن العربي من المحنة القاسية التي ألمت به. " ومما يكن تقييم ما تمّ وضعه حتى الآن من توصيات ودراسات فإنه مما لا ريب فيه أن الاتجاه الغالب يمكن تلخيصه فيما يلي :

- 1) استبعاد استئناف القتال في وقت قريب.
- 2) عدم الموافقة على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول التي ساندت العدوان.
- 3) التخلي عن وقف ضخ البترول جزئياً أو كلياً، لزمناً محدوداً أو غير محدود.
- 4) عدم الموافقة على سحب الأرصدة العربية من منطقتي الإسترليني والدولار.

" وإذا كان هذا ما سينتهي إليه الأمر فإن مؤتمر القمة يكون قد اقتصر غاية جهده على المساعي السياسية المجردة من كل دعم وقوة، تاركاً لمعركة الكلام وحدها في الأمم المتحدة وغيرها، أن تخرج العدو من الأراضي العربية. " ومثل هذه النتيجة التي يتوجب على مؤتمر القمة أن يتجنبها، لا تعكس إرادة الأمة العربية، فضلاً عن أنها ستؤدّي إلى بقاء العدوان، أو الاستسلام للمعتدين وترك الأعباء كلها على كاهل الدول المعتدى عليها، تتحملها كل بمفردها وقدر طاقتها ومواردها.

" غير أن الحقيقة الصارخة الأكيدة أن هذا الاتجاه على الصعيد الرسمي لا يمثل إطلافاً مشيئة الشعوب العربية ولا تصميمها على احتمال كل تضحية تقدم عليها حكوماتها، بالغة ما بلغت .

" هذا فضلاً عن أن هنالك رأياً عربياً رسمياً تعززه الدراسات العلمية يؤكد أن وقف ضخ البترول كلياً ولأجل غير محدود، مع سحب الأرصدة ، وقطع العلاقات بالدول المعادية، كل ذلك سيؤدي حتماً إلى إزالة آثار العدوان .

" على أنه إذا كانت الإجراءات المقترحة حتى الآن غير مقبولة ، كما يبدو الاتجاه الغالب، أصبح من الواجب أن نجيب عن السؤال الكبير، إذن ما هي الخطة البديلة لإزالة آثار العدوان؟؟.

" وطبيعي أن تكون هذه الخطة مترابطة في جوانبها العسكرية والاقتصادية والسياسية لتؤدي إلى إزالة العدوان، وإذا لم توضع هذه الخطة المتكاملة فإن النتيجة الحتمية هي استمرار العدوان قائماً على الأرض العربية وفلسطين، ويكون مؤتمر القمة قد تخلف عن تحقيق الغاية التي اجتمع من أجلها...

" أما بالنسبة للقضية الفلسطينية على الصعيد العربي في الظروف الحاضرة، فإن منظمة التحرير ترى من واجبها أن تلفت النظر إلى عدد من الأمور الهامة ذات الصلة الوثيقة بمصير القضية الفلسطينية، وتتلخص هذه الأمور فيما يلي:

أولاً - إن سياسة إسرائيل ومشروعاتها التي تقوم بها في قطاع غزة والضفة الغربية تستهدف الإدماج أو الاحتلال الطويل المدى.

ثانياً - تعمل إسرائيل بمختلف وسائل العنف واللفظ على إظهار الشعب الفلسطيني في هاتين المنطقتين بمظهر الرضاء بالأمر الواقع، عدم مقاومته، أو الاستسلام له.

ثالثاً - تسعى إسرائيل بكل جهدها، بديلاً عن الانسحاب غير المشروط، إلى تقديم حلول متعددة، تبدأ من إقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى إنشاء جمهورية فلسطينية ترتبط بحسن الجوار مع إسرائيل. " وأن المنظمة الفلسطينية رغماً عن إيمانها بصلاية الشعب الفلسطيني وصموده أمام المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في الخمسين عاماً الماضية، ورغماً عن أنها ترفض جميع هذه الحلول جملة وتفصيلاً، لما ستؤدي إليه من تصفية القضية الفلسطينية، فإنها تحذر من الخطر الذي يحدق بالشعب الفلسطيني .. وقضيته في المرحلة الحاضرة.

" ومما يضاعف هذا الخطر، أن الخطة الإسرائيلية لا تقابلها خطة عربية تستهدف إحباطها.

" أن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يتصدى الآن بشجاعة وبطولة للخطة الإسرائيلية، وهو أعزل من أسباب المقاومة والصمود، وكل ما يلقاه على الصعيد العربي من الدعم والتأييد، هو الإذاعات العربية تنشر أخبار بطولاته ورسالته.

" وتلح منظمة التحرير الفلسطينية أن لا ينتهي مؤتمر القمة دون أن يضع خطة عربية عاجلة، تفسد على إسرائيل خططها ودعم المقاومة الشعبي في فلسطين المحتلة، وأن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لأن تقوم بدور فعال في تنفيذ الخطة العربية، بما يتيسر لديها من رجالات وسلاح.

" هذا وتؤكد المنظمة من جديد بالنسبة لجوهر القضية الفلسطينية

المبادئ الآتية :

أولاً - لا صلح ولا تعايش مع إسرائيل.

ثانياً - رفض المفاوضات مع إسرائيل، وعدم الاعتراف بالاحتلال

السابق.

ثالثاً - عدم الموافقة على أية تسوية فيها مس بالقضية الفلسطينية، وما

يؤدي إلى تصفيتيها.

رابعاً - عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية ومنطقة الحمة مع

التأكيد باهتمام خاص على عروبة القدس.

خامساً- في نطاق الاتصالات الدولية في هيئة الأمم المتحدة وخارجها

لا تنفرد أية دولة عربية في قبول أية حلول لقضية فلسطين.

سادساً - التركيز الدائم المستمر على الصعيدين العربي والدولي، على

أن قضية فلسطين، وأن تكن قضية عربية مصيرية، إلا أن شعب فلسطين هو

صاحب الحق الأول في وطنه وهو الذي يقرر مصيره.

" ويبقى على منظمة التحرير الفلسطينية أن تنبه إلى مصير منظمة

التحرير الفلسطينية.

" إن منظمة التحرير هي إنجاز كبير، يتجلى في قيامها كيان الشعب

الفلسطيني وشخصيته الوطنية، وإن بقاءها واستمرارها في الاضطلاع

بمسئولياتها القومية، ألزم واجب في هذه المحنة القاسية من أي وقت مضى.

" ولقد استطاعت منظمة التحرير، رغم المصاعب الكثيرة المتركمة في

طريقها أن تجمع حولها جميع فئات الشعب الفلسطيني، فأصبحت تمثله كما

تمثل أية حكومة عربية شعبها المتجمع على أرضها، المقيم تحت سلطاتها.

" وبالإضافة إلى نشاطاتها السياسية، والإعلامية .. فلقد استطاعت منظمة التحرير أن تبني جيش التحرير الفلسطيني بناء نضاليا جعله يقاتل ببسالة وشجاعة في قطاع غزة والجبهة السورية والجبهة الأردنية .

" إن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني يقفان الآن وجهاً لوجه أمام المصير، وأن بقاء المنظمة ضرورة قومية ، فلسطينية وعربية، في المقام الأول.

" وإنها لكارثة قومية، فلسطينية وعربية، أن تصفى المنظمة وأن يسرح جيش التحرير، ويأبى شعب فلسطين ومعه الأمة العربية أن تصل المنظمة وجيشها إلى هذا المصير، وسيظل شعب فلسطين يقطع من لحمه، ويستنزف من دمه ليبقي ما أمكن أن يبقي من منظمة التحرير وجيش التحرير.

" ولهذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية تقترح على مؤتمر القمة إصدار

القرارات التالية:

(1) الوفاء بجميع الالتزامات المالية المترتبة لمنظمة التحرير وجيش التحرير

بموجب قرارات مؤتمرات القمة، والاستمرار في أدائها في مواعيدها

المقررة.

(2) تمكين منظمة التحرير الفلسطينية من تحمل مسؤولياتها القومية في

تنظيم الشعب الفلسطيني، وتهيئته ليقوم بدوره الطليعي في تحرير وطنه

وتقرير مصيره.

(3) تعزيز جيش التحرير الفلسطيني بحيث تكون للمنظمة سلطة كاملة عليه

من حيث تشكيله وتدريبه وتسليحه وجميع شؤونه الإدارية، على أن

واجبه العسكري يظل مرتبطاً بالخطة العربية الموحدة.

4) إنشاء معسكرات لتدريب أبنا فلسطين في الدول العربية، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية.

5) إصدار التعليمات أو الأوامر اللازمة في الدول العربية، كل حسب نظمها الدستورية، لتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من استيفاء ضريبة التحرير من أبناء فلسطين حيثما وجدوا ."

" ولقد كانت كلمتي بمثابة إنذار واستنكار للمصير الذي سينتهي إليه مؤتمر القمة، إذا ظل على حاله من التراخي والاستسلام .. وكان الملوك والرؤساء يستمعون إلي وهم يعجبون لهذا الكلام الذي يدل أن صاحبه قد أراد أن يحسم أمره مع الملوك والرؤساء.

والواقع أنني قررت منذ تلك اللحظة أن أحسم الأمر بيني وبين الملوك والرؤساء في مؤتمراتهم.. وها أنا الآن معهم في مؤتمر الخرطوم، أراهم يريدون أن يسيروا بأضعف الإيمان وأبخس الأثمان .. وهم يملكون أكثر من هذا، ويقدرّون على أكثر من هذا.

وانتهت الجلسة بإنهاء كلمتي، وأعلن الأزهري التأجيل لصباح الغد مؤتمر القمة يترنح بين الحياة والموت، وكأنه في تلك العشيّة يحتضر في يوم ميلاده وخرجنا من قاعة الجلسة، وأنا أدعو الله أن يستمع الملوك والرؤساء إلى نداء شعوبهم المنكوبة بهم .. ولكن أنى لهم أن يبصروا الطريق، أو أن يسمعوا الحق...

وقد قال الله تبارك وتعالى:

" ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها".

صدق الله العظيم

مؤتمر الخرطوم..

يدفن في الخرطوم

قال: نتعشى الليلة مع بعض، ونتكلم ..

وقلت : حاضر ...

كان الداعي إلى العشا ء، هو الرئيس عبد الناصر، ونحن نخرج من

قاعة الاجتماعات في فندق السودان، بعد أن ألقيت كلمتي أمام الملوك

والرؤساء وأندرت فيها بسوء العاقبة إذا بقي مؤتمر القمة في واد، والجماهير

العربية في واد ...

وصعدت إلى جناح الرئيس عبد الناصر في الوقت المحدد، فوجدت

عنده وزراءه الدكتور محمود فوزي والسيد محمود رياض والدكتور حسن صبري

الخولي .. وأحسب أنهم كانوا في جلسة عمل يتشاورون، وقال الرئيس : أنا داعي الأخ أحمد على عشاء ودردشة.

فكانت إشارة لطيفة للانصراف .. وانصرفوا ..

وتناولنا العشاء معاً .. وأنا لا أدري ما إذا أكلت .. لقد كانت أطباق الطعام، توضع وترفع من غير إحساس بالزمن، ولا شعور بهذا الذي نأكله، حلوا كان أو مالحاً .. وقد كان القول المأثور : عند البطون تضيع العقول، ولكن في تلك الجلسة كان الحال على العكس.. عند العقول تضيع البطون!!

والواقع أن العقول كانت في شغل شاغل عن كل شيء .. وبادرني الرئيس عبد الناصر بالسؤال عن كلمتي التي ألقيتها أمام الملوك والرؤساء، وحددت فيها الموقف العربي وما يكتنفه من ظروف وملابسات .. وعن الأسباب التي حملتني على هذا " الموقف الناشف "

وأجبت الرئيس عبد الناصر في حديث طويل عما عانته من الدول العربية، منذ أن بدأت في إنشاء الكيان الفلسطيني، وعن التخلف في الوفاء بالالتزامات المالية، والمضايقات التي يجدها الفلسطينيون على يد الدول العربية بالنسبة لإقامتهم وسفرهم وعملهم .. ثم استعرضت خلافاتي مع الملك حسين، والرئيس بورقيبة، والملك فيصل، بسبب القضية الفلسطينية، وانتقلت بعد ذلك إلى ما آلت إليه الأوضاع بعد سقوط الضفة الغربية وقطاع غزة، واستمرار الدول العربية في مواقفها السلبية، وأن الأمر قد بلغ مرحلة خطيرة لم يعد يجوز الصبر عليها، فإما مسيرة صحيحة، ووفاء بالالتزامات وتنفيذ القرارات، وإما مكاشفة الأمة العربية بالحقيقة، وانتهاج مسيرة نضالية قوية، يسير فيها من

يسير، ويتخلف من يتخلف .. ولا بد للشعوب أن تكون في قلب هذه المسيرة

...

وقال الرئيس عبد الناصر : ونحننا .. مالکش شكوى منا؟

قلت : لا يخلو الأمر ... ولكن ما لنا وما للشكاوي الآن .. نريد أن

نعالج الموقف الحاضر...

قال : أنا عاوز أعرف .. أيه شكواك منا؟؟

قلت : مصر حملت تبعات جسيمة من أجل قضية فلسطين .. ودفعت

تضحيات غالية .. وكان يجب أن لا تقع في أمور صغيرة ..

قال : زي أيه؟؟

قلت : لقد حَزَّ في نفسي أن تدفع المنظمة مبلغ (250) ألف جنيه

إسترليني من أجل إذاعة منظمة التحرير .. عن طريق الاستئجار من إذاعة

صوت العرب ..

قال : وغيره؟؟

قلت : أسلحة جيش التحرير ر الفلسطينى في غزة تعاقدنا عليها مع

الفريق محمد فوزي بمواصفات معينة، ودفعنا الثمن بكامله، ولم نستلم الأسلحة،

لا بأوقاتها المحددة، ولا بمواصفاتها المتفق عليها .. وعلى كل حال فكل

مشاكلي مع القاهرة ثانوية ولا يصح أن أشغلكم بها الآن ..

قال : والله يا أخ أحمد .. أنا ما أعرف بهذه الأمور . وطبعاً الناس

كلهم يعتبرونني مسئولاً عن كل خطأ في مصر..

وانتقلنا بعد ذلك إلى الموضوع، مؤتمر القمة وكررت للرئيس عبد

الناصر ما قلت في كلمتي أمام الملوك والرؤساء، وأنه إذا لم يتخذ المؤتمر

قرارات نافذة بشأن البترول وما لم تبادر الدول العربية المتماثلة في نظمها إلى إقامة اتحاد فيدرالي، فإن الاحتلال الإسرائيلي سيظل جاثياً على الأرض العربية..

وراح الرئيس عبد الناصر يقلب أوراقه في الملف الذي أمامه، وأنعم النظر في المشروع الذي قدمته إلى المؤتمر، مشروع الدولة العربية المتحدة، ثم رفع رأسه ومضى في حديث طويل⁽¹⁾.

وعاد الرئيس عبد الناصر بذاكرته إلى موضوع الوحدة والانفصال مع سوريا، وإلى مواقف الدول العربية واحدة واحدة.. وإلى علاقات مصر مع الاتحاد السوفيتي.. وإلى عداة الولايات المتحدة لقضية الثورة العربية.. وإلى ظروف الحرب الأخيرة، وإلى مضاعفات الهزيمة... ثم لخص الموقف على الوجه التالي... قائلاً:

أولاً - أنا موافق على مشروع الدولة العربية المتحدة.. ولكن من يوافق غيري... تفضل أقنع الآخرين وأنا حاضر.

ثانياً - أنا مؤمن أن البترول سلاح فعال في يد الأمة العربية، ولكن الدول العربية المنتجة للبترول لا تريد أن تمشي... يا دهب ناخذ منهم مساعدة مالية لتدعم اقتصادنا...

ثالثاً - أعداؤنا الأمريكان يشددون علينا الخناق ويحرضون إسرائيل علينا... وأصدقائنا في الاتحاد السوفيتي مش عاوزين يمشوا إلا في الحل السلمي.. وأنا اشك أن الحل السلمي يمكن أن يوصلنا إلى نتيجة...

⁽¹⁾ أحمد الشقيري، حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء - مشروع الدولة العربية المتحدة في مؤتمر الخرطوم.

رابعاً - في مصر، الأمور ليست على ما يرام .. أنا كل ساعة، وأنا هنا في الخرطوم، أتلقى أخبار عن أحوالنا الداخلية .. المشير عامر، والضباط وغيره وغيره .. آف مشكلة ومشكلة.

خامساً - وبصراحة سياسيتي في هذا المؤتمر أن نخرج بالممكن ... وتلقت كلمة " الممكن " وقلت، إن هذه الكلمة تقديرية ونسبية ... إن " الممكن " عند الدول العربية كثير وكثير جداً .. ولا يصح أن نرضى بالقليل ... قل : وما هو الممكن في نظرك؟

قلت : أنا اعتقد أن موضوع البترول هو أخطر سلاح بقي بيد الأمة العربية، فإذا سقط هذا السلاح سقطت القضية العربية إلى زمن بعيد ... البترول العربي متوقف الآن عن بريطانيا وأمريكا .. ولم توقفه الدول المنتجة إلا بسبب الضغط الشعبي ... والضغط الشعبي لا يزال حتى الآن قوياً، بل إن من الممكن تصعيده ... ونحن الآن على أبواب الخريف، ويعقبه الشتاء، وإن أوروبا لا تستطيع أن تأكل وتشرب وتنام وتعمل وتقرأ وتكتب إلا بالبترول .. وكل ما هو مطلوب أن يتوقف البترول ستة أشهر ... وحينئذ ستهب أوروبا كلها، ومعها أمريكا لتعمل على إجلاء إسرائيل عن الأرض العربية .. وهذا هو معنى المشروع العراقي بوقف ضخ البترول لمدة محددة ...

قال: يا أخ أحمد .. أنا قرأت ملف البترول كله، مرتين، ثلاث مرات، أنا موافق على كل الكلام الذي تقوله ... ولكن السعودية غير موافقة، وستتبعها ليبيا ثم الكويت، وسيبقى العراق وحده .. لا بد لنا من رأي آخر .. قلت : الرأي الآخر هو تأمين البترول، إن الشركات الاحتكارية تجني أرباحاً ضخمة .. هذه الأرباح وحدها كافية لتمويل صندوق عربي للتحرير والتنمية .. والدول العربية المنتجة للبترول لا تدفع شيئاً من عائداته، أرباح

الشركات الأجنبية تدخل في الصندوق العربي .. وفي رأبي أن هذا الاقتراح يأتي في المقام الثاني بعد وقف الضخ.

قال : وهل تظن أن الدول العربية مستعدة للموافقة على هذا الاقتراح .. لقد جريت كل الطرق مع الدول العربية

قلت : أنا مؤمن أن الضغط الشعبي كفيل بحمل الدول البترولية على الرضوخ .. أو التأميم .. لقد رأيت الجماهير كيف استقبلوك في مطار الخرطوم، وكيف كانوا يصيحون " وحدة .. وحدة .. " وأنا لا أطلب إليك أن تترك الدول العربية، نحن في هذه المرحلة ليست لنا مصلحة في مهاجمة الدول العربية .. ولكن يجب أن لا نقطع الحبل مع الشعوب العربية .. يجب أن تظل الجماهير العربية هي التي تطالب وتحاسب وتراقب .. وإذا سكت صوت الجماهير فإن بعض الحكومات العربية، وخصوصاً السعودية وليبي استدير ظهرها للقضية العربية.

واستمر الحديث بيني وبين الرئيس عبد الناصر في هذا الإطار، هو يؤكد الحاجة إلى الحكومات العربية في هذه المرحلة .. وأنا أشدد على دور الشعب .. حبل مع الحكومات، وحبل مع الجماهير بصورة متوازنة متوازنة .. وخرجت من جناح الرئيس عبد الناصر إلى غرفة بي .. ولم تبق إلا بضع ساعات للنوم، ليستأنف مؤتمر القمة عمله في جلسته الثالثة. ولم تبدأ الجلسة إلا قريباً من الظهر .. فقد تأخر الملوك والرؤساء في النوم، لأنهم تأخروا في السهر وفي السمر، والويل لخلي من الشجي!! .. ويبدو أن الملوك حسين كان مشحوناً محقوناً، فلم تعجبه الكلمة التي ألقيتها بالأمس .. ولم تعجبه بصورة خاصة اقتراحاتي بشأن مقاومة الاحتلال

الإسرائيلي من داخل الضفة الغربية.. فلم يكذ الرئيس الأزهرى يفتح الجلسة حتى طلب الملك حسين الكلام...

وتحدث عن " خطورة العمل الفدائي الذي تشجعه سوريا وأعلن عن معارضته لهذا العمل لأنه سيزيد في خطورة الوضع وانهيائه" وطلب موافقة على هذا الرأي، إلا أن أحداً لم يعلق على ذلك سلباً أو إيجاباً. ثم تكلم السيد محمد أحمد محجوب ورأى أن يصاغ قرار ما حول ضرورة تدعيم الجيوش العربية وتقويتها وضرورة التنسيق فيما بينها في المستقبل وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر فقال:

" العمل العسكري له بداية توصل إلى نهاية. والبداية هي إعادة بناء قواتنا المسلحة حتى نكون في موقف الدفاع ثم تتطور إلى موقف الهجوم. وقد بدأنا إعادة بناء قوتنا وعندنا الآن قدرة على الدفاع .. وفي رأيي أننا بدون ذلك لا نستطيع الوصول لأي حل سياسي مشرف. والوصول إلى مرحلة الهجوم تحتاج إلى وقت غير قصير، ولذلك لا بد من دعم اقتصادي يمكننا من الصمود.. والعمل العسكري مرتبط بالدعم الاقتصادي، ومن الممكن بهذا الدعم أن نقبل بالوضع القائم حتى نستطيع إزالته بالقوة " .

وقال الرئيس عبد الرحمن عارف :

أن ما قاله الرئيس عب الناصر صحيح، وهذا بالطبع يحتاج وقتاً، وقد تتعرض في هذه الفترة لهجوم أو اشتباك، ولا بد من وجود قيادة عسكرية واحدة أو تنسيق في بداية الأمر .

واستطرد الرئيس جمال عبد الناصر وقال :

عندنا القيادة العربية الموحدة..

وتدخل الرئيس محمد أحمد محجوب وقال :

هذا صحيح وقد طلب إليّ الفريق علي علي عامر، أن أسأل مؤتمرهم عن مصير هذه القيادة .. وأنا أرى ضرورة أحيائها.
فأجاب الرئيس جمال عبد الناصر وقال :

يجب معرفة رأي إخواننا السوريين .

واشترك الملك حسين وقال :

هذا مهم ولا بد من معرفة رأي إخواننا لأن تجربتنا في المعركة الماضية كانت مؤلمة.

وعاد الرئيس محمد أحمد محبوب إلى الكلام فقال :

لقد وعد السوريون بتنفيذ أي قرار إيجابي ...

وأيده الرئيس عبد الناصر قائلاً :

هذا صحيح وقد قال لي إبراهيم ماخوس هذا الكلام

وتدخل الرئيس شارل حلو وقال :

أنا لا اعتقد أن هناك أي دولة عربية تشذ عن هذا الموضوع.

و أوضح الوزير الجزائري السيد عبد العزيز بوتفليقة موقف الجزائر فقال

:

القيادة الموحدة خلقت في ظروف معينة تغيرت موضوعيا اليوم، وأعتقد

أن تغير الظروف يفرض خلق شيء جديد.

وإلى هنا فقد كان الملك فيصل يستمع ولا يتكلم، ورأى أن البحث يتناول

عدة مواضيع، وتكاد أن تُطرح على المؤتمر لاتخاذ قرارات بشأنها، وخاصة

موضوع القيادة العربية الموحدة .. ومعروف أن الملك فيصل كان قبل عام وقد

توقف عن دفع التزاماته للقيادة العربية الموحدة فطلب الكلمة وكانت المرة الأولى التي رأى فيها حاجة إلى الكلام.

وتحدث الملك فيصل من غير مقدمة، فنطق عبارة واحدة فقال: " قبل الحديث في هذه المواضيع يجب أن نعرف ماذا ستقررون بشأن القضايا الاقتصادية حتى نعرف على ضوء ذلك ما نستطيع أن نقدم .. نريد أن نعرف الموقف بالنسبة لتوصيات مؤتمر بغداد بشأن البترول ".
لقد كان واضحاً أن الملك فيصل يريد أن يطرح قضية ضخ البترول أولاً .. وهل الاتجاه نحو وقفه أو استئنافه ..

وأخذ الرئيس عبد الناصر المبادرة، وقال : أنا أرى أن نستأنف ضخ البترول لجميع الدول، حتى لأمريكا وبريطانيا، والدول المنتجة للبترول تعاون الدول المعتدى عليها.

وقبل أن يتكلم أحد .. كأنما كان الأمر صفقة عاجلة، قال الملك فيصل: الجمهورية العربية المتحدة والأردن بحاجة إلى دعم اقتصادي، ونحن من جانبنا حاضرون في حالة استئناف الضخ..

كان الطلب والعرض، بين الرئيس عبد الناصر والملك فيصل، يجري سريعاً، بحيث لم يتحمل من الوقت إلا ما تقتضيه الكلمات من زمن.
ودهش الحاضرون لهذه السرعة في الاتفاق .. كيف تم بين الرجلين، من غير حوار ولا مقدمات، وبعد أن كان بينهما من القطيعة.

وأراد الوزير الجزائري السيد عبد العزيز بوتفليقة أن يحفظ حصة " الغائب " ما دامت الصفقة قد تمت بهذه السرعة فقال : أن غياب سوريا عن المؤتمر لا يجوز أن يحرمها من حقها في الدعم وأننا ملزمون أخلاقياً بذلك.

فرد عليه الملك فيصل بكلام يتعذر على سوريا أن تقبله فقال : " نحن نعرف أن الجمهورية العربية المتحدة والأردن تعرضتا ودفعنا ثمن العدوان، أما سوريا فلا نعلم عنها شيئاً .. وكلنا لسنا ضد مساعدة أي فريق، وإذا كان لأحد من طلب فليتقدم به ... قد يكون من الممكن عن طريق اتفاقيات ثنائية.. " وهذا الكلام هو رفض بصيغة القبول !!

وفي سرعة خارقة.. لم أر أن قراراً آخر قد حظي بمثلها في الاجتماعات في الاجتماعات العربية التي اشتركت بها على مدى بع قرن من الزمان .. وضعت صيغة القرار وكان أول قرار اتخذته مؤتمر القمة .. بالنص الآتي :

" قرر المؤتمر استئناف ضخ البترول، باعتباره طاقة عربية إيجابية يمكن تسخيرها في خدمة الأهداف العربية، وفي الإسهام في تمكين الدول العربية التي تعرضت للعدوان وفقدت نتيجة لذلك موارد اقتصادية من الصمود لإزالة آثار العدوان..".

ولم توضع هذه الصيغة من قبل مؤتمر القمة .. فقد كانت جاهزة .. قرأها السيد محمد أحمد محبوب من أوراقه ... وسكت الحاضرون وتمت الموافقة .. وكان أول قرار أصدره الملوك والرؤساء من غير بحث ولا مناقشة، منذ أن انعقد مؤتمر الملوك والأمراء في زهاء انشاص عام 1946 إلى يومنا هذا.

وفي لهجة من العتاب الهادئ، التفت الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال : ونحن نسحب المشروع العراقي بوقف ضخ البترول . وسنقول للشعب العراقي .. هذا ما يريد مؤتمر القمة.

وكان السبب في هذا العتاب، إن المشروع العراقي قد وضع في القاهرة بالتوافق بين المسؤولين العراقيين والمصريين... وها قد تبخر وراء الكواليس في الخرطوم، والوفد العراقي لا يعلم شيئاً..

ثم جاء البحث التفصيلي، بعد ذلك، عن مقدار العون الاقتصادي الذي يجب أن يُقدم للجمهورية العربية المتحدة.. وكما جرى في صياغة القرار، جرى كذلك في تحديد المبلغ ونسبته.. وهنا كان الكلام للسيد الشريف حسين الهندي وزير مالية السودان، فقرأ في ورقة أمامه ما يلي: " نقترح أن تدفع السعودية مبلغ خمسين مليون جنيه، والكويت مبلغ 55 مليون جنيه وليبيا مبلغ (30) مليون جنيه ويكون مجموعها (135) مليون جنيه، يعطى منها (95) مليون جنيهه للجمهورية العربية المتحدة و (40) مليون جنيه للأردن.."

وطالب الوزير الليبي الدكتور أحمد البشتي مهلة للحصول على موافقة الحكومة الليبية. ولكن الملك فيصل أشار إليه بالموافقة فإن استئناف ضخ البترول، وصدر قرار إجماعي من الملوك والرؤساء بإباحته وإسألته، يساوي هذا المبلغ أضعافاً مضاعفة.

وهكذا انفرج الملك فيصل عن ابتسامة عريضة.. وانتصر بترول العرب على العرب.. وانتقل المؤتمر بعد ذلك إلى بحث الجوانب السياسية.. وليبحث من يشاء.. فالسياسة كلام، وليتكلم من يشاء..

وطلب الملك حسين الكلام، فامتدح قرار العون الاقتصادي وإيجابيته والسماح باستئناف ضخ النفط، وأسهب طويلاً في ضرورة إعادة النظر في الأساليب الماضية التي اتبعتها العرب في نشاطهم السياسي.. ووصفها بالسلبية، وألحَّ على ضرورة مخاطبة الرأي العام الدولي بلغة جديدة، وعلى أساس صريح من الواقعية، وطلب الملك حسين في نهاية حديثه، " لمناسبة

زياراته المقبلة للاتحاد السوفيتي والدول الإسلامية وأوروبا وأمريكا، أن يزوده المؤتمر بالخطوط الرئيسية للسياسة الجديدة بشأن الحل الذي ينبغي قبوله للقضية الفلسطينية".

وكان لهذا الكلام معنى واحد، لا سواه .. هو أن الملك حسين يريد تفويضاً من مؤتمر القمة لبحث القضية الفلسطينية في الخارج ... ويريد أن يعرف حدود هذا التفويض...

وهنا كان لا بد لي من أن أتكلم ... ولم أتكلم هذه المرة من ورقة مكتوبة .. ولكنني استوحيت كلامي من إيماني وتجاري ... وأولاً وأخيراً، من مسؤوليتي التاريخية أمام الشعب الفلسطيني .. تلك المسؤولية التي ستلاحقني إلى قبري . فليست قضية فلسطين مشكلة سياسية يغتفر فيها الخطأ، ولكنها قضية شعب وأمة، وقضية حاضر ومستقبل، وقضية بقاء وفناء... واستخرت الله وقلت :

" إن الموضوع المطروح له أهمية كبرى، ولا أحسب أن وقتاً مهماً طال في بحثه، يعتبر ضائعاً، لأننا منذ سنين لم نطرح هذا السؤال الكبير حول قضية فلسطين طرْحاً عميقاً كما هو اليوم، إنني أريد أن أتكلم بصراحة وموضوعية، بعيداً عن العاطفة التي نُتْهِم بها دائماً .. هذه قضية مصيرية في مرحلة حاسمة تتطلب منا تفكيراً مسؤولاً وجدياً.

" إن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً، وهي قضية مصيرية بتطورها الأخير، وخصوصاً في سنواتها الأخيرة . ولكن رغماً عن هذا التوكيد أرجو أن يظل في ذهننا أن هذه القضية تخص شعبها، شعب فلسطين .. وكونها عربية لا ينفي حق شعب فلسطين بأنه صاحب الكلمة الأولى في تقرير مصيره، تماماً كما قررت مصائر شعوبكم.

" وإننا نحن شعب فلسطين لسنا عضواً في الأمم المتحدة، وكائناً ما تكون أوضاعنا، فإن شعبنا المشتت المجزأ هو واحد في آماله وتطلعاته .. أكثره لاجئ وأكثره أسير، ولكن هذا لا ينفى وحدته الوطنية، وتشرده، لا ينفى حقه الطبيعي في تقرير مصيره .. نحن ننظر للقضية على المدى الطويل، وإذا كان لكل شعب أن يحل مشاكله على ضوء آلامه الطارئة لا تنتهت القضايا القومية ولما بقي لها من معنى، ولا وجود..

" قلت إننا لسنا في الأمم المتحدة، ولم نوقع اتفاقية الهدنة، ونحن لسنا ملزمين بقرارات مجلس الأمن، ولذلك فإن كل الاعتبارات الدولية لا تشملنا ولسنا ملتزمين بها."

" ولناخذ على سبيل المثال مشروع الرئيس تيتو الذي اقترحه لحل

القضية ..

أولاً - .. إن مشروع تيتو ليس بمشروع بل نقاط عرفنا كيف تبدأ، ولكن من يعرف كيف تنتهي .. وكلنا نعرف كيف تصاغ النقاط في الأمم المتحدة، حيث الكلمة تقدم وتؤخر، ولربما الفاصلة في بعض الأحيان لها مدلولها ومفهومها.

" لذلك فإن منظمة التحرير لا ترى أمامها مشروعاً كاملاً تقول أمامه نعم أو لا .. أما عندما نرى المشروع متكاملًا فعندئذ تقول المنظمة كلمتها. " وبالأمس نحن حددنا موقفنا أمام مجلسكم الموقر في مذكرة مكتوبة وقد طبعناها ووزعناها عليكم، حتى تكون معروفة أمامكم بكل دقة ووضوح. وأقول بكل تأكيد إنني أتحدث بغاية الموضوعية فهناك خمسون سنة من المصائب والولايات وراء هذه القضية.

" لقد قيل في هذا الاجتماع إن سياستنا الماضية في الرفض كانت خطأ فادحاً .. وأنا أقول لكم إن الرفض ليس هو الخطأ، ولك ضعفنا هو الخطأ. " فنحن نلتزم بستة مبادئ واضحة في مذكرتنا، وأقول بكل أخوة إن كوننا لاجئين لا يحرمنا من حقنا في تقرير مصيرنا ... ونحن لا نقبل أن نكون تحت وصاية أو تبعية ، لأية دولة.

"إن الحل السياسي شيء، وكيفية مخاطبة العالم شيء آخر . فبالنسبة للمخاطبة نستطيع البحث في هذا الموضوع إعلامياً، وأنا أعلم قيمة الإعلام، فقد سبق لأجهزة العدو أن زورت عليّ تصريحاً حول رمي اليهود في البحر، كما زورت إسرائيل تصريحاتكم، ويبدو أننا مع الأسف أصبحنا ضحايا وفريسة الدعاية الإسرائيلية.

" أعود للقول، إنه يتوجب علينا وضع أسلوب علمي لشرح قضيتنا، رغم أنني أشعر بأننا أصبحت فينا عقدة نقص بالنسبة لدعايتنا. ولقد وقع الإسرائيليون في أخطاء قاتلة في دعايتهم.. فشعارهم " من النيل إلى الفرات" هل يدل على علمية في الدعاية . وهناك وايزمن الذي قال : إننا نريد أن نخلق فلسطين يهودية كما هي إنكلترا إنكليزية .. هل هذا علمي أيضاً. وإيذان مؤخراً، ألم يقل إنه لو صوتت 121 دولة ضد العدوان فلن ينصاع، ولن ينسحب من الأراضي العربية. هل هذه لغة علمية؟ طبعاً لا .. ولكن إيذان يمك بزمام المبادرة ويتكلم من مركز القوة .. ثم القدس ألم يصدر فيها قراران من الأمم المتحدة ورفضهما إيذان؟ هل هذه مناهج علمية، وقد تصرف اليهود بالقدس تصرفات كلها تحدي واستفزاز للمقدسات الإسلامية والمسيحية.

" إذن ليس من داع للمبالغة في موضوع الإعلام ..ولا مانع من استبدال لهجتنا، لكن دون أي مساس بالجوهر .. دون استبدال الأسس الرئيسية في القضية.

" واني أقول لكم بصراحة .. إن سيناء هي مسئولية الجمهورية العربية المتحدة تتحملها أمام الشعب المصري والأمة العربية وكذلك فإن الجولان مسئولية الجمهورية العربية السورية تتحملها أمام الشعب السوري والأمة العربية .. ومن أراد أن يتنازل فليتنازل والتاريخ بالمرصاد.

" أما الأرض الفلسطينية من النهر إلى البحر فإنها ليست لأي ملك ولا رئيس، ولا يستطيع أحد أن يتنازل عن شبر واحد منها ... كل ملك أو رئيس يملك فيها حق الدفاع، لا حق التنازل .. فلسطين هي ملك الشعب الفلسطيني وهو الذي يقرر مصيرها .. ولقد كان لي شرف الدفاع عن قضايا الجزائر وتونس وليبيا والمغرب في الأمم المتحدة .. وهذه الأقطار بحمد الله أصبحت مستقلة وممثلة بوفودها بينكم .. وجميع هذه الشعوب قررت مصيرها بنفسها .. ومن حق شعب فلسطين أن يقرر مصيره.

وهنا سألني رئيس وزراء السودان : إذن كيف تتصور أن نبحت عن

حل للقضية الفلسطينية؟

وأجبت : القضية الفلسطينية هي قضية عربية، من غير شك، وأعتقد أن كل عربي، سواء كان مواطناً أو ملكاً له ملء الحق أن يدافع عنها، ولكن لا أن يتنازل عنها ... وابتحثوا عن الحلول كما تشاؤون ولكن قبول الحلول يجب أن يتم في اجتماع للملوك والرؤساء ومعهم منظمة التحرير .. وأن يتم قبوله بالإجماع ."

وتدخل الوزير التونسي، وقال : نحن نوافق على مشروع الرئيس تيتو، لأنه سوف يفرض من قبل مجلس الأمن، ونحن لا يُطلب منا سوى السكوت.

قلت : وهل نسكت عن الوطن !!!؟

وتدخل الرئيس الأزهري، ليبيدي تحفظ السودان فقال : " أريد أن أعطي نفسي الحق بكلمة موجزة، وهي أننا في السودان لا نرى مع إسرائيل من منطق سوى منطق المقاومة، وأنه لا يمكننا بحال أن نقبل بالصلح أو ما يؤدي إليه".

وأعاد الملك حسين كلامه في شرح وتفصيل عن ضرورة البحث عن

حل جديد وفي ختام كلامه وضع السؤال الآتي : أرجوكم أن تحددوا لي مسؤولياتي، ما هو الحل الذي يجب أن نقبله . أريدكم أن تقولوا لي ماذا أقول في موسكو، والعالم الإسلامي عندما أبدأ زيارتي بعد أيام ...

وقلت : فيما يتعلق بالشعب الفلسطيني .. إن الموقف واضح .. إن

منظمة التحرير هي وحدها التي تمثل الشعب الفلسطيني وتحدث بلسانه ولا يملك أحد غير الشعب الفلسطيني، ملكاً كان أو رئيساً، أن يوافق على أي حل للقضية الفلسطينية.

وتوترت جو الجلسة، في هذا الحوار بيني وبين الملك حسين ..

وتدخل الرئيس عبد الناصر في الحديث فقال :

حتى نتكلم عن الحل السياسي لا بد أن نضع في حسابنا ...

1 - العمل العسكري..

2 - الوضع الاقتصادي..

وأعتقد إن القرار الذي اتخذ المتعلق بالصمود الاقتصادي يساعدنا على الصمود السياسي . ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن هناك اتفاقاً بين أمريكا وروسيا على أسس الحل السياسي للقضية وهذا الاتفاق موجود في المشروع

السوفيتي الأمريكي .. والأمريكان أثروا في وجهة نظرهم .. وطلبنا من السوفيت توضيح وجهة نظرهم ولكن لم يصلنا منهم تفسير وكان جوابهم أننا نوافق على ما توافقون عليه وهم على استعداد لاستعمال " الفيتو " والمشروع يتضمن:

1 -إنهاء حالة الحرب ..

2 -الانسحاب ثم يلي ذلك قضية الملاحة والقضايا الفرعية.

وقد رفضنا هذا .. واليوم أمريكا تحاول الضغط علينا للقبول بوضعنا.

النهارده ما نقدرش نقول أنو هناك حاجات حنقرر وننفذ ما نريد ونرفض ما نريد، لأن هذا لا ينسجم مع يقظة العدو. ويجب أن نفهم أنه علينا إما أن نقبل أو نرفض .. العدو له هدف هو حل قضية فلسطين وإنهاء هذه المشكلة.

إذا تكلمنا عن العمل السياسي يجب أن يكون مفهوم لدينا أننا نأخذ

ونعطي . وإذا تصورنا أننا حناخذ وبس فنحن خاطئين.

" لذلك علينا أن نقرر ماذا نحن مستعدين أن نعطي واليوم يختلف

الوضع عن سنة 1956 .. النهارده الوضع مختلف اختلاف كلي أمريكا وروسيا

متفقتين على حق إسرائيل في البقاء والحياة، والاتنين اتفقوا على إنهاء حالة

الحرب، وبذلك فالعمل السياسي أصبح صعب وبحاجة إلى نضال عنيف. اليوم

موقفنا حيقوى بعد القارات الاقتصادية ونستطيع أن نصمد."

" والمشكلة عندنا في مصر تختلف عن الأردن، أنا سينا متهمنيش

والقنال كان يمكن يؤثر لكن التعويض حل المشكلة. أما قطاع غزة فهم يقاومون

وقد اعدموا امبارح ناس فيها .. إذن نحنا نستطيع أن نقاوم وأن نرفض أي

حاجة مش عاجبانا لغاية منكون قادرين على الهجوم.

" ولكن ما يقلقني هو الضفة الغربية. والسؤال اللي واجب نسأله: هل

الزمن في صالحنا أم ضدنا هناك ؟ أنا في رأيي أن الزمن ضدنا. والناس

أحوالها صعبة . وقد اتحدت الأحزاب المتطرفة في إسرائيل وهذا يجعلنا نتوقع سياسة إسرائيلية متطرفة . أنا بقول أنه لازم نستعيد الضفة الغربية والقدس وإلا إذا تركنا هذا الموضوع فلن تعود الضفة الغربية ولا القدس ."

" عسكرياً نحن لا نستطيع ذلك . إذن ليس هناك من سبيل أمامنا إلا العمل السياسي من أجل استرجاع الضفة الغربية.. وأنا لما جالي الملك حسين في القاهرة، والواحد كان شاعر بالمشكلة في الضفة الغربية قلت له الكلام ده . والسبب الثاني أن اليهود لهم إطماع أساسية في الضفة الغربية على أساس إنها من فلسطين . أما سيناء فأطماعهم فيها ثانوية. ولو وضعنا أنفسنا موضع اليهود فليس يرجعوها؟ أنا بقول هذا الكلام للخروج بنتيجة أنه لا بد من العمل السياسي وبسرعة .. وأنا قلت للملك حسين ما يقطعش علاقاته بأمريكا وقلت له أن يلجأ إلى كل الوسائل لاستعادة الضفة الغربية شرط عدم التفاوض وعدم الصلح."

" وفي رأيي كل يوم يمر على احتلال الضفة الغربية يزيد في تمكين الاحتلال. وأقول أن هناك هدف عاجل هو تحرير الضفة الغربية رغم إننا غير قادرين على ذلك بالقوة العسكرية ولا بد من العمل السياسي ولذلك قلت للملك حسين أن أي شيء بدون الصلح مع إسرائيل لازم يعمل من أجل استرداد الضفة الغربية. وأي تطرف في هذا الموضوع يبضر الأمة العربية وقد تتحول الضفة الغربية كما تحولت الأراضي التي احتلت من زمان."

ورأيي أن يتفق حسين مع الأمريكان على استرجاع الضفة الغربية بأي شكل بعد كده، موقفنا نحن كدول عربية في الحل السياسي والنضال السياسي مختلف عن الملك حسين .

" نحن علاقاتنا سيئة مع الولايات المتحدة، وباستطاعة دول عربية أخرى أن تلعب دور في هذا السبيل، واقترح أن يعمل الملك فيصل اتصال مع أمريكا يشرح قضيتنا وموقفنا .. أما نحن فسننتصل بروسيا.

" وتحدث الملك فيصل فقال :

" يجب أن يكون موقفنا موحداً .. أنا نصحت جونسون بأن على أمريكا أن تشجب العدوان وتأمّر إسرائيل بالانسحاب .. وما زلنا نسعى وقد قلت للإنجليز نفس الكلام .. وكان هذا هو حديثي مع ديغول..

الشقيري:

أنا أتحدث في هذا الموضوع بعد استماعي لكل ما قيل. وأرجو أن أقول لأخر مرة، مستكماً وجهة نظر المنظمة في الموضوع المعروض الآن .. وأرجو أن لا يحمل كلامي محمل التطرف الآلام التي يتعرض لها شعبنا والأخطار التي نتعرض لها الضفة الغربية تملأ أفكارنا وتفزعنا أنا لا أخالف في هذا..

المبادئ الستة التي وضعناها في المذكرة، وضعت بعد تفكير جلي ودراسة هادئة. وما أردنا أن تكون هذه المبادئ إلا مكتوبة وبشكل دقيق إلا لأن المنظمة تشعر شعوراً أميناً صادقاً بأن هذه المبادئ هي التي نسترشد بها في حل مرحلي أو نهائي ..

" نحن متفقون كذلك على انسحاب العدو من الضفة الغربية .. هذا لا خلاف عليه. وكذلك نقر بذل الجهد السياسي ممن لهم علاقات بالدول الغربية، وهؤلاء مشكورون على كل ما يبذلون للوصول إلى غايتنا المرجوة للانسحاب من الضفة الغربية وبأسرع ما يمكن .. وكذلك إخواننا ممن لهم علاقات مع الشرق والعالم الثالث. لا مانع لدينا بالنسبة للاتصال السياسي من أجل بذل مثل

هذه الاتصالات بهدف عودة الضفة الغربية . إنما السؤال الذي أمامنا ما هو الثمن؟ كلنا نعرف إسرائيل، وأقول بتواضع بان لي خبرة بما تريد إسرائيل بالمعاناة والممارسة .. موقف المنظمة ليس وراءه العناد، وإنما تقدير مدروس وراءه ممارسة ومعاناة .. ولقد قيل أنه يجب إن نأخذ ونعطي...

والسؤال ما هو الثمن الذي علينا أن ندفعه لعودة الضفة الغربية، إذا كان الثمن أكبر وأشد خطراً، فنكون قد قبلنا ما لا يجوز قبوله.

وماذا تريد أمريكا التي اقترحت أن يتصل بها الملك حسين والملك فيصل .. وأمريكا مصممة على النقاط الخمس التي أعلنها جونسون وأهمها تصفية قضية فلسطين؟ فهل نحن مستعدون لموافقة الولايات المتحدة على التصفية النهائية.. فأمریکا لا تريد عودة اللاجئين بل تريد وضع حدود ثابتة لإسرائيل، أمريكا لا تقبل، ومعها إسرائيل، إلا الوصول إلى تسوية نهائية للقضية، وهل تظنون أن الضفة الغربية ستعود سلباً... وكذلك فإن المشروع اليوغوسلافي ينتهي إلى سلم دائم، وإلى تصفية للقضية الفلسطينية .. وبطالنا الوفد التونسي أن نسكت .. نحن لا نسكت على الوطن.

وتحدث الرئيس عبد الناصر وقال :

" أنا بختلف مع الأستاذ الشقيري حول " تعبير التسوية النهائية" التسوية النهائية تعني الجلوس مع إسرائيل ووضع اتفاق نهائي. وأنا لا أوافق على اتفاق نهائي..."

" كان عندنا مصيبة فصار عندنا مصيبتين، وأنا بقول مستعد أنا ادفع ثمن مقابل استعادة الضفة الغربية.

" وأختلف مع الشقيري بأن مشروع تيتو يوصل إلى تسوية".

وتناولت الكلام وقلت :

أنا أفهم كلام الرئيس عبد الناصر ولا أخاف منه لكني لا أستطيع أن أفهم كلام الملك حسين .. ولا أظن أحداً يمكنه أن يزاودني على الخوف على الضفة الغربية وأهلها، فهي مسقط رأسي وأهلها أهلي .. وأظن أننا نبالغ كثيراً في نتائج الجهد السياسي.. إذا أردتم أن ينجح الجهد السياسي فعليكم أولاً أن تقيموا دولة الاتحاد كما أوضحتم في المشروع الذي قدمته لكم⁽¹⁾ وعليكم أن تتشؤوا قيادة عسكرية تشمل الدول المحيطة بإسرائيل على الأقل .. وإذا كنتم تظنون أن الأمم المتحدة ستعيد إلينا الضفة الغربية في خلال مدة وجيزة كما جرى أيام العدوان الثلاثي عام 1956 فنحن نجري وراء السراب .. نحن لن نستطيع أن نعيد الضفة الغربية عن طريق الأمم المتحدة، لا بأشهر ولا بأعوام ولا بقرون .. وأن نصائح الملك فيصل للرئيس الأمريكي لن تعيد الضفة الغربية .. بالكلام والسياسة لن تعود الضفة الغربية.

وتحدث الوزير الجزائري بوتفليقة وقال :

" إني أشعر بالرغبة في الحديث ولكن لا أجد ما أقوله ، حتى بعد ما استمعنا إليه من تفاصيل قيمة تتعلق بالوضع في الضفة الغربية. إن موقف بلدي معروف. إن القاعدة الوحيدة التي طرحت علينا هي المشروع اليوغوسلافي. وقد نراه مناسباً وقد لا نراه مناسباً.

" وقد كان من الممكن أن يصل إلينا هذا المشروع عبر الأمم المتحدة أو الصحافة بدلاً من الزيارة التاريخية لتيتو. أقول هذا، وما بودي أن أتهرب من المسئوليات ولا أن أتملص منها، وبودي أن أقول أن في مشروع تيتو حاجة في نفس يعقوب .. يلتقي عليها الشرق والغرب. ظاهر جداً أن موسكو وواشنطن

(1) أحمد الشقيري، حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء.

بالنسبة لهم إسرائيل نقطة " توتر " تعرقل مسيرة التعايش السلمي ولذلك يجب العمل لدفع الدول العربية للاعتراف بها.

" الملاحظة الثانية : إن تقديم بلغراد لهذا المشروع لنا بهذا الشكل

يستهدف أن يتوقعوا على الأقل صمتنا. الصمت رضاء . ومن الممكن أن نرضى بشرط عدم المساس بالجواهر وبالقضية الفلسطينية التي نقول أنها تهم بالدرجة الأولى الشعب الفلسطيني. نحن كأمة لنا دور ولكنها تهم بالدرجة الأولى الشعب الفلسطيني.

" الملاحظة الثالثة: إن هناك دولاً في المنطقة وقع عليها ضغط شديد وقوي وهي تشعر بهذا الضغط أكثر من الجزائر .. ويكون من اللامسئولية أن الإنسان البعيد 4000 كيلومتر يعطي النصائح حتى لو كانت في محلها. " ولكني أقول إذا كان هذا الوجه الصحيح، فهناك وجه ثانٍ هو تحمل المسئولية لإننا نريدها جماعية لا إقليمية . فنقول إن تفكيرنا الآن مضغوط. كنت أتمنى أن يكون ما ندرسه الليلة مخططاً عربياً لا يوغوسلافياً ولا روسياً. " والواضح هو الحديث عن حماية الدول الكبيرة لحدودنا، وهذا منطوق غريب بالنسبة للأمريكان التي أمامها الصين و 700 مليون إنسان ولا تزيد أن تعترف بها .. بينما نحن حياتنا أصبحت مرتبطة بالاعتراف بإسرائيل. أن نخوفنا على الضفة الغربية كبير وسمعت أن الدول العربية لا تستطيع استرداد الضفة بالمقاومة .. لذلك لجأتم للحل السياسي، يوجد أخذ وعطاء. ولا أعرف إذا كان انفراد الملك حسين يعطيه قوة .. اللهم إلا إذا كان عنده حلول.

الحل إذا فيه أخذ وعطاء يكون سابقة خطيرة، والحل للمشاكل الأخرى
قد يأخذ سنوات طويلة. سابقة قد تجعلنا في حكاية أخذ وعطاء كذلك بالنسبة
لسيناء والمرتفعات السورية . لذلك نحن الآن في حيرة.

الهدف نحن متفقون عليه والاجتهاد صادق من جميع الأطراف ولكن
لزماً علي أن اعترف أن هنالك خلافاً بيننا في الأسلوب وكنت أؤثر أن لا
نبحث الموضوع قبل استكماله في عقولنا".

وتحدث الدكتور محمد بن هيمة وأيد مشروع الرئيس تيتو وأعرب عن
اتفاقه مع الملك حسين في خطواته للمساومة.

وتكلم الملك حسين وقال : " أريد أن توضحوا لي مسئولياتي

وصلاحياتي . سمعنا من الأخ الشقيري عن المبادئ الستة. وأعود إلى مؤتمر
القمة الأول وإنشاء المنظمة وتكليف الأخ أحمد، واليوم نسأل كي نستوضح عن
هذه المبادئ الستة، ومن وضعها ومن كتبها؟ مرة أخرى أشعر الآن بصراع،
هل أنا مسئول عن الضفة الغربية والقدس؟ ولا أقبل أن استأذن من أحد فيما
أعمل أولاً أعمل ...".

ووجهت حديثي إلى الملك حسين، وقلت :

" أكرر مرة أخرى أن شعب فلسطين هو صاحب الحق وما من ملك
وما من رئيس يملك الحق في حل قضية فلسطين، و إذا كان المؤتمر سيقترن
على الجهد السياسي من غير التزام بالمبادئ التي ذكرتها، فأنا سأسحب من
الاجتماع...".

وتوتر الجو .. وأحس الرئيس الأزهري أن أزمة تخيم على الاجتماع،

فبادر إلى تأجيل الجلسة لتستأنف في اليوم التالي:

وفي الليل، جاءني الوزير العراقي السيد إسماعيل خير الله، والسيد الشريف الهندي وزير مالية السودان، لبيحنا معي الموقف، وطال الحديث .. وقلت لهما.

اللأت الأربع في مذكرتنا : لا صلح، لا مفاوضة، لا تعايش، ولا انفراد بأي حل للقضية الفلسطينية، هل أنتم موافقون عليها

قالا : نعم ... ويجب أن يوافق عليها مؤتمر القمة بالاجماع ...

قلت : سأحضر الاجتماع غداً .. وإذا لم يوافق المؤتمر، فسأانسحب...

قال : ونحن ننسحب معك.

واستؤنفت الجلسة الرابعة في صباح الغد، وكانت الجلسة الأخيرة...

وبدأ الوزير الليبي الدكتور البشتي، وتكلم كلاماً واضحاً قال فيه ...

(وكان ولي عهد ليبيا قد تغيب عن هذه الجلسة) :

" أعرب عن تقديري لتحليلات الرئيس ناصر والملك حسين هذه

التحليلات الصريحة والواقعية التي تتمتع بشجاعة أدبية، كما أود أن أعرب عن

تقديري للمساهمات التي تفضل بها أصحاب الجلالة والفخامة من الواضح

للجميع أن المقصود هو الانسحاب وأنه لا بد من دفع الثمن .

" إسرائيل تريد ثمناً، والعالم يطالب ثمناً أقل من هذا. وينبغي أن نصل

إلى التفصيلات، ولنسأل عن استعدادنا للثمن الذي سندفعه، وذلك حتى نقلب

الوضع الدولي ضد إسرائيل ..

" الثمن التي تطلبه دول العالم هو :

1 إنهاء حالة الحرب.

2 حرية المرور في المياه الدولية.

" هاتان هما النقطتان اللتان يريدتهما الرأي العام الدولي . وإذا قبلنا بهما سننال تأييد الكثير من الدول.

" نقطة أخرى أريد أن أقولها وهي أن الرئيس عبد الناصر أيد المشروع اليوغسلافي واقترح أن نضع مشروعاً متكاملًا نواجه به الرأي العام. فهل نعتمد المشروع اليوغوسلافي كنقطة أساس، أم نضع مخططاً جديداً؟.

"ليبيا ستؤيد أي حل سياسي ترتضيه الدول العربية المتضررة. وسنحاول شرح وجهة النظر مع الدول الغربية حسب توجيهات المجلس الموقر".

وتدخل الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف فقال:

لدي بعض النقاط التي أعتقد أن اتخاذها يعطي الفوز للأمة العربية، إن قدمنا إلى هنا للخروج بأشياء عملية .. وأعتقد أن أول عمل قمنا به هو أننا أعطينا الإسناد للدول المواجهة لإسرائيل ...

طبعاً هذا العمل غير كافٍ لأنه يجعلهم يبنون وجودهم على قوتهم الحالية، دون أي تفوق، أي في حالة دفاع .. وهذا لن يوصلنا إلى أي نتيجة ويبقينا تحت رحمة الغير.

فعليه هناك دول عربية أخرى بإمكانها أن تهيء قوة مناسبة في بلدها تكون جاهزة وحاضرة للانتقال إلى الجبهة وقت اللازم .. والقوة التي أتخيلها كما يلي:

1 غرب القنال، لو فرضنا ليبيا .. هل بإمكانها تجهيز كتيبة دبابات ولواء مشاة مع سرب طائرات مقاتلة .. هل تستطيع ليبيا تجهيز هذا؟

2 تونس تجهز الكمية نفسها .. هل بإمكانها ذلك؟

3 وكذلك الجزائر مع لواءين مشاة وسربين طائرات..

4 -المغرب - مثل تونس وليبيا أي كتيبة دبابات ولواء مشاة وسرب طائرات .

5 -السودان - لواء مشاة.

من هذه جميعاً نحصل على لواءين مدرعين و 6 ألوية مشاة و 6 أسراب طائرات وتكون قوة احتياط للجمهورية العربية المتحدة. عندئذ يكون ممكناً أن تتعرض بالهجوم خلال سنتين.. ثم نأتي للجانب الآخر : شرق القنال..

1 -السعودية - كتيبتان دبابات - لواء مشاة - سريان طائرات.

2 -الكويت- كتيبة دبابات و 3 أسراب طائرات.

3 -العراق ثلاثة أسراب طائرات - 3 ألوية وثلاث كتائب.

" هذا بالإضافة إلى ما هو متيسر في سوريا ولبنان والأردن... وإذا عملنا بهذا يكون بقدرتنا أن نواجه المشكلة الحالية.

" وبالنسبة للعمل السياسي: يحتم الموقف علينا جميعاً أن نعمل لأن

نطرق كل باب لتحقيق أهدافنا، على شرط أن لا يمس ذلك كرامة العرب أو ما يسمى بتميع أو تضييع قضية فلسطين. وبرأيي هذه حلول واقعية يمكننا خلال سنتين من أن نكون في موقف الهجوم لا الدفاع فقط".

وتكلم الرئيس عبد الناصر وقال :

" من الواضح أن كلام الرئيس عارف يقوينا جداً حتى في العمل

السياسي، لأن العمل السياسي يتأثر بمواقع الضعف والقوة. بالتدعيم الاقتصادي نكون في مركز أقوى جداً. ويكون معروفاً للدول التي تدعم إسرائيل أنه أن لم نصل إلى هدفنا بالسياسة فنصل إليه بالقوة.

" العمل العسكري يستدعي قيادة عربية موحدة، نحن نقول إنه لا بد من المسير في طريق النضال السياسي ولكن يجب أن نستعد لمواجهة النتائج. فكلام الأخ عبد الرحمن يتوقف على إمكانيات كل دولة. لكن إذا أردنا أن نكون أقوى لازم يكون باين إننا اقتصادياً سنصمد، وعسكرياً نتهياً للمعركة". وقال الرئيس الأزهري : لقد انتهينا من أبحاثنا، ويحسن أن نتجه إلى وضع القرارات .

وقلت : أنا أذكر السيد الرئيس بجدول الأعمال ... نحن لم ننته من بحث الجدول بكامله .. قال : وماذا بقي؟؟

قلت : البند الأول يتضمن " إزالة آثار العدوان على المستوى العسكري"، والبند الرابع يتضمن : " وضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى ومتكاملة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق الأهداف العربية".

وأضفت قائلاً : " إن الرئيس العراقي قد تناول الجانب العسكري ولا أرى أنكم قد توصلتم إلى نتيجة .. ولا يصح أن ينتهي هذا المؤتمر قبل أن يضع خطة شاملة .. ويبدو لي أن حصيلة هذا المؤتمر كله حتى الآن هو الدعم الاقتصادي لمصر والأردن .. وهذا واجب، ولكنه جزء يسير من الموضوع الكبير ..".

فقال الرئيس الأزهري: الأخوان عندهم مسئوليات كثيرة تنتظرهم في بلادهم، وهم يريدون العودة .

قلت : القضية هي المسئولية الكبرى .. فهل يرسو المؤتمر على تقديم مبلغ 135 مليون جنيه وانتهى .. وهذا المبلغ بالنسبة للمعركة لا يسمن ولا يغني من جوع..

فتدخل الرئيس محمد أحمد محجوب وقال : أنا عندي اقتراح بشأن الجوانب السياسية أقرأه عليكم .. وهو " أتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم في العمل السياسي على الصعيد الدولي الدبلوماسي لإزالة آثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية المعتدية من الأراضي العربية المحتلة بعد عدوان 5 يونيو في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول العربية وهي عدم الصلح مع إسرائيل أ و الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحق الشعب الفلسطيني" ..

فقفز الملك حسين على قدميه، وقال : أنا اقترح شطب عدم الصلح لأن هذه العبارة ستضعف موقفنا في الأمم المتحدة.

وقلت : وأنا أصر على بقاء عبارة " عدم الصلح" وأن يضاف إليها " عدم الانفراد بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية".

واختل النظام في الجلسة، فقد راح الملك حسين يتكلم بعصبية ويتحدث عن الخسائر التي حلت بالجيش الأردني ..

ونهضت من مكاني، ومعني أوراقي ..وقلت أنا لست ملكاً لأحرص على البقاء في الملك، ولست رئيساً لأحرص على البقاء رئيس جمهورية .. أنا واحد من شعب فقد كل شيء، ولم يعد لنا ما نخسره، لأننا خسرننا كل شيء .. ولكن بقي لنا عقلنا، وكرامتنا وآمالنا . إن الاتجاه العام في هذا المؤتمر لا يشجعني على المشاركة فيه، ولا أستطيع أن أساهم في هذه القرارات .. ولذلك فإني أعلن انسحابي من المؤتمر .

وخرجت من الاجتماع .. وتركت الملوك والرؤساء يتهيأون لحضور
الجلسة الختامية في القاعة التأسيسية وسط مظاهر الحفاوة وتحت أنوار
المصورين ..

وتلي البيان المشترك الذي أصدره الملوك والرؤساء معلناً " أن
اجتماعاتهم سادها الشعور المشترك بعظيم المسؤولية التاريخية .. وقرروا أن
إزالة آثار العدوان هي مسؤولية مشتركة بين جميع الدول العربية .. وعبروا عن
عزمهم الأكيد على ضرورة مواصلة العمل العربي الموحد من أجل صيانة الحق
المقدس لشعب فلسطين في وطنه..".

وقد مر على هذا البيان المشترك ستة أعوام، لم ير المواطن العربي
دليلاً واحداً على العمل العربي الموحد ...".

وبهذا أصبح البيان المشترك هو الكذب المشترك.. كذب اشترك فيه
الملوك والرؤساء ...

" والله يشهد إنهم لكاذبون".

صدق الله العظيم

الصفحة الأولى..

للملوك والرؤساء

إعلان

" يعقد رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمراً صحفياً مباشرة بعد انتهاء الجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي في الخرطوم " .

كان هذا هو الإعلان الذي ظهر بصورة بارزة في فندق جراند اوتيل في الخروم .. ولم يكد ينتهي مؤتمر القمة من جلسته الختامية حتى تقاطر الصحفيون العرب والأجانب إلى الفندق ليستمعوا ما سيقوله رئيس منظمة التحرير في مؤتمره الصحفي ...

وفي بداية المؤتمر قرأت بياناً موجزاً أعلنت فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية قد انسحبت من مؤتمر القمة " لأنها لا تستطيع أن تشارك في تحمل مسؤولية الاتجاه العام الذي سار عليه الملوك والرؤساء في معالجتهم لموضوع إزالة آثار العدوان... ذلك أن اجتماعهم لم يضع خطة عربية شاملة، عسكرية واقتصادية وسياسية، لمعالجة الموقف .. ولم يلتفت إلى توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبنترول العرب، مكثفياً بتقديم معونات اقتصادية للدول التي وقع عليها العدوان، والتركيز على الجهود السياسية .. بالإضافة إلى رفض

بعض المطالب الأساسية لمنظمة التحرير الفلسطينية فيما يتعلق بحل القضية الفلسطينية..".

واستغرق المؤتمر الصحفي قرابة ساعتين، والصحفيون الأجانب، بصورة خاصة، يحاورون ويسألون، وأنا أجيبهم كما أريد لا كما يريدون ... وفي نهاية المؤتمر قلت لهم مازحاً : لا تتسوا أن تذكروا أنني انسحبت من مؤتمر الخرطوم لسبب هام جداً.

قالوا : ما هو هذا السبب الهام..

قلت : لقد طلبت من الملوك والرؤساء أن يوافقوا على إلقاء اليهود

بالبحر، ولكنهم رفضوا! ...

وانصرف الصحفيون وممثلو وكالات الأنباء إلى الآلات الكاتبة ليكتبوا برقياتهم ورسائلهم إلى صحفهم .. وهم يتندرون على موضوع إلقاء اليهود في البحر ..

وانصرفت أنا بدوري إلى شرفة الفندق استنشقت الهواء العليل وأنا أحس أنني ملكة حريتي وخلعت عن عنقي ثلاثة عشر جبلاً كانت تشدني إلى ثلاثة عشر ملكاً ورئيساً، كل منهم يريد النضال الفلسطيني أن يكون على مزاجه وهواه !!

وأقبل عليّ عدد من الوزراء والسفراء، وكانوا قد انتهوا لتوهم من الاجتماع الختامي لمؤتمر القمة، فجلسنا معاً، وكان أكثرهم وداً لي وزراء تونس والسعودية والمغرب والأردن... وراحوا يراجعون الحساب الختامي لما انتهى إليه مؤتمر الخرطوم.

وقالوا : لقد كشفت مناقشات المؤتمر أن الأخ الشقيري ليس عميلاً لعبد

الناصر .. والله يا أخي نحن ظلمناك، لا تؤاخذنا..

قلت : وكيف ذلك؟؟

قالوا : الرئيس عبد الناصر قالها أكثر من مرة إثناء المناقشات .. " أنا
أختلف مع الشقيري.."

وأحسست أنهم يريدون التعريض بالرئيس عبد الناصر، وقلت: الرئيس
عبد الناصر شخصية ضخمة وإنه ليشرفني أن يقول إنه يختلف معي .. هذه
هي صالة النضال .. اختلاف في الاجتهاد القومي، وخاصة في الأيام
السوداء..

قالوا : الحقيقة، أنا كنا مستعربين أنك كنت تبدي آراء مخالفة للرئيس
عبد الناصر .. وفي كثير من الأمور كان رأيك هو الأصوب .. ولماذا لا تعلن
ذلك في مؤتمر صحفي ..

قلت : وأنتم لماذا لم تخالفوا الرئيس عبد الناصر في هذه الآراء، ما
دمتم ترونها على صواب؟؟

ثم تناول الحديث جوانب أخرى عن مؤتمر القمة، تزيد المرء يقيناً أن
الحكم العربي لا يحمل من الأمة العربية إلا اسمها..

وغادرت الخرطوم في اليوم الثاني إلى القاهرة لأقرأ في صحف الصباح
أضخم العناوين عن قرارات مؤتمر القمة ونجاحه العظيم الفخيم .. وتعليقات
الملوك والرؤساء ، بما يوحي للمواطن العربي أنها لبضعة أسابيع، أو بضعة
أشهر على الأكثر، وستجلو القوات الإسرائيلية عن الأراضي العربية ويعود
الأمر إلى ما كان، وكأن شيئاً ما كان .. وفي زاوية مطمورة مغمورة، رأيت في
الصحف خبراً يقول بأن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قد انسحب من
الاجتماع .. ولم تذكر الأسباب..

وكانت الصحف في تلك الأيام تحت الرقابة .. ولم يكن ينشر فيها إلا التمجيد بمؤتمر الخرطوم، وأنه سيدحر إسرائيل، وسيخرج الزير من البير ... والواقع أن هذه الرقابة لم تكن حماية للعمل الوطني أن تتسرب إخباره إلى العدو، ولكنها كانت حماية للحكم العربي من السقوط .. وذلك أن هذه النكبة العربية الكبرى كانت كافية لإسقاط الحكم العربي بأسره، بملكياته وجمهورياته، لو كان المجتمع العربي يعيش في ظل الحريات العامة..

وحتى لبنان، واحة الحرية في الوطن العربي، كانت صحفه مدعاة للتفكير، فقد كانت عناوين الصحف مقطعة، تماماً مثل تسليمة الكلمات المتقطعة .. فتقرأ العنوان : لا خلافات بين .. الخرطوم بشأن .. العسكري .. " أو عنواناً ثانياً يقول .. " المؤتمر .. مقاطعة .. الأمريكية والبريطانية .. " أو عنواناً ثالثاً يقول : الأرصدة العربية ... المصارف الأجنبية ..".

وكانت بعض الصحف، في بيروت تترك " عموداً " أبيض بكامله، في الصفحة الأولى . لتعرب للقارئ العربي عن سخطها على الرقابة .. وهو نوع من الاحتجاج الصارخ الصامت .. لا تملكه الصحف العربية في العواصم العربية الأخرى !!

وقد وقعت إذاعة التحرير في القاهرة تحت الرقابة ... وكنا إلى ذلك الوقت، أحراراً فيما نذيع .. وأصبحت برامجنا تخضع لمراجعة اثنين من رجال المراقبة، يقرآن ما تذيعه المنظمة قبل إذاعته، للتأكد بأنه ليس فيه تعريض بالحكومات العربية، أو قرارات مؤتمر الخرطوم.

وحتى " النقد الذاتي " الذي كفله ميثاق التضامن العربي فقد أصبح حراماً في الإذاعات والصحف العربية، وهرب المواطن العربي إلى إذاعات

إسرائيل ولندن وواشنطن ليسمع الأخبار، محتملاً إزعاج التشويش .. فالتشويش
أهون من التجهيل !!

ولذلك فقد ظل موضوع انسحابي من مؤتمر القمة، بأسبابه وظروفه
بعيداً عن انتباه المواطن العربي، ولم تستطع إذاعة المنظمة أن تخاطب الشعب
اللسطيني والجماهير العربية، لتشرح ما انتهى إليه مؤتمر القمة من نتيجة
هزيلة، على حين كانت وسائل الإعلام العربي تتحدث عن إنجازات المؤتمر
العظمى، وأن المستقبل القريب كفيلاً بالكشف عنها!!

ومن ذلك أن الإذاعات العربية كانت تتحدث عن قرارات الملوك
والرؤساء بفرح وحبور، كأنما تم تحرير بيت المقدس، فقد أذاع راديو جدة أن
الحكومة السعودية قررت استئناف ضخ البترول إلى جميع الدول بناء على
قرارات مؤتمر القمة .. وأنه فور وصول ناقلات البترول الغربية إلى مرافئ
الخليج فإنها ستشحن بالبترول بأسرع ما يمكن، وأن الوضع كله سيعود إلى ما
كان عليه قبل الخامس من حزيران (يونيو) (1967/9/2) .. وكانت هذه
البشرى في اليوم الثاني من انتهاء المؤتمر!!

والواقع أن إذاعة جدة، كانت تتطلع إلى مؤتمر القمة في الخرطوم،
وقبل شهر من انعقاده لكي يقرر إن المشكلة الأساسية هي " احتلال مصر
لليمن" لا احتلال إسرائيل لبيت المقدس.. فقد أذاعت تعليقاً مطولاً دعت فيه إلى
إنهاء الاحتلال المصري لليمن، وضرورة " جلاء القوات المصرية عن أرض
اليمن لتمكين الشعب اليمني من تقرير مصيره بنفسه بحرية كاملة "
(1967/8/27).

أما الملك حسين فإنه لم يكتف بالدعاية لمؤتمر القمة وأن قراره بشأن
البترول صحيح، فقد أدلى بتصريح لوكالة الأنباء الأردنية شجب فيه العمل

الفدائي لأنه " يعطي العدو حجة ليقوم بمزيد من البطش والإرهاب في الضفة الغربية " (1967/9/4).

إلى جانب أجهزة الإعلام العربية، فقد انطلقت الأوساط الغربية، رسمية وغير رسمية، تقود حملة كبرى، تظهر فيها ابتهاجها للنتائج الباهرة التي توصل إليها الملوك والرؤساء...

ومن ذلك إن جريدة الجارديان البريطانية قد أكدت أن استئناف ضخ النفط " سينفي احتمال اللجوء إلى التقنين في بريطانيا وأنه سيؤدي إلى استغناء بريطانيا عن نفط فنزويلا الذي يكلفنا ثمناً غالياً ". (1967/6/2).

وعبرت جريدة الصندي تايمس عن تقديرها البالغ " للواقعية البناءة التي انتصرت في المؤتمر "... وعلقت جريدة النيويورك تايمز بقولها : " إن مؤتمر القمة في الخرطوم يمثل أكثر مؤتمرات القمة واقعية، وقد وصل الأمر بالقادة العرب إلى اتخاذ خطوة متواضعة نحو السلام في الشرق الأوسط، فقد اقترح العرب للمرة الأولى حلاً سياسياً لنزاعهم مع إسرائيل .. وأنه من غير الواقعي أن نتوقع من العرب مرونة أكثر من التي أبدوها .. " (1967/9/3).

وذهبت مجلة نيوزويك الأمريكية إلى أبعد من ذلك، فقد نشرت مقالاً مسهباً عرضت فيه الموقف العربي بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط على ضوء نتائج مؤتمر الخرطوم فذكرت أن الموقف العربي في مؤتمر الخرطوم " كان متميزاً بالاعتدال والدعوة إلى الوفاق بين العرب والواقعية حيال إسرائيل .. وأن مقررات المؤتمر ستكون بادرة لمواجهة الحقيقة التي يجب في النهاية أن ترغم العرب على العدول عن المواقف التي كانوا يتمسكون بها .. " (1967/9/11).

وليس لنا أن نلوم المجلة الأمريكية فيما ذهبت إليه فإن اللوم كل اللوم يقع على الملوك والرؤساء الذين أعطوا الرأي العام الدولي ذلك الانطباع. بتصريحاتهم وقراراتهم.

ولكن الفرحة الكبرى التي جاءت في أعقاب مؤتمر القمة تجلت عند شركات البترول، فقد كان قرار مؤتمر الخرطوم باستئناف ضخ البترول بمثابة عرس بهيج لدى ملوك البترول في العالم، فقد علق ناطق بلسان شركة البترول البريطانية بقوله : " إن هذا القرار خطوة كبرى في الاتجاه الصحيح "... وأعلن متحدث باسم شركة شل، بقوله : " إننا نرحب بهذا القرار أجمل ترحيب ". وأعلنت مصادر صناعة النفط الأمريكية " أن هذه الخطة العربية ظاهرة حسنة ". وفي ألمانيا الغربية أعلنت المصادر المسؤولة " ترحيبها وسرورها بالقرار العربي باستئناف ضخ البترول ... فإن ذلك سيؤدي إلى تحسن واردات ألمانيا من البترول بعد أن ارتفعت أسعاره بنسبة 10 في المائة نتيجة للمقاطعة العربية ...". (1967/9/1).

ونقلت وكالة رويتر للأخبار عن مسئولين في وزارة الداخلية الأمريكية قولهم " إن أزمة البترول التي نجمت عن الحرب في الشرق الأوسط قد انحدرت عن ذروتها " (1967/9/6).

وكانت هذه الأفراح والليالي الملاح التي صنعها الملوك والرؤساء العرب للشركات البترولية الاحتكارية العالمية، تماماً في اليوم الذي صدر فيه قرار استئناف ضخ البترول ... "وانضحَّ" معه المصير العربي والكرامة العربية ...

ولم يكن الصعيد الرسمي أقل ابتهاجاً من الصعيد الصحفي بمؤتمر القمة " والنتائج الإيجابية " التي توصل إليها، فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكية

دين راسك في مؤتمر صحفي، أنه " لمس اعتدالاً في مؤتمر القمة، وأنه يعتقد بوجه عام أن ثمة دلائل مشجعة ..".

ولكن هذا " الاعتدال " العربي لم يقابله اعتدال أمريكي فقد واصل الوزير الأمريكي حديثه قائلاً : " إن موقف الولايات المتحدة لا يزال كما أعلنه الرئيس الأمريكي ليندن جونسون في حزيران (يونيو) الماضي على أساس النقاط الخمسة المعروفة وأن الذين يعيشون في المنطقة يتحملون، قبل أي كان، مسئولية العثور على حل المشاكل..". (1967/9/8) ومعنى هذا الكلام أن الأمر منوط بالنيابة بما توافق عليه إسرائيل .. ومعنى ذلك أيضاً أن إيجابية مؤتمر القمة لم تثمر شيئاً ..

كان ذلك موقف الخارجية الأمريكية، أما البيت الأبيض، والدبلوماسيون الأمريكيون يحاولون دوماً أن يُميّزوا بينهما، فقد وضح في تصريح أدلى به والت روستو مستشار الرئيس الأمريكي إلى وكالة يونايتد برس (1967/9/9) أعلن فيه : " أن الولايات المتحدة مرتاحة لروح الاعتدال المتزايدة، وللتفكير العلمي الذي يتزايد في الشرق الأوسط بصدد حل النزاع العربي الإسرائيلي ". ولم يكن هذا الموقف أكثر من شهادة حسن سلوك للدولة العربية، تستحق عليه التقدير والثناء، وفي ذلك كفاية فإنه باقية أزهار لا سلة ثمار !!

كان ذلك هو رد الفعل الذي تركه مؤتمر الخرطوم عند الدوائر الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة .. أما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فقد كان موقفه معروفاً حتى قبل انعقاد مؤتمر القمة، فقد نشرت جريدة برافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي مقالاً مطولاً ذكرت فيه أن " ثمة ميلاً كبيراً معيناً نحو الشوفينية الوطنية يسود العالم العربي .. فهناك زعماء عرب لا علاقة لهم بالحكومات العربية قد ألحقوا أذى بالشعوب العربية بخطبهم غير المدروسة ..

وأن وجهة النظر الرسمية العربية لا علاقة لها بالنداءات الهستيرية التي يطلقها الصائحون ويدعون فيها إلى القضاء على إسرائي ل ... إن مشكلة الشرق الأوسط ليست ناجمة عن صراع قومي بين العرب واليهود، فإن السبب الحقيقي هو العدوان الإسرائيلي " (1967/8/3).

ولم تكثف جريدة برافدا بأنها تريد أن تعلم القمة العربية ماهية الصراع مع إسرائيل، وأن ترى في تحرير فلسطين عملاً هستيرياً، ولكنها راحت في مقال آخر تدل قادة العرب على الطريق لإزالة آثار العدوان، فقد نشرت مقالاً آخر بعد ذلك بثلاثة أيام قالت فيه " إن الوسائل السياسية يجب أن تصبح أهم سلاح لإخراج القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة .. وأن أزمة الشرق الأوسط قد زادت نفوذ الطبقات الكادحة في البلدان العربية .. " (1967/8/6). وقد تساءلت وأنا أقرأ هذا المقال الغريب .. هل نحن الآن بصدد " نفوذ " الطبقات الكادحة أم بصدد " وطن الطبقات الكادحة!!

كان ذلك هو موقف السياسة السوفيتية قبل انعقاد مؤتمر القمة، توكيداً على الطريق السياسي .. وتعزز هذا الموقف بعد المؤتمر، فقد قالت جريدة برافدا إن " مؤتمر الخرطوم لقي ترحيباً حاراً في الرأي العام التقدمي ومن أصدقاء الشعوب العربية الذين يؤيدونها في حقوقها الشرعي ومصالحها الحيوية". كما أعلنت جريدة ازفستيا ضخ البترول إلى الدول الغربية .. وأن مقررات المؤتمر " ذات طابع إيجابي " (1967/9/4). وبذلك لقيت الشركات الإمبريالية العالمية الاحتكارية تأييداً لطيفاً من الدول الاشتراكية اللينينية الماركسية !!

وكائنة ما كانت ردود الفعل الأجنبية، فقد شاعت الأقدار أن لا يكون الوقت بعيداً لاختبار مؤتمر القمة .. " وامتحان " سياسته الإيجابية ومساغفه السلمية .. ولم يمض شهران إلا وقد ظهرت نتائج الامتحان .. وإن كانت النتائج يعرفها الراسخون في العلم من غير اختبار وامتحان.

وما أن غادر الملوك والرؤساء الخرطوم إلى عواصمهم حتى بدأوا حملة واسعة عن طريق وزارات الخارجية والسفارات العربية في إرجاء العالم ، تركز على ضرورة حل أزمة الشرق الأوسط بالطرق السلمية، وأن الدول العربية منفتحة على حل واقعي معقول ..

وبدأت الحملة العربية تمهد الطريق أمام الحل السلمي، وتغري الدول الغربية بالعمل على إنجازها، ومن هذه الاغراءات مقال للسيد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، بعد أسبوع واحد من مؤتمر الخرطوم، نشره في جريدة الصندي تايمس البريطانية جاء فيه " أنه يرى أن الوقت قد حان لإجراء حوار حقيقي بين بريطانيا والجمهورية العربية المتحدة، وأنه يجب أن نعترف إن لبريطانيا مصالح مشروعة في الشرق الأوسط .."

(1967/9/10). وقد كانت بريطانيا قبل أسبوع واحد فقط إحدى دول العدوان، وأصبح لها بعد قمة الخرطوم " مصالح مشروعة في الشرق الأوسط".

وفي نطاق هذه الحملة نشرت جريدة الأهرام، باعتزاز وتفاخر، خبرا يقول : " إن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية قام أخيراً باتصال مع ليندن جونسون الرئيس الأمريكي بناء على تكليف من مؤتمر القمة العربي في الخرطوم وذلك لشرح وجهة النظر العربية في أزمة الشرق الأوسط .."

(1967/9/14) . وقد فات الأهرام والملك فيصل معاً أن وجهة النظر العربية معروفة لدى البيت الأبيض منذ الاجتماعات التاريخية التي جرت بين الملك

عبد العزيز آل سعود والرئيس الأمريكي روزفلت في أواسط الأربعينات .. (1) وأن المطلوب من الملك فيصل في هذه المرحلة أن يخاطب الولايات المتحدة عن طريق مصالحها في المملكة العربية السعودية .. ولا طريق سواه.

أما الرئي س التونسي الحبيب بورقيبة، وهو صاحب الآراء الفريدة بشأن القضية الفلسطينية، فقد عالج الحل السلمي من زاوية أدعى إلى التسلية .. فقد قال في مقابلة أجرتها معه الإذاعة الفرنسية بشأن أزمة الشرق الأوسط " أن على الدول العربية قبول قرار الأمم المتحدة لعام 1947. وأن إسرائيل سترفض هذا الاقتراح، وحينئذ إذا أردنا أن نخوض الحرب فسنخوضها ومعنا قرار الأمم المتحدة بينما تكون إسرائيل ضد قرار الأمم المتحدة .." (1967/9/15). ونحمد الله أن الرئيس بورقيبة لم يتبع مثل هذه الخطة بالنسبة للكفاح التونسي، فقد خاض الشعب التونسي معارك بأسلة ضد الاحتلال الفرنسي ولم يكن معه قرار من الأمم المتحدة .. وكل ما كان معه هو إيمانه المطلق بالحرية، وتعلقه الرفيع بالتراب التونسي.

وانطلق الملك حسين في جولته المرتقبة .. الجولة التي قال عنها في مؤتمر القمة في الخرطوم بأنه ستكون تحت راية الاعتدال والإيجابية المعقولة، وباسم الملوك والرؤساء .. وعزم على السفر إلى موسكو.

ومهدّ الملك حسين لسفره بحديث لهيئة التلفزيون البريطانية قال فيه " إن تشجيع أعمال التخريب (الأعمال الفدائية) لم يكن من سياستنا أبداً، سواءً في الماضي أو الحاضر، وأن على الدول العظمى التزامات أدبية بوجوب تحقيق تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط، وأنه وجد أكثرية من زعماء العرب تؤيد انتهاج خط الاعتدال ". (1967/10/2) . والملك حسين لم يكن في حاجة

(1) راجع : أحمد الشقيري، أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية.

إلى هذا الحديث، فما أن وصل إلى موسكو حتى استقبله السيد نيقولاي بودجورني، وأكد له على مآدبة العشاء التي أقيمت على شرفه " إن الاتحاد السوفيتي يقف إلى جانب العرب ضد العدوان الإسرائيلي وضرورة الوصول إلى تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط ."

ولم يكن المجال متاحاً بصورة كاملة أمام الملك حسين أن يتحدث طويلاً في موسكو .. فإن حملاته على الاتحاد السوفيتي لم تكن بعيدة العهد، والاتحاد السوفيتي نفسه قد انفتح حديثاً على الملوك، وليس عهده بعيداً بالحملة على الملك حسين بأنه رجعي وعميل للاستعمار البريطاني سابقاً، والأمريكي لاحقاً !!

ولكن مجال الملك حسين كان في الولايات المتحدة : فما أن وصل إلى نيويورك حتى تلقفته أجهزة الأعلام الأمريكية .. فأعلن في أول مقابلة تلفزيونية " أنه سيعرض على المسؤولين الأمريكيين ن موقفاً عربياً معقولاً، وأن العرب مستعدون للاعتراف بإسرائيل وبحق إسرائيل في استعمال قناة السويس ومضايق تيران إذا ما حصلوا على شروط مناسبة ... وأنه يعتقد أن الرئيس جمال عبد الناصر سيمنح إسرائيل الحق في استخدام قناة السويس ومضايق تيران في خليج العقبة إذا ما تحققت لذلك الظروف المناسبة .." (1967/11/15) وأنها لنكبة أن يتحدث الملك حسين باسم الرئيس عبد الناصر !!

وفي اليوم الثاني وصل الملك حسين إلى واشنطن واجتمع بوزير الخارجية الأمريكي دين راسك اجتماعاً مطولاً صرح على أثره، أن الدول العربية مستعدة للقيام بتنازلات مهمة في سبيل الوصول إلى حل عادل ودائم لأزمة الشرق الأوسط .. وأن العرب على استعداد لإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف بحقها في العيش بسلام وأمن، والسماح لها بالمرور في قناة السويس

وخليج العقبة .. وأن الموقف العربي منطقي للغاية .. وأنه على اتصال مع الرئيس جمال عبد الناصر، وان وجهتي النظر الأردنية والمصرية متقاربتان تماما .. وأن الصياغة التي توضع بها قضية الاعتراف بإسرائيل صياغة خاطئة فإن على العالم أن يسأل إسرائيل: " هل تعترف بحق العرب في الوجود .." (1967/11/16). واهتزت الخرطوم إلى منابع النيل، والملك حسين يتحدث ويطالب باسم مؤتمر الخرطوم أن تعترف إسرائيل بحق العرب في الحياة!!

وفي نادي الصحافة في واشنطن، ألقى الملك حسين خطاباً أعلن فيه أن هناك دلائل مشجعة للعثور على طريقة لإنهاء المأزق العربي الإسرائيلي، وأن العرب يتبنون اتجاهها جديداً إيجابياً نحو سلام دائم في الشرق الأوسط .. وأن العرب متلهفون على بذل أقصى الجهود في سبيل الوصول إلى تسوية عادلة ودائمة، وأنه لا يتكلم باسم الأردن وحده وإنما باسم الأمة العربية .. وأن اتهام العرب لأمريكا وبريطانيا بمساعدة إسرائيل خلال الحرب كان خطأ يؤسف له .

وانه في حالة نشوب الحرب مرة أخرى فلن يضع الجيش الأردني تحت إمرة ضابط مصري وأنه دخل الحرب رغماً عن إرادته " .. (1967/11/7). والأمة العربية تسمع هذا الكلام وهي تنادي : وحسب المنايا أن يكن أمانيا!!

واستقبل الرئيس الأمريكي لندون جونسون الملك حسين .. وطبيعي أنه سمع من الملك الأردني حديثاً أدنى بكثير من أحاديثه العلنية، ومع هذا فقد صرح الناطق بلسان البيت الأبيض أن الملك حسين موجود للبحث في العناصر الأساسية لموقفنا وموقفه وكيفية تحقيق سلام في الشرق الأوسط وأنه لن يصدر بيان رسمي من البيت الأبيض عن زيارة الملك للولايات المتحدة..."(1967/11/9).

وطار الملك حسين بعد ذلك إلى باريس ومنها إلى لندن، وقال فيها ما قال في الولايات المتحدة .. وعاد إلى عمان بعد رحلة استمرت ستة أسابيع عرض خلالها الخط " الإيجابي المعقول "، لنرى ماذا أثمرت جهوده وجهود غيره من قادة العرب الذين وضعوا منهج الحل السلمي في مؤتمر الخرطوم.. وكان ميدان التجربة الرئيسي في الأمم المتحدة .. فقد انعقدت الدورة العادية التي تعلق عليها كل آمال الملوك والرؤساء في الخرطوم.

ومن المفجع حقاً، أن المستر يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة، كان أرحم بالقضية العربية من قادة العرب أنفسهم، فقد تضمن تقريره الذي قدمه إلى الجمعية العامة بشأن الشرق الأوسط ستة مبادئ أساسية، من جملها، عدم قبول احتلال دولة بالقوة العسكرية أراضي دولة أخرى، وأن للاجئين الفلسطينيين العرب حقاً طبيعياً في أن يكونوا في وطنهم وأن يكون لهم مستقبلهم، وأن الأمم المتحدة لا تستطيع أن تتساهل بمبدأ عدم الاعتراف بالمكاسب الناتجة عن احتلال الأراضي ثم أشار في تقريره إلى أن حوالي 350 ألف شخص هربوا خلال الحرب وبعدها (حتى أول أيلول سبتمبر) من المناطق التي تحتلها إسرائيل .. وأن القنطرة قد بقي من سكانها حوالي 200 شخص وكان عدده يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين ألفاً .. ولم يكن للجهد العربي فضل في النواحي الإيجابية لهذا التقرير، ولكنه كان جهداً شخصياً للسيد يوثانت الذي تعرف على القضية الفلسطينية منذ كان مندوباً دائماً لبلاده في الأمم المتحدة.

ولكن الخطب في الجمعية العامة كانت في اتجاه آخر، ولم تبال بمؤتمر الخرطوم ولا بالسياسة " الإيجابية العاقلة الواقعية " التي أعلنها للعالم الملك حسين وغيره من قادة العرب .

وبدأت ترد على مكتب المنظمة محاضر الجمعية العامة ومنها خطب الوفود .. وبدأت أقرأ .. ولم يكن غرباً ما قرأت .. ولعله بدا غرباً للملوك والرؤساء إذا كانوا قد قرأوا .. فد جاء البرهان تلو البرهان .. إن " واقعية " مؤتمر الخرطوم لم تأت بأية نتيجة، ولن ..

فهذا رئيس الوفد الأمريكي جولد برج يعلن من منبر الأمم المتحدة أنه " يجب نبذ حالة الحرب بين العرب وإسرائيل .. وأن سحب القوات المسلحة يجب أن يكون في إطار السلام، وأن مشكلة اللاجئين يجب الاهتمام بها من قبل جميع دول المنطقة، وأنه يجب ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية، وأن .. وأن .." إلى آخر العبارات الإسرائيلية العبرية، مكتوبة باللغة الأمريكية !! وهذا (جنس كراج) رئيس حكومة الدانمارك ووزير خارجيتها، يسير في فلك الحلول الأمريكية مع التركيز على أن أطراف النزاع يجب أن يصلوا إلى اتفاق لحل مشاكلهم بأنفسهم.

وتحدث وزير خارجية السويد في الاتجاه نفسه مشدداً على حق كل دولة في المنطقة بان تعيش بأمن وسلام.

وخطب وزير خارجية اليابان داعياً إلى مفاوضات بين الدول العربية والحكومة الإسرائيلية عن طريق وساطة من قبل فريق ثالث ...

وألقي اندريه جروميكو كلمة مسهبة كرر فيها مطالبه التي قدمها إلى الجمعية العامة في دورتها الطارئة قبل شهرين .. وأنه يجب فرض عقوبات على إسرائيل إذا تخلفت عن تنفيذ القرارات الخاصة بالقدس.

وخطب الوزير الإسرائيلي ايبان فأعلن رفض إسرائيل القاطع للعودة إلى الوضع الذي كان في 5 حزيران يونيو وأن التاريخ يدعو للسير إلى الأمام لا إلى الخلف " وأن إسرائيل تصر على التفاوض من أجل عقد معاهدات تحل

محل وقف إطلاق النار، وأن الوزير السوفيتي جروميكو قد عرض البضاعة نفسها التي عرضها في الدورة الطارئة، ورفضتها الجمعية العامة... وتحدث وزير الخارجية البريطانية جورج براون معرباً عن أسفه أنه انقضت ثلاثة أشهر على الحرب العربية الإسرائيلية دون أن تجد الأمم المتحدة حلاً، وأنه لا يمكن التوصل إلى حل دائم لمشكلة الشرق الأوسط إلا من خلال الأمم المتحدة.

ودعا الأمين العام للأمم المتحدة المستر يوثانت إلى وليمة عشاء وزراء الدول العظمى الأربع، الأمريكي دين راسك، والبريطاني جورج براون، والفرنسي كوف دي مورفيل، والسوفيتي اندريه جروميك، وبحثوا على مائدة الطعام قضية الشرق الأوسط، وشبعوا طعاماً وكلاماً على غير جدوى.

وخطب بول مارتن وزير خارجية كنده وأكد أن انسحاب القوات الإسرائيلية يجب أن يقرن بحل المسائل السياسية الأخرى، وإنهاء حالة الحرب، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود والأمن، والمرور البريء في قناة السويس وخليج العقبة، وحل مشكلة اللاجئين بالتوطين أو التعويض.

وألقى وزير خارجية فرنسا كوف دي مورفيل خطاباً أعلن فيه أنه رغباً عن أن مؤتمر الخرطوم قد أقر الحل السياسي فإن الأمم المتحدة يجب أن تقوم بدور أساسي في الوصول إلى تسوية سلمية للنزاع العربي الإسرائيلي.

وهكذا تكلم ما يزيد على مائة وزير خارجية باسم حكوماتهم يعربون عن وجهة نظر بلادهم فيما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط، وهم ما بين مؤيد للموقف العربي، ومؤيد لإسرائيل، أو مذبذب بيننا وبين إسرائيل، يخطب معنا، ثم يصوت مع إسرائيل، أو يستنكف عن التصويت، أو يكون في كافتيري الأمم

المتحدة حين تتم عملية التصويت.. فأن جلسته على كأس من الشراب مع إحدى الغانيات اللعوبات أجدى من الشرق الأوسط وما فيه من مقدسات !!. ولم تتخلف الوفود العربية في تلك الدورة عن عرض البضاعة العربية الجديدة التي صنعها مؤتمر الخرطوم " بالإيجابية والمعقولة والواقعية"، فقد كانت خطب وزراء الخارجية العرب تشدد على السياسة العربية الجديدة .. والأمثال كثيرة..

فالوزير اللبناني الدكتور جورج حكيم، أدلى بتصريح لدى وصوله إلى نيويورك لحضور اجتماعات الأمم المتحدة قال فيه: إن الدول العربية اختارت طريق الاعتدال، وأعطت الأفضلية للعمل السياسي، وإن أمام الأمم المتحدة فرصة أفضل لحل مشكلة الشرق الأوسط.

وأعلن الوزير التونسي الحبيب بورقيبة الابن، أن أي حل لأزمة الشرق الأوسط يجب أن يأخذ بعين الاعتبار وقائع العصر، وأن تونس تفهم القلق الذي يساور البعض لإقناعهم بعدم العودة إلى خطوط ما قبل الخامس من حزيران (يونيو) وكان خطاب الوزير الولد، أهون شراً من حديث الرئيس الوالد الحبيب بورقيبة، الذي أدلى به إلى مجلة شترن الألمانية، وأعلن فيه أنه " مستعد للتوسط بين العرب وإسرائيل " .. كأنه ليس فريقاً في هذه القضية..

وتكلم الوزراء العرب الآخرون حول هذه المعاني، وعباراتهم تنم عن الواقعية والإيجابية والتسوية السلمية ..

وانتهت خطب الخطباء، ودبلوماسية الوزراء، وجاء دور تقديم مشروعات القرارات، فإن كل قضية لا بد أن تنتهي إلى قرار يصدر عن الأمم المتحدة ، يكون بمثابة حكم تنطق به المنظمة الدولية – حكم ولكنه على الورق، ومن شاء رضي ومن شاء رفض .. فهذه هي الأمم المتحدة !!

ومشروع القرار الوحيد الذي عرض على الجمعية العامة كان المشروع البرازيلي، ونص على تسوية أزمة الشرق الوسط وفق المبادئ التي أعلنتها الولايات المتحدة.

ورأى الوزراء العرب بأم أعينهم ووالد أسماعهم أن الجمعية العامة لن تفعل لهم شيئاً وأن الآمال التي يسير بها ملوكهم ورؤسأؤهم في مؤتمر الخرطوم إنما هي سراب، وها قد مضت ثلاثة أسابيع من الجدل والحوار، في (1967/9/21) على غير طائل، فوجد أهل " الفتوى " في الأمم المتحدة حل يستر وجه الدول العربية، فأعلن رئيس الجمعية العامة " أنه بعد مشاورات ومداولات بين مختلف الوفود اتفق الرأي على تأجيل اجتماعات الجمعية العامة إلى أجل غير مسمى..!

وهكذا سجل تاريخ الأمم المتحدة الصفحة الأولى للملوك والرؤساء العرب .. وانصرفت الجهود، بعد ذلك إلى مجلس الأمن، لعله يجد لنا من أمرنا مخرجا .. ومجلس الأمن هو الهيئة التنفيذية للأمم المتحدة، كما ينص الميثاق على الأوراق ..

وبدأت قصة جديدة في مجلس الأمن، أشبه ما تكون بالدراما، ذات فصول، وأبطال، ومسرح، ودهاليز وراء الكواليس .. وأنا أناشد المواطن العربي أن يصبر معي بعض الوقت حتى نتابع مجلس الأمن في إجراءاته إلى النهاية، فقد أصدر القرار المشؤوم رقم (242) تحت وطأة المساومات والمؤامرات .. وفرضت أجهزة الإعلام العربي ستاراً من التعنيم على مداولات مجلس الأمن .. ولم تنتشر منها إلا ما خدع الجماهير العربية .. وها هي المحاضر أمامي ..

تساور أعضاء مجلس الأمن فيما بينهم للاتفاق على إرسال وسيط دولي إلى الشرق الأوسط.. ولكن إسرائيل أصرت على إجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين الدول العربية .. وقد تقدمت الدانمرك بمسودة قرار تقترح فيه " سحب القوات الإسرائيلية إلى حدود آمنة.. " ولكن إسرائيل أصرت أن تكون العبارة " حدود آمنة ومتفق عليها " (1967/10/26)، وواضح أن العبارة في مجموعها تعني أن إسرائيل تنسحب إلى حدود آمنة ومتفق عليها، والاتفاق بالضرورة، هو بين إسرائيل والدول العربية .. وهذا هو مربط الفرس كما يقول العامة، أو بيت القصيد كما يقول المثقفون .

وتقدم الوفد الهندي بمشروع معتدل أقرب ما يكون إلى وجهة النظر العربية، وتألقت لجنة من الأعضاء العشرة غير الدائمين في مجلس الأمن للتوفيق بين المشروعين الدانماركي والهندي، ولكن الضغوط التي قام بها الوفد الأمريكي قد حالت دون نجاح هذه المحاولة (1967/10/28)!.
وتقدمت بعض الدول الأفريقية والآسيوية واللاتينية بمسودة قرار، كما تقدمت كندا والدانمارك بمسودة قرار آخر .. وتألقت لجنة ثلاثية من مندوبي الهند والأرجنتين والدانمارك للتوفيق بين المشروعين الجديدين، ولكن المحاولة قد باءت بالفشل لأن أمريكا واصلت ضغوطها المعروفة (1967/11/2).
ولم يكن أمام رئيس مجلي الأمن، ممثل مالي، إلا أن يعلن أنه، نتيجة لفشل جميع المحاولات التي بذلت من قبل الأعضاء العشرة، واللجنة الثلاثية، أصبح لا بد من أن تقوم الدول الأربع الكبرى بمسئولياتها، وعليها أن تتشاور فيما بينها وتصل إلى اتفاق (1967/11/13).

وعقد مجلس الأمن جلسة مستعجلة بناء على طلب من وفد الجمهورية العربية، لتحريك القضية، وتقدمت الهند ومالي ونيجيريا بمشروع قرار يتفق إلى

حد بعيد مع وجهة النظر العربية فتقدم الوفد الأمريكي بمشروع قرار مضاد،
يؤيد وجهة النظر الإسرائيلية، ولم يستطع المجلس أن يصل إلى نتيجة
(1967/11/7).

وعقد مجلس الأمن جلسة مستعجلة أخرى بنا ء على طلب وفد
الجمهورية العربية المتحدة، واستمرت طيلة الليل إلى الصبا ح، والح السيد
محمود رياض وزير خارجية جمهورية العربية المتحدة على المجلس س أن يتخذ
قراراً بعد أن مضت " خمسة أشهر على الاحتلال الإسرائيلي" .. وأيده في طلبه
مندوبو الهند ونيجيريا والاتحاد السوفيتي .. وتحدث بعدهم المندوبون
الآخرون، كل منهم يعالج القضية من زاويته .. كأنما أصبح الوطن العربي سلعة
" بايظه " يسومها كل مفلس .. (1967/11/9).

واستأنف مجلس الامن اجتماعاته، في الأسبوع التالي، واستمع إلى
الوزير الإسرائيلي وهو يعلن " أن إسرائيل لا تتعاون مع أي وسيط دولي يعينه
المجلس إلا إذا كانت صلاحياته تتفق مع سياساتنا وموقفنا من المفاوضات
المباشرة مع العرب .. وأن إسرائيل ستتحفظ على وقف إطلاق النار إلى أن
تحل محله معاهدات صلح ..". ورد عليه الوزير الأردني السيد عبد المنعم
الرفاعي مكرراً الموقف العربي بالانسحاب من غير قيد أو شرط، وتكلم بعد ذلك
مندوباً بلغاريا والهند ولم ينته المجلس إلى شيء، وتأجل الاجتماع يومين آخرين
(1967/11/13).

وانعقد مجلس الأمن في الموعد المحدد، وفي بداية الجلسة طلب
مندوب البرازيل رفع اسمه من قائمة المتكلمين ، وكان من المتوقع أن يتكلم
ليقدم مسودة قرار تشترك فيه البرازيل والأرجنتين، وأعلنا عدولهما عن تقديم
مشروعهما بناء على تعليمات من حكومتيهما وقد عرف فيما بعد أن البرازيل

والأجنتين قد اتخذتا هذا الموقف بعد أن تلقينا رسالة من رئيس إسرائيل زلمان شازار!! وتكلم في الجلسة السيد أديب الداودي رئيس الوفد السوري مكرراً الموقف العربي بصورة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، واشترك في المناقشة مندوبو أمريكا وروسيا وكندا، وطلب الوفد البريطاني تأجيل الجلسة 48 ساعة لمزيد من المشاورات الجانبية .. وتأجلت الجلسة. وأستأنف المجلس اجتماعه في المساء وظل منعقداً طوال الليل ..وتقدم اللورد كارادون بمشروع قرار وصفه " بأنه محاولة عادلة ومخلصة لحل النزاع .. " وتلا مشروع القرار بنصه الكامل .. وتحدث السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة مكرراً الموقف العربي أو رفضه .. وتكلم بعده الوفد الكندي فطلب تأجيل الاجتماع ع يوماً واحداً فكان ذلك (1967/11/16).

واجتمع مجلس الأمن ليلة أخرى، في الموعد المحدد، فطلب رئيس وفد بلغاريا تأجيل الجلسة يومين آخرين لمزيد من المشاورات والدراسات فوافق المجلس (1967/6/17).

واجتمع مجلس الأمن ليلة أخرى، في الموعد المحدد، وخطب الوفد الأمريكي مؤيداً " المشروع البريطاني ووصفه بأنه يفتح عهداً جديداً في الشرق الأوسط، وأعلن للمجلس أن الولايات المتحدة ستمارس نفوذها الدبلوماسي والسياسي لتأييد المشروع البريطاني لتحقيق تسوية عادلة ومتوازنة .. وطلب رئيس وفد بلغاريا تأجيل الجلسة يومين آخرين فوافق المجلس على ذلك (1967/11/20).

وجاءت الليلة الحالكة الحاسمة، فعقد مجلس الأمن جلسته، وكانت الأخيرة، فأعلنت وفود الهند ومالي ونيجيريا سحب مشروعهما المشترك، كما أعلن الوفد

الأمريكي سحب مشروعه، وذلك لإتاحة الفرص أمام المشروع البريطاني..
وطرح المشروع البريطاني للتصويت فتمت الموافقة عليه بالإجماع.
(1967/11/22).

وكرر الوفدان المصري والأردني مواقفهما السابقة ولم يقبلا ولم يرفضا
.. وكذلك فعل الوفد الإسرائيلي.

وتلح علي مذكراتي ولأسباب سأذكرها، أن أضع أمام المواطن العربي
النص الكامل للقرار البريطاني الذي أصبح قرار مجلس الأمن ويحمل رقم 242
تاريخ 22 تشرين الثاني نوفمبر 1967.

وهذا هو القرار :

" إن مجلس الأمن

- إذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الأوسط .

- ويؤكد عدم شرعية الاستيلاء على أراض عن طريق الحرب ، والحاجة

إلى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة .

ويؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم

المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقاً للمادة الثانية منه.

1 - يؤكد أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم

في الشرق الأوسط وهذا يقتضي تطبيق المبادئ التاليين :

أ - انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض احتلتها في النزاع

الأخير.

ب أن تنهي كل دولة حالة الحرب، وان تحترم وتقر

الاستقلال والسيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة

في المنطقة وحققها في أن تعيش في سلام في نطاق حدود

مأمونة ومعتترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد
بها.

2 ويؤكد أيضاً الحاجة إلى :

أ -ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في
المنطقة.

ب -تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج - ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي

عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

3 يطالب من السكرتير العام أن يعين ممثلاً خاصاً إلى الشرق

الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في
الجهود للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص
والمبادئ الواردة في القرار .

4 يطالب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود

المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن."

هذا هو القرار الشهير الذي أصدره مجلس الأمن، وكنت في ليلة

إصداره أتابع الإذاعة الأمريكية وهي تنقل نص القرار باللغة الإنجليزية، ثم

تعيد إذاعته من حين إلى حين، والخوف ينشب مخالفه في نفسي، والذين

يعرفون هم الذين يخافون.

وكتمت مخاوفي حتى الصباح إلى أن صدرت صحف القاهرة ..وأقبلت

على صحيفة" اجيبش جازيت" التي تصدر بالإنجليزية لأقرأ قرار مجلس الأمن،

فتحقت مخاوفي..

رأيت أن قرار مجلس الأمن قد أعطى .. هنا أتحدث بمنتهى الدقة
والتحديد، قد أعطى إسرائيل أكثر مما تريد، وأعطانا أقل ما نريد.
لقد أعطى لإسرائيل ما يأتي :

1 -إنهاء حالة الحرب.

2 -وأن نعترف لها بحدود آمنة متفق عليها.

3 -وأن نلتزم بحق إسرائيل أن تتحرر من أعمال القوة أو التهديد بها.

4 -وأن نضمن حرية الملاحة لإسرائيل في قناة السويس وخليج العقبة ..

وهذه هي كلها المطالب الأساسية التي تؤكد عليها إسرائي ل، وأية واحدة
منها هي تصفية كاملة للقضية الفلسطينية، وطناً وشعباً، وتصفية كاملة للصراع
العربي الإسرائيلي برمته.

وحتى كفاح الشعب الفلسطيني لن يكون له مجال في الوطن العربي،
بل إنه ليس لأية إذاعة عربية أن تصف إسرائيل بأنها " العدو " .. هذا هو قرار
مجلس الأمن.

وكل ما أعطاه قرار مجلس الأمن للأمم العربية .. أمران ..

الأول : الانسحاب .. ولكن لا من " الأراضي " ولكن من " أراضٍ "

يضاف إلى ذلك أنه انسحاب إلى حدود آمنة متفق عليها.

الثاني : تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .. وهذه عبارة يعرف رعاة الإبل

في الصحراء إنها لا تعني شيئاً وقد ثبت ذلك في العشرين سنة الماضية من

حياة الأمم المتحدة.

وموضوع " الأراضي " أو " أراضٍ " له حكاية لا بد أن نقف عندها بعض

الشيء .. لأن أجهزة الإعلام العربي قد حجبته عن الأمة العربية. بل وهذا هو

الأنكى، إن الصحافة العربية ، وهي صحافة الدولة في معظم الأقطار العربية،

قد نشرت القرار البريطاني بما يوحي أن مجلس الأمن قد طلب إلى إسرائيل " الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة " ، مع أن كلمة " جميع " وال التعريف غير واردة أصلاً في القرار البريطاني..

وخلاصة الحكاية إن اللورد كارادون حين قدم مشروعه إلى مجلس الأمن قد حرص أن تكون كلمة " أراضٍ " من غير آل " التعريف .. وقد ظن أصحاب النوايا الطيبة أن المر لا يعدو أن يكون خطأ الصغير بحروفه، الكبير بمعناه ..

وكان أن اتصلت الوفود العربية باللورد المندوب البريطاني وطلبوا إلي ه أن يضع كلمة " The " آل التعريف قبل كلمة " أراضٍ " حتى يكون الانسحاب شاملاً لجميع الأراضي العربية المحتلة .. ولكن المندوب البريطاني رفض الاقتراح العربي، وضنت بريطانيا على الأمة العربية بأل التعريف!!
وأثير الموضوع مرة أخرى في مجلس الأمن، وبطريقة أخرى، فقد طلب مندوب الهند أن يسجل المندوب البريطاني في محضر الجلسة أن مشروعه يعني الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة.. ولكن المندوب البريطاني تجاهل الطلب الهندي واكتفى بالقول إن مشروعه متكامل، ويجب أن يفسر في مجموعه، لا فقرة فقرة..

ومن الأسرار الأخرى أن عبارة " حدود آمنة ومعترف بها " هي صياغة إسرائيلية اقترحها وزير الخارجية الإسرائيلي ايبان، وكان كما أراد..
وعبارة " معترف بها " تفرض على الدول العربية أن تعترف بحدود إسرائيل، ومنذ أن نشأت الأم المتحدة، لم تفرض على أية دولة أن تعترف بدولة أخرى، أو تعترف بحدودها .. كما إنها لم تضع لها حدوداً، وأن تكون هذه الحدود آمنة .. وطبعاً فإن إسرائيل هي التي تقرر أين هي الحدود الآمنة ..

وعلى الدول العربية أن توافق وتتعترف ... فإن لم يتم الاتفاق والاعتراف
فستظل الأرض العربية تحت الاحتلال.

هذا هو قرار مجلس الأمن، ومن لم يعرف ذلك، فليقرأ وليتعلم.
وكان آخر الأسرار أن المشروع البريطاني كانت تجري صياغته وراء
الكواليس، وقد وافق على كلماته، وعباراته، وفواصله، ومقاطعته، كل من الاتحاد
السوفيتي وأمريكا وفرنسا وبريطانيا وإسرائيل..

ولم تكن الوفود العربية تطلع على الصياغة .. فالاتحاد السوفيتي كان
يمثلها، وفي ذلك كفاية .. فهو الوكيل وهو الأصيل !!

كانت هذه " الأسرار " غائبة عن أبصار الأمة العربية وآذانها فلم
تقرأها ولم تسمعها .. لأن الأجهزة العربية لم تحجبها فحسب، ولكنها كانت
تحمل الطبل والمزمار . والصنوج والدفوف، في عرس كبير احتفالاً بقرار مجلس
الأمن !!.

والذين يعرفون السياسية البريطانية الماكرة البارعة، يستذكرون
الصياغات البريطانية بشأن القضية الفلسطينية على مدى خمسين عاماً، وكيف
كانت تدس السم بالكلمة، وتغلف النكبات بالعبرات ، ثم تنتشر البخور بين
السطور ...

وهذا وعد بلفور في 2 نوفمبر 1917، ألم يخترع عبارة " الوطن القومي
اليهودي " مشروطاً بالحقوق المدنية " للجماعات غير اليهودية في فلسطين . " ؟
وهذا صك الانتداب على فلسطين لعام 1922، ألم يبتدع عبارة حق
الشعب اليهودي في فلسطين مقيداً بحقوق الطوائف غير اليهودية ؟.
وهذا الكتاب الأبيض لعام 1922 ألم يصنع عبارة " دولة يهودية في
فلسطين " مستبعداً جعل فلسطين دولة يهودية !؟

وهذا الكتاب الأبيض لعام 1939 الذي نص على " إقامة دولة فلسطينية لا عربية ولا يهودية، مرهوناً بموافقة " الطائفة اليهودية ..".؟
ولكن قادة العرب اختاروا طريق التجاهل والتجهيل، فلم يعبأوا بالصياغة الماكرة التي قدمها الوفد البريطاني إلى مجلس الأمن ، واعتبروها نصراً سياسياً ولتكون فيما بعد مطلباً قومياً..

وفي الوقت الذي فشلت فيه سياسة مؤتمر الخرطوم في الجمعية العامة للأمم المتحدة ثم بعد ذلك في مجلس الأمن .. كانت إسرائيل تواصل خطتها النظرية والعملية لتؤكد العدوان وتوطيد التوسع .. والوقائع والدلائل كثيرة وكثيرة. ومن ذلك أنه حينما كانت الأمم المتحدة تعد العدة لانعقاد جمعيتها العمومية، كان الوزير الإسرائيلي يلقي خطاباً في نادي الصحافة في واشنطن يقول فيه " إن هدفنا هو إنشاء إسرائيل جديدة في الشرق الأوسط " (1967/9/22) فكان ذلك أول جواب لمؤتمر الخرطوم.

وفي إسرائيل نفسها، وفي اليوم نفسه، نشرت الصحف الإسرائيلية بياناً وقعه ستون زعيماً إسرائيلياً يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية وطالبوا فيه الحكومة الإسرائيلية بالاحتفاظ بـ " إسرائيل الكبرى بكاملها " .
وعشية انعقاد الدورة العادية للأمم المتحدة، حين كان موضوع انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية تجري مناقشته على منبر الجمعية العامة، قامت إسرائيل بتدشين ثلاث مستعمرات : الأولى على مقربة من بانياس في المرتفعات السورية، والثانية تدعى " جوش عصيون " بين الخليل والقدس، والثالثة وتدعى " هاعرافا " في سهل أريحا (1967/9/24).

وصادف في اليوم نفسه الذكرى السبعون للمؤتمر الصهيوني الأول (عام 1897)، فخطب الجنرال اسحق رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي

وقال : " إن هدف إسرائيل أن يصب ح عدد اليهود خمسة ملايين وحينئذ لن يستطيع شيء إيذاءها ولا التشكيك في وجودهما .. وجواباً على هذا التحدي الضخم فقد أجاب السيد سعد جمعة رئيس الوزراء الأردني بحديث لوكالة الأنباء الأردنية الرسمية قال فيه : إن الأردن أعلن في كل موقف في الماضي والحاضر وبشكل قاطع أنه لا يشجع أية نشاطات فدائية في الأجزاء المحتلة، ولا يستسيغ أية نشاطات استنزافية فيها، (1967/9/26)!!

ويوم كانت المناقشة على أشدها في الأمم المتحدة، والوفود يخطبون حول انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية، بشروط أو بدون شروط، صرح الجنرال موشه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي لمجلة الجيش الإسرائيلي بي بأن الحدود الحالية مع الدول العربية، باستثناء لبنان ، هي حدود مثالية، فإذا عبرت إسرائيل قناة السويس فأنها تشرف على القاهرة، وإن عبرت نهر الأردن فأنها تكون في مداخل عمان، وإن اجتازت القنيطرة فأنها تطل على دمشق، وأنه إذا وقعت حرب أخرى فمن الممكن لإسرائيل أن تدخل العواصم العربية من الحدود الحالية لإقرار حل نهائي).(1967/10/1).

وحين اتجه تفكير الأمم المتحدة إلى إحالة قضية الشرق الأوسط من الجمعية العامة إلى مجلس الأمن، أعلنت إسرائيل أنها أنشأت مستعمرة جديدة، عسكرية زراعية، على الساحل الشمالي المحتل من سيناء، قرب سنجة البردويل، وعلى بعد 70 كيلو متراً غربي السويس، كما أعلنت إنها أطلقت أسم موسى شاريت (رئيس وزراء إسرائيل السابق) على المزرعة التعاونية، التي أقامها الإسرائيليون قرب بانياس في الأراضي السورية المحتلة (1967/10/4). وتتاول الحوار في الأمم المتحدة موضوع القدس، ورفعت الوفود العربية والإسلامية عقيرتها تطالب بإلزام إسرائيل بعدم تغيير الأوضاع في بيت المقدس

تنفيذا لقرار مجلس الأمن الأخير، فكان الجواب في إسرائيل أن استولت السلطات الإسرائيلية على الزاوية الفخرية التي تجاوز الحرم الشريف في القدس وتطل على حائط المبكى وحولتها إلى مدرسة لتعليم الديانة اليهودية(1967/11/10) وهذه الزاوية تابعة لآل أبي السعود في القدس وهي مقر مفتي الشوافعة في فلسطين.

وفي محاولة ساخرة بالأمر المتحدة وقراراتها، أقام أحد المحامين اليهود دعوة أمام المحكمة الإسرائيلية العليا على مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي يطالب فيها بإعادة الأرض التي كان هيكل سليمان يقوم عليها قديماً والتي يقوم عليها الآن مسجد الصخرة والمسجد الأقصى، كما يطالب باستبدال الحرس المسلمين بجنود يهود .. قضية ساخرة تحمل في ثناياها كثيراً من الجدل والتصميم.

وبعد أن صدر قرار مجلس الأمن، عرفت إسرائيل مواضع أقدامها وتبينت مكانها في جميع فقراته، وتعاقبت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين وهم يخفون ابتهاجهم في عبارات متحفظة.

ففي اليوم الذي أعلن فيه مجلس الأمن قراره، أصدر إسرائيل جاليلي وزير الأنباء الإسرائيلي بياناً في تل ابيب قال فيه إن القرار يرتكز بشكل رئيسي على مبدأ الاتفاق المشترك بين إسرائيل والدول العربية .. وأنه يؤيد موقف إسرائيل في المحافظة على خطوط وقف إطلاق النار الحالية حتى تستبدل بها حدود آمنة متفق عليها .. وإن إسرائيل بالنسبة إلى القدس لا تنوي التخلي عن أي جزء منها، وإنها لن تقسم مرة أخرى " (1967/11/23).

وفي حديث صحفي للوزير الإسرائيلي ايبان، قال " إن إسرائيل ستكون مجنونة إذا انسحبت من الأراضي المحتلة قبل إيجاد تسوية سلمية دائمة .. وإن

إسرائيلي ترحب بقدوم الدكتور جونار يارنج ممثلاً للأمين العام للأمم المتحدة
لبحث التسوية السمية في إطار قرارا مجلس الأمن (1967/11/24).
وفي اليوم نفسه، وصل إلى لندن الجنرال اسحق رابين رئيس أركان
حرب الجيش الإسرائيلي للاشتراك في احتفالات الذكرى الخمسين لإنشاء الفيلق
اليهودي، وصرح للصحفيين في المطار بأن إسرائيل ترحب بقرار مجلس الأمن
بشأن إرسال مبعوث دولي إلى الشرق الأوسط للوصول إلى تسوية سلمية".
وبعد أن عاد الوزير الإسرائيلي ايبان من اجتماعات مجلس الأمن إلى
تل أبيب علق على قرار مجلس الأمن بقوله، بأنه يربط بين انسحاب القوات
الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة وإحلال السلام وإقامة حدود آمنة ومتفق
عليها ... وأن فشل جميع مشروعات القرارات التي طالبت بانسحاب إسرائيل
دون ربط ذلك بموضوع السلام الدائم والحدود المتفق عليها يعتبر انتصاراً
لإسرائيل " (1967/11/26).

وكانت إسرائيل على حق في هذا العناد المتشدد، فقد رأت أن الموقف
الأمريكي ومعه الموقف السوفيتي يشجعان على العناد والتشدد..
بالنسبة إلى الموقف الأمريكي، فإن الولايات المتحدة، كان تعزيزها
السياسي لإسرائيل في الأمم المتحدة، والتعزيز العسكري في ساحة المعركة ..
ففي الوقت الذي كانت المداولات تدور في مجلس الأمن حول أزمة الشرق
الأوسط، قررت واشنطن استئناف شحن الأسلحة إلى إسرائيل ومن بينها ستون
طائرة من طراز سكاي هوك .. هذا بالإضافة إلى العون الاقتصادي والفني
والمالي الذي لا ينقطع (1967/11/3).

أما بصدد الاتحاد السوفيتي فقد شغلت وكالة نوفوستي للأنباء السوفيتية
بنشر مقال مطول عن أسباب الهزيمة العربية في حرب الأيام الستة فقالت " إن

الأعمال التجسسية الإسرائيلية قد أدت بصورة كبيرة إلى نجاح العمليات الإسرائيلية .. فإن دوائر الاستخبارات الإسرائيلية جمعت معلومات دقيقة عن عدد رجال القوات المسلحة المصرية وأماكن وجود جميع نقاط قيادة الأفواج والفرق والألوية والمطارات المصرية ...

وعرفوا نذبات جميع أجهزة الراديو التابعة لوحدات الجيش المصري ونجحوا في سرقة سفرتها وحل رموزها .. وأن إسرائيل قد أذاعت، على تلك النذبات، أوامر كاذبة ضللت وحدات الجيش المصري مما أدى إلى الارتباك والفوضى في صفوفه .. وغير ذلك مما مكن القوات الإسرائيلية من إنزال ضربة مفاجئة بالمطارات المصرية .. وختمت نوفوستي مقالها بان وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وضعت تحت تصرف إسرائيل كل معلوماتها عن الشرق الأوسط، فكان ذلك عاملاً بارزاً في انتصار إسرائيلي.

ولقد كان هذا المقال السوفيتي غنياً بالمعلومات ولكنه لم يكشف النقاب عن السؤال الكبير .. ولماذا لم يقدم الاتحاد السوفيتي إلى الجمهوري العربية المتحدة كل المعلومات التي يملكها عن إسرائيل، وهو يملك معلومات خطيرة وأسراراً ذات أهمية قصوى في المعركة؟ ..

وإذا كان موقف الاتحاد السوفيتي كما عبرت عنه وكالة نوفوستي بصدد أسباب الهزيمة العربية، فإن الموقف بالنسبة لقرار مجلس الأمن يثير الكثير من الأسئلة .. فإن الاتحاد السوفيت أعرف الدول بهزال مجلس الأمن، وأعرفها بعناد إسرائيل، وأعرفها بمساندة أمريكا لإسرائيل وهذه جريدة ازفستيا تقول يوم صدور قرار مجلس الأمن : إن القرار ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية وهذا ما جعل الاتحاد السوفيتي يصوت إلى جانب هذا القرار (1967/11/23).

وتابعت جريدة برافدا السوفيتية المنطق نفسه، فقد قالت : إن قبول قرار مجلس الأمن سيكون خطوة على طريق حل مشاكل الشرق الأوسط (1967/11/24).

ولكن ما لنا وللولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .. ليس لنا أن نندد بأعدائنا، وأن لا نعتب على أصدقائنا .. والتتديد والعتاب يجب أن يكون علينا .. على ملوكننا ورؤساننا .. على مؤتم ر الخرطوم الذي لم يستمع إلى نص خ الناصحين ..

ولقد كنت في مؤتمر الخرطوم واحداً من أولئك الناصحين .
لقد قلت للملوك والرؤساء أنه لا جدوى من الأمم المتحدة ..
لقد قلت لهم : إن الأمم المتحدة لن تعيد إليكم شبراً واحداً من الأرض العربية المحتلة ..

لقد قلت لهم : إن طريق الحل السلمي غير موجود ولا جدوى من السير في طريق مسدود.

قلت لهم هذا وأكثر من هذا، وقاله غيري .. ولكنهم أرادوا أن يجربوا، أرادوا أن يتعلموا الجغرافيا بالرحيل في الأرض كما فعل الرحالة القدامى، بدلاً من أن يقرأوا ويتعلموا .. ويتعظوا ويعتبروا ..
وانسحبت من مؤتمر الخرطوم، حين لم يسمعوا ويعوا، وأنا أردد قول الله تعالى :

" تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون "

صدق الله العظيم

عن عبد الناصر

في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1967، وفي السنة الأولى من النكبة، أصدر مجلس الأمن قراره الشهير رقم 242. وفي صباح الثالث والعشرين أعلنت أنني سأعقد مؤتمراً صحفياً في المساء، في مقر منظمة التحرير في حي الدقي في القاهرة.. لأحدد موقف الشعب الفلسطيني من ذلك القرار..

وعند الظهر، في اليوم نفسه، اتصل بي السيد محمد فائق وزير الإعلام في الجمهورية العربية المتحدة، تليفونياً..

قال : سيادتكم ستعقد مؤتمر صحفياً هذا المساء، أليس كذلك؟
قلت: نعم ..

قال : الإذاعة والتلفزيون ستكون تحت تصرف سيادتكم .. ممكن أعرف ما هو الموضوع الذي سنتناوله في المؤتمر الصحفي ؟
قلت : سأحدد موقفنا من قرار مجلس الأمن الذي صدر الليلة الماضية..

قال : هل يمكن أن أرجوك أن تؤجل المؤتمر الصحفي إلى الغد؟.
قالت : وما هو السبب؟

قال : سيادة الرئيس سيخطف اليوم في مجلس الأمة . وطبيعي أنه سيتكلم عن القرار .. ويكون من المناسب التنسيق بين ما يقوله الرئيس وما ستقوله المنظمة ..

قلت : ما دام التأجيل ليوم واحد، فأنا لا أرى مانعاً .. وربما يكون مفيداً من ناحية إعلامية حتى لا يضيع مؤتمرنا في يوم خطاب الرئيس .
قال : أشكرك، ونحن سنعطي التعليمات لتغطية المؤتمر الصحفي بكامله .. وهل يمكن أن أعرف الموقف الذي ستعلنونه عن قرار مجلس الأمن، ولو بكلمة واحدة؟

قلت : بكلمة واحدة .. موقفنا هو الرفض ..

وانتهت المكالمة التليفونية، وأصدرنا بياناً بتأجيل المؤتمر إلى اليوم الثاني .. وفي المساء ذهبت إلى مجلس الأمة، وجلست في الشرفة، أنتظر قدوم الرئيس، وأنتظر خطابه.

كانت القاعة غاصة بالأعضاء، والدبلوماسيين والصحافيين والمصورين، فإن العالم العربي ومعه الدولي كان يريد أن يستمع إلى ما سيقوله الرئيس عبد الناصر عن حاضر النكبة ومستقبل المعركة .. وبالتحديد ما سيقوله عن قرار مجلس الأمن .. الذي صدر بالأمس، بعد ستة أشهر من الحوار والجدال في أروقة الأمم المتحدة، ودهاليزها العليا والسفلى .. وكان خطاب عبد الناصر، كعادته، شاملاً جامعاً، فقد تناول جوانب متعددة، الداخلية والعربية والدولية، كما تناول الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية، مع نظرة إلى الماضي والحاضر والمستقبل.

وكان طبيعياً أن يكون الخطاب بهذا الشمول ، فقد كان المواطن العربي في مصر وفي الوطن العربي في مصر وفي الوطن العربي كله يتساءل ويتساءل .. ويكاد أن ينام وعلى وسادته مئة سؤال وسؤال.

كانت الجماهير العربية ، آنذاك ، تئن تحت وطأة الهزيمة العسكرية ، ولا تعرف أسبابها وأصحابها .. فأجهزة الإعلام العربية الرسمية قد جعلت من قادة العرب آلهة النصر والتحرير قبل النكبة .. وألبستهم رداء من الحصانة والعصمة بعد النكبة .. كالقمصان الفولاذية التي يلبسها العظماء وقاية من الرصاص والقنابل..

وكانت الجماهير العربية ، آنذاك ، تعيش في حمى الحرب ... فقد وعدتهم أجهزة الإعلام العربية الرسمية بالنصر القريب ، بضعة أسابيع أو بضعة أشهر وتنهال الأسلحة السوفيتية على الدول العربية ، وتبدأ المعركة .. ويكون النصر ...

وكانت المناوشات العسكرية قائمة دائمة بين القوات العربية والإسرائيلية ، حتى أصبحت خطوط وقف إطلاق النار .. خطوط إطلاق النار وبين عشية وضحاها ، تصاعدت المشاعر العربية إلى القمة ، ثم عادت وهبطت إلى القاع ...

تصاعدت يوم قذفت قوارب الطوربيد المصرية المدمرة الإسرائيلية (إيلات) فدمرتها وهوت بمن فيها إلى قاع البحر .. ثم عادت المشاعر العربية وهبطت يوم سلطت المدفعية الإسرائيلية قذائفها على المصانع المصرية في مدن القنال ، فأحرقتها وأنزلت بالصناعة المصرية خسائر فادحة ... وحملت السلطات المصرية على تهجير السكان في منطقة القنال ، وبلغوا نصف مليون جرى توزيعهم في مدن الدلتا وقراها .

وفي مصر بصورة خاصة، إنسابت حملة تشكيك كبرى في صفوف الجماهير ، تشكيك بالدولة ، بالجيش ، بالنظام وتشكيك حتى في المظاهرات الكبرى يومي 9 و 10 حزيران (يونيو) .. التي ناشدت الرئيس عبد الناصر العدول عن إستقالته .

كانت هذه هي الصورة العامة حين وقف الرئيس عبد الناصر في مجلس الأمة (23 نوفمبر - تشرين الثاني) يخاطب الشعب المصري ، والأمة العربية جمعاء .

وأشار في مطلع كلامه إلى القلق الذي يساور الناس ، والتمزق الذي أصاب الشباب والطلاب بعد الهزيمة ، مستشهداً بالهزائم التي وقعت لبريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا في الحرب العالمية الثانية وكيف أن النتيجة (لم تكن نصراً لقوات ألمانيا النازية واليابان وهي التي حققت إنتصارات باهرة في أوائل الحرب .. وإنما كان النصر في النهاية للذين فوجئوا والذين تراجعوا ... والذين حلت بهم الهزيمة في المراحل الأولى من القتال) وكان الرئيس عبد الناصر يريد أن يشد من عزائم الجماهير ، وأن يرد على المشككين والمتسائلين .

وانتقل الرئيس عبد الناصر بعد ذلك إلى تقييم حالة الصفر التي وصلت إليها الجمهورية العربية المتحدة عسكرياً ، نتيجة الحرب الأيام الستة. فكشف عن الحقيقة عارية ... وباللهجة المصرية العامية، فقال : (بدي أقول لكم يوم 9 و 10 يوم الناس خرجت في الشوارع بالآلاف أو بالملايين مكنش عندنا دفاع عن الضفة الغربية لقنال السويس . كان العدو موجود في الضفة الشرقية للسويس .. وكان الطريق ما بين السويس والقاهرة مفيش فيه ولا عسكري .. كان الطريق إلى القاهرة مفتوح بدون أدنى مقاومة ، نتيجة للشلل الكامل اللي حصل في قواتنا ... الحقائق المادية تقول بأننا خسرنا ما يقرب من ثمانين في

الماية من معداتنا الحربية في معارك الأيام الستة .. كما أن قواتنا كانت بتأثير الصدمة مبعثرة وشبه تائهة ، وكان معنى ذلك أننا غير قادرين لا على الهجوم ولا على الدفاع ... نحن فقدنا عشرة آلاف جندي ، وألف وخمسمائة ضابط ، غير الأسرى خمسة آلاف جندي أسير و500 ضابط أسرى) .

وقد تفرست في وجوه أعضاء مجلس الأمة، وهم يستمعون إلى هذه الحقائق المروعة، التي أضاف إليها الرئيس عبد الناصر قوله : (بعد يوم 8 يونيو كنا مكشوفين أمام العدو، جبهة القتال مكشوفة ، والمدن أيضاً مكشوفة، مكش عندنا خط دفاع غرب القناة) وكان كثيرون من الحاضرين يستمعون في ذهول وهم لا يكادون يصدقون أن مصر قد فقدت قوتها العسكرية إلى هذا الوضع الرهيب .

والواقع أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يسرد الوقائع للمعرفة فحسب، ولكنه كان كمن يترافع أمام الشعب المصري والأمة العربية مرافعة الدفاع .. الدفاع في وجه التشكيك والاتهام .

ورفع الرئيس عبد الناصر صوته ورأسه ويديه، كما يفعل المحامي وهو يترافع، وقال : (أنا شفت عدد من الشباب متمزق .. مش قادر .. مش قادر يحتمل الصورة .. إن إسرائيل موجودة، وإزاي تقدمت للضفة الشرقية للقناة .. هناك قلق عند الجماهير نتيجة لما حدث .. وإزاي حنخلص من إسرائيل ..) . وفي سياق هذا الدفاع، راح الرئيس عبد الناصر يتحدث عن الأوضاع الداخلية التي كانت تسود البلاد قبل النكسة، وأشار إلى نشوء مراكز القوة في الجيش، وقيام دولة المخابرات .. وكما يفعل المحامي، أنتقل الرئيس عبد الناصر إلى نقطة أخرى في الدفاع، وصاح بأعلى صوته قائلاً : (طبعاً وأنا

بتكلم النهارده هذا الكلام حيثساءل ناس ... ويمكن أنتم تتساءلوا وتقولوا: طيب يا جمال عبد الناصر إزاي سبت الأوضاع بهذا الشكل في النكسة؟).
ولقد كان الرئيس عبد الناصر صادقاً في طرح هذا السؤال الجريء .. في طرح هذا الاتهام .. عبد الناصر يوجه الاتهام إلى عبد الناصر ... فلقد كانت القاهرة تطرح هذا السؤال همساً، في المقاهي وال النوادي والبيوت والجامعات والمساجد. فلم يكن أحد يجرؤ على طرح هذا السؤال لا في مجلس الأمة ولا خارج مجلس الأمة، إلا جريئاً واحداً، طرحه في مجلس الأمة وهو الرئيس عبد الناصر نفسه.

وخل مجلس الأمة لهذا السؤال الجريء وألقى بسمعه ، وهو لا يملك إلا حرية السماع ، فأجاب الرئيس قائلاً : (فيه ناس في البلد متصورة أن جمال عبد الناصر لما يقول شيء لازم ينفذ هذا الشيء بالحال، الناس ما تعرفش إيه المداخل وإيه اللي بيجري في الكواليس ..) .

ومضى الرئيس عبد الناصر في شرح موضوع مراكز القوة في مصر والجهود التي بذلت لتصحيح مساوئها ... ولم يقف طويلاً عند هذه النقطة، ذلك أن مجلس الأمة بنشوئه وتكوينه ليس فيه من يحاسب أو يراقب أو يطالب .. وأن الذي يتولى عنهم شرف الحساب ، هو رئيس الدولة ، يحاسب نفسه بنفسه .

ويعد أن أستعرض الرئيس عبد الناصر كثيراً من الأمور الداخلية أنتقل إلى الكلام عن العمل العربي، ومرة ثانية وقف الرئيس عبد الناصر يتزافع عن الرئيس عبد الناصر، وكان موضوع المرافعة مؤتمر الخرطوم وقرار مجلس الأمن .

والرئيس عبد الناصر ، كان واحداً من الحكام القلائل في العالم الذين يحرصون كل صباح على قراءة التقارير ، من المخابرات ، من المباحث ، من السفارات .. وكان الرئيس عبد الناصر يقرأ أول ما يقرأ تقرير (ما يقوله الناس) .

وكان ما يقوله الناس في تلك الفترة أن مؤتمر الخرطوم كان فاشلاً، وأن الملك فيصل هو الذي خرج منه منتصراً، وأن الرئيس اليمني المشير عبد الله السلال كان واحداً من ضحايا المؤتمر ... لم يكذ يخرج من الخرطوم حتى أعلن (خلعه) وهو مسافر خارج البلاد، بعيداً عن صنعاء (1967/11/5)، وأن (خلعه) كان جزءاً من الاتفاق بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ... كان ذلك ما يقوله الناس في القاهرة .. صدقاً أو كذباً ... وكان ما يقوله الناس أيضاً، أن قرار مجلس الأمن فيه إذلال كبير لمصر، لأنه يسمح لإسرائيل بالملاحه في خليج العقبة بعد إغلاقه، وفي قناة السويس بعد أن منعت منه منذ قامت .. و .. و .. مما كان يجري على السنة الناس في نكات وقفشات، أشد إيلاًماً من الكلام الصارم الجاد .

وتناول الرئيس عبد الناصر هذين الموضوعين مبتدئاً بمؤتمر الخرطوم فقال : (في الخرطوم استطعنا بالاتفاق مع الملك فيصل أن نتفق على موضوع اليمن .. وكان هدفنا في هذا أن أحنا نحقق المبادئ ولم تكن تعيناً الأشخاص ..(والإشارة إلى الانقلاب على المشير عبد الله السلال) - إحنا ذهبنا إلى اليمن لكي ننصر المبادئ لا ننصر الأشخاص .. الآن هناك فيه جمهورية في صنعاء بدون قوات مصرية في صنعاء ..) .

ثم انتقل الرئيس عبد الناصر بعد ذلك إلى معالجة الموقف السياسي في مجلس الأمن .. ووضح تماماً أنه كان يتابع المناقشات الدولية بكل دقة

واهتمام، وراح يتكلم بشيء من التفصيل فأستعرض مختلف المشروعات التي عرضت على مجلس الأمن .. الآسيوي، والأفريقي، والدانمركي، والأمريكي والسوفيتي، وأخيراً البريطاني .

وأتجه أعضاء مجلس الأمة ، ومعهم الصحفيون ، ومع هؤلاء جميعاً نحن الجالسين في شرفة الزوار ، لنسمع ماذا سيقول الرئيس عبد الناصر بشأن القرار البريطاني ... هل يعلن قبوله ويفجع الأمة العربية في أعز ما لها وأقدس أهدافها .. أم يرفضه ويدمغ الدبلوماسية العربية بالتهمة القديمة ، أنها ترفض على الدوام، ثم تعود إلى القبول، وتتشده وتلهث وراءه ..

كان الموقف دقيقاً وحرماً ... وأكبّ الرئيس عبد الناصر بعينه على أوراقه، لا يرفعهما، حتى يقرأ كل كلمة أمامه، فلا تفوته كلمة في مكانها، فقال : (مع أن التفسيرات التي أعطيت للقرار البريطاني تحقق بعض الوضوح .. فإن القرار البريطاني يبقى في رأينا غير كاف .. وماذا نفعل بقرار مجلس الأمن ؟ فيما يتعلق بنا نحن ندرسه وتتناور بشأنه مع أصدقائنا، وهناك نقنطان محدودتان بالنسبة لنا ليستا موضع جدال، ولا يمكن أن نقبل فيهما أي أخذ وعطاء .. والأولى هي الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية من كل شبر من الأراضي العربية التي جرى احتلالها في معارك يونيو سواء في الجمهورية العربية المتحدة، أو المملكة الأردنية الهاشمية أو الجمهورية العربية السورية . والنقطة الثانية: أننا لن نسمح لإسرائيل مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر في قناة السويس ان المرور في قناة السويس جزءاً لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية ، وهو ليس جزء من قضية إزالة آثار العدوان .. وبعد هاتين النقطتين .. فنحن على التزام بالخطوط الأربعة التي حددها مؤتمر القمة العربي

في الخرطوم .. لا اعتراف بإسرائيل، لا صلح معها، ولا مفاوضة، ولا تصرف
بالقضية الفلسطينية لأنها ملك شعب فلسطين .."
وصفق أعضاء مجلس الأمة طويلاً لهذا الموقف، فقد فهموه رفضاً
لقرار مجلس الأمن، وكانوا على حق، فقد كبله الرئيس عبد الناصر بمائة شرط
وشرط، وكل واحد منها يكفي لرفضه ..
وتوكيداً لهذا المعنى فإن الرئيس عبد الناصر عاد إلى مخاطبة الأمة
العربية في موقع النضال فقال .. "إن كل الصياغات قابلة للانصهار أمام حرارة
النيران .. وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة..".
وفي سياق الحديث عن النضال، والاستعداد للمعركة، رمى الرئيس عبد
الناصر جمرة من جمراته على حزب البعث في سوريا، فقال : " ولكننا لسنا
على استعداد لأن نتلقى دروساً من الذين يتحدثون عن الحرب الفورية وهم لم
يحاربوا وهم لا يبنون أن يحاربوا .." وصفق مجلس الأمة لهذه الإشارة البارعة،
كما صفق الزوار في شرفاتهم .. وكانوا آخر من توقف عن التصفيق...
وفي ختام خطابه تناول الرئيس عبد الناصر مسألتين هامتين، وكان
مقررًا للزمن أن يُلقي بهما في زوايا النسيان...
المسألة الأولى : تحدث عنها بقوله : " نحن نعتقد أن تطورات الحوادث
الآن تقتضي التفكير في عقد اجتماع عربي على مستوى القمة .. وأن تكون
قضية إزالة آثار العدوان النقطة الأولى في جدول أعمال المؤتمر المقترح .."
وقد تلكأ حكام العرب وتناقلوا فلم ينعقد هذا الاجتماع إلا بعد عام ونصف، في
الرباط، وانسحب منه الرئيس عبد الناصر ..ومرت بعد ذلك أعوام وأعوام لم
ينعقد بعدها اجتماع القمة لأن الملك فيصل أعلن أن القمة يجب أن تسبقها
دراسات وافية .. ولم تكف هذه الأعوام الستة لإعداد الدراسات !!

والمسألة الثانية : تحدث عنها الرئيس عبد الناصر بقوله: " نحن نعتقد أن نظاماً عربياً جديداً يمكن أن يولد، ليعطي العالم العربي دفعة كبيرة في عصر التجمعات الاقتصادية في هذا العصر .. إن الدول العربية لا تستطيع أن تحقق أهداف نموها بالسرعة الواجبة، وكل منها على انفراد، وفي عزلة عن الباقين.. "

وكان من السهل أن يتفرس المرء على وجوه أعضاء مجلس الأمة عدم المبالاة لهذين الاقتراحين .. لأنهما غير جديرين بالاهتمام .. بل لأنهم على يقين أن الحكم العربي في مجموعه ليس على مستوى المسؤولية بل أنه لا بد من زواله، لتزول آثار العدوان..

ومن أجل ذلك، فقد كان خير ما في خطاب الرئيس في ذلك اليوم قوله : " إن النكسات عوارض طارئة في حياة الشعوب لكن الشعوب دائماً أقوى من النكسات ... وأن هذه الأمة العربية، وشعبنا بين شعوبها قادرة .. وهي أقوى من كل العوارض الطارئة ولها النصر عزيزاً حاسماً أكيدا بإذن الله وعونه .. وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

انتهى الرئيس عبد الناصر من خطابه وانفض اجتماعه من مجلس الأمة وخرجنا إلى ساحة المجلس في انتظار سياراتنا، وكان الأعضاء والوزراء وقادة الجيش تطفح وجوههم بشراً وهم يثنون على الرئیس لخطابه الجامع، وأنه رفض قرار مجلس الأمن بعبارات حازمة دون أن يستخدم كلمة لا .. وأجمعت وكالات الأنباء أن خطاب الرئيس عبد الناصر قد وضع النقاط على الحروف، وأنه لم يقبل قرار مجلس الأمن، ولكنه ترك الباب مفتوحاً أمام تسوية " سياسية شريفة وعادلة..".

ولكن الاتحاد السوفيتي لم يكن مستريحاً إلى كثير من النواحي القوية
في خطاب الرئيس عبد الناصر فقد خرج السفير السوفيتي من شرفة
الدبلوماسيين، وليست على وجهه بوادر الانشراح والارتياح.. وقد انعكس ذلك
بصورة واضحة في اليوم التالي، فقد نشرت جريدة اذفستيا السوفيتية، تلخيصاً
عادياً لخطاب الرئيس عبد الناصر مبرزة الجوانب اللينة في الخطاب، وحذفت
عبارة " ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة " وهي العبارة التي صفت لها الأمة
العربية بأسرها واعتبرتها قمة الخطاب، والعلامة الأكدية على طريق النضال.
وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة السيد يوثانت، تعيين الدكتور جونار
يارنج مبعوثاً دولياً خاصاً يقوم بالسعي لإيجاد تسوية سلمية في الشرق الأوسط
طبقاً لقرار مجلس الأمن .. وبعث السيد يوثانت بمذكرات إلى حكومات الأردن
ولبنان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل يعرب فيها عن " أمله الحار
وثقته في أن يلقي يارنج التعاون التام وجميع التسهيلات اللازمة لتنفيذ المهمة
البالغة الأهمية الموكولة إليه تنفيذاً فعالاً ..".
وتطلعت الجماهير العربية إلى الدول العربية لتتعرف على رأيها بالنسبة
لقرار مجلس الأمن .. فكان كالعهد به موقفاً ممزقاً .. تائهاً ..
في سوريا، أعلن ناطق رسمي رفض قرار مجلس الأمن " إنه تكريس
دولي خطير لمبدأ حل المسائل بالقوة المسلحة ... ومساومة مكشوفة على
القضية الفلسطينية" (1967/11/23). وهذا الكلام صادق لو كان يرافقه عمل
صادق.

وفي الجزائر، أعلنت وكالة الصحافة الجزائرية أن قرار مجلس الأمن
أبعد ما يكون عن الإسهام بطريقة بناءة وفعالة في حل أزمة الشرق الأوسط
.. وأن الجزائر كانت وما تزال تدعو باستمرار إلى الكفاح المسلح ضد إسرائيل

وأن البحث عن حل سياسي سيؤدي حتماً الاعتراف بإسرائيل
(1967/11/23).

وفي الأردن، أعلن السيد بهجت التلهوني رئيس وزراء الأردن أن موقف
الأردن ينسجم ويتفق مع موقف الدول العربية الشقيقة (1967/11/23).
أما بقية الدول العربية العشر، فقد انضمت إلى أه ل الكهف، سكتوا كما
سكتوا . إلا الملك الحسن الثاني فقد بعث برسائل إلى ملوك ورؤساء الدول
العربية (1967/11/24) يوافق فيها على عقد مؤتمر القمة ويقترح عقده في
المغرب، وتلك إحدى هوايات الملك الحسن الثاني، استضافة مؤتمرات القمة في
الرباط، لينسي الشعب المغربي مصائبه الكثيرة، ولو لبضعة أيام قليلة.
وكان موعد المؤتمر الصحفي الذي دعوت إليه وازدحم بالصحفيين
الأجانب قبل العرب . وألقيت بياناً مكتوباً أعلنت فيه : " رفض منظمة التحرير
الممثلة للشعب الفلسطيني قرار مجلس الأمن جملة وتفصيلاً"، وأوردت
الأسباب القومية والسياسية والقانونية والدولية التي تفرض رفض قرار مجلس
الأمن كما شرحتها في الفصل السابق .. وانفتح باب النقاش، والسؤال
والجواب، كالمطر المنهمر .. فقد كنا وإياهم على استعداد كامل .. هم
صحافيون بارعون .. وأنا عشت القضية كل عمري.

سألوا : لقد أجلت مؤتمر الصحفي من أمس إلى اليوم فهل هذا بناء

على اتفاق بينك وبين الرئيس عبد الناصر؟

قلت : التأجيل كان لمصلحة إعلامية .. لا أريد أن يكون خطابه

ومؤتمري الصحفي في يوم واحد..

سألوا : هل أنت موافق على كل ما قاله الرئيس عبد الناصر في

خطابه بالنسبة لقرار مجلس الأمن..

قلت : أنا أتفق معه بالموضوع لا بالأسلوب. أعتقد أن موقفه هو رفض قرار مجلس الأمن، وكنت أفضل أن يكون رفضاً واضحاً وقاطعاً، فليست للأمم المتحدة قيمة تستحق معها غير هذا الأسلوب.

سألوا : وهل قرار مجلس الأمن يتفق مع قرارات مؤتمر الخرطوم؟
قلت : أبداً .. قرار مجلس الأمن يصفى القضية الفلسطينية .. واللآت الأربع في قرارات الخرطوم تتعارض معارضة أساسية مع قرارا مجلس الأمن .. وانتم تذكرون أن واللآت الأربع هي صياغة منظمة التحرير الفلسطينية...
سألوا : وهل إذا قبل الرئيس عبد الناصر قرار مجلس الأمن يكون قد خالف اللآت الأربع التي وافق عليها مؤتمر الخرطوم .

قلت : نعم، وبكل تأكيد .. ولكني أعتقد أن الرئيس عبد الناصر يرفض قرار مجلس الأمن، حتى بدون مؤتمر الخرطوم.

سألوا : وكيف توقعون بين موقفكم وموقف الرئيس عبد الناصر في حالة قبوله لقرار مجلس الأمن؟

قلت : هذه مسألة داخلية ليس للصحافة علاقة فيها.
سألوا : وهل تقول على لسانك إنه إذا وافق عبد الناصر على قرار مجلس الأمن يكون قد خالف مؤتمر القمة.

قلت : نعم وبكل تأكيد .. وبكل تأكيد سيظل الرئيس عبد الناصر يرفض قرار مجلس الأمن.

سألوا : وفي هذه الحالة ألا يقع انشقاق بينكم وبين الرئيس عبد الناصر.

قلت : قد يقع بيننا اختلاف في الاجتهاد، ولكن أرجو أن لا يقع بيننا انشقاق.

سألوا : لقد اقترح الرئيس عبد الناصر، عقد مؤتمر عربي خامس ..
فهل ستحضره بعد أن انسحبتم من مؤتمر الخرطوم.
قلت : سأعرض على المنظمة اقتراحاً بأن لا نحضر اجتماعات عربية
رسمية بعد اليوم .. نحن لا نعتقد بجدواها . وسنقيم علاقات ثنائية مع
الحكومات العربية واحدة، واحدة.
سألوا : يقال إن الملك فيصل والملك حسين والرئيس بورقيبة قد ألحوا
على الرئيس عبد الناصر إزاحتك من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية.
قلت : هذه مسألة تتعلق بي وبالشعب الفلسطيني . ولا شأن للملوك
والرؤساء فيمن يتولى رئاسة منظمة التحرير .
سألوا : وهل توافق على إجراء تسوية سلمية ..
قلت : تسوية سلمية لتحرير فلسطين .. نحن موافقون عليها.
سألوا : وهل صحيح أنك أدليت بتصريح صحفي في عمان قبل حرب
حزيران (يونيو) دعوت فيه إلى إلقاء اليهود بالبحر .
قلت : هذا غير صحيح إطلاقاً .. أجهزة الإعلام الصهيونية هي التي
زورت هذا الكلام على لساني .
قالوا : ولماذا لم تكذبه ..
قلت : أسألوا أنفسكم .. لقد كذبت في حينه، كذبت في مؤتمرات صحفية
كثيرة فلم تنشره صحفكم .. الإذاعة الفرنسية وحدها هي التي نشرت التكذيب .
ولم تكن شكواي من الصحافة الأجنبية كبيرة بذاتها، ففي اليوم الثاني
بلوت المشكلة نفسها مع صحافة القاهرة .. ذلك صحف الأهرام والأخبار
والجمهورية لم تنشر عن المؤتمر الصحفي إلا سطرًا أو سطرين .. " عقد رئيس

منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمراً صحفياً حدد موقفه من قرار مجلس الأمن .. " وانتهى.

وقد غاظني هذا الموقف كثيراً، وخصوصاً بعد الوعد الذي قطعه السيد محمد فائق وزير الإعلام المصري، واتصلت به.
وسألت : لد كنت أتوقع، كما وعدت سيادتكم أن تنشر الصحف والإذاعة وقائع مؤتمرنا الصحفي على أوسع نطاق ممكن .. فما الذي جرى؟..
قال :والله .. زحمة المواد هي السبب .. ردود الفعل على خطأ ب السيد الرئيس أشغلت الصحف والإذاعة .. غداً إن شاء الله سأصدر التعليمات لنشر المؤتمر الصحفي بالكامل.

قلت : أرجو على الأقل اهتمامك في موضوع إلقاء اليهود البحر لأنه ما يزال يشغل الرأي العام الدولي.
قال : وأنا مهتم بهذا الموضوع بالذات .. لا يكون لك فكر .. غداً ستقرأ كل شيء .

وغدا قرأت كل شيء ... ولكنني ما قرأت أي شيء لا عن قرار مجلس الأمن ولا عن موضوع إلقاء اليهود في البحر .. مع إن صحافة القاهرة في ذلك اليوم كانت مكتظة بأخبار كرة القدم بين النادي الأهلي والزمالك!!
ولم أجد أمامي إلا بيروت ، فلم تكن صحافة القاهرة تملك إلا حرية واحدة، حرية الرقابة على الحرية .. فطلبت إلى أحد موظفي مكتب المنظمة في القاهرة أن يطير إلى بيروت، ومعه محاضر المؤتمر الصحفي ليذيعها من هناك، وكذلك كان، فقد أذيعت ونشرت من بيروت .

أما حكاية " إلقاء اليهود في البحر "، فقد أشارت إليها صحف بيروت،
وامتعت عن نشرها وكالات الأنباء الأجنبية، وهي حكاية أشبه بحكاية إبريق
الزيت عند العوام .. وللعوام أقاصيص مملوءة بالحكمة البالغة، والتسلية والعزاء ..
وفي الصفحات التالية سأقص حكايتي مع الصهيونية العالمية، بشأن
إلقاء اليهود بالبحر ..

"إن ذلك لعبرة لأولي الأبصار"

صدق الله العظيم

إلقاء اليهود في البحر ..

وإلقاء العرب في الصحراء _____

إلقاء اليهود في البحر ... شعار صنعه اليهود .. وصنعوا معه كلاماً

آخر، أن العرب قد صنعوه ..

وهو شعار قديم لعل عمره أربعون عاماً أو يزيد، ولكنه يتجدد مع

الزمان، في المناسبات العامة والمواسم السياسية.

وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن، نزل هذا الشعار في كتب شتى، ولاكته ألسنة كثيرة، ورددته إذاعات وتصريحات، وخاض فيه صحافيون، ووزراء، ورؤساء، وشق طريقه إلى منابر الأمم المتحدة ومحاضرها. وقد استهدف هذا الشعار التشهير بالشعب الفلسطيني، أول الأمر، ثم استهدف الأمة العربية بأسرها، بعد أن تطور النزاع اليهودي الفلسطيني إلى صراع إسرائيلي عربي.. وهكذا أصبح لهذا الشعار تاريخ، له بداية، وما أظن أنه ستكون له نهاية، إلا بزوال إسرائيل الدولة، وانتهاء الصهيونية كعقيدة وحركة وتنظيم.. ويومئذ سيستريح العالم الدولي من هذا الشعار وأصحاب الشعار.

وقد استهدف هذا الشعار، التشهير، بأشخاص غير قليلين في الأمة العربية.. ولكني أحسب أن الشقيري قد أصابه أعظم "طوفان" من هذا التشهير... وظلت هذه الحملة تلاحقه حتى بعد أن تخلى عن النشاط السياسي العام، وانصرف إلى كتابة المذكرات.

والواقع أن إسرائيل ما فتئت تُذكر العالم في كل مناسبة أن "الشقيري" قد صرح بأنه كان يريد إلقاء اليهود في البحر.. وكثيراً ما كنت أستمع لإذاعة إسرائيل وهي تتحدث عن ذكرى "الاستقلال" وقيام دولة إسرائيل، وتحشر اسم "الشقيري" بأنه كان يريد أن يلقي اليهود في البحر. ولست أعظم قادة العرب قدراً واقتداراً حتى تجعلني إسرائيل أعظم أهدافها، ولكن الموضوع كله له قصة طويلة، أرى من واجبي أن أضعها أمام المواطن العربي، لا دفاعاً عن نفسي ولا دفاعاً عن غيري ممن شملهم هذا الشعار، ولكن الأمر يكشف عن حقيقة العدو وخطته ووسائله.. ومن هنا

أصبح موضوع إلقاء اليهود في البحر قضية عامة يجب أن تحلل وتدرس، على اعتبار أنها جزء من معركتنا الكبرى مع إسرائيل والصهيونية والاستعمار العالمي...

وقد يظن المواطن العربي، أن " الشقيري " هو أول من نسب إليه شعار إلقاء اليهود في البحر .. ولكن من " الإنصاف " أن نستعرض مسيرة هذا الشعار من بداية الرحلة، لننتعرف على " أشخاص " الهدف واحدا بعد واحد... كان الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين أول شخص قذف عليه اليهود في فلسطين شعار إلقاء اليهود في البحر ... وكان ذلك في أوائل الثلاثينات . ولذلك قصة هي جزء من النضال الفلسطيني. في صيف 1929 اعتدى اليهود على حرما ت حائط البراق الشريف " المبكى"، وهو الجدار الغربي للحرم القدسي، وثار ت نائرة المسلمين، ووقع هياج كبير في فلسطين، وحدثت اشتباكات بين العرب واليهود سقطت نتيجتها عدد من القتلى والجرحى.

وتألفت لجنة دولية للتحقيق في دعاوى اليهود بالنسبة إلى " حقوقهم " في حائط المبكى .. واحتشد في بيت المقدس عدد وافر من قادة العرب والمسلمين للدفاع عن هذا الأثر الإسلامي، بينهم محمد علي علوبة والشيخ التفتازاني وأحمد زكي باشا من مصر، ومزاحم الباجة جي من العراق، وانضم إليهم عدد من محامي فلسطين يتقدمهم عوني عبد الهادي، وكنت محامياً تحت التمريم في مكتبه ..ومن هنا بدأت صلتني بالموضوع من أوله. وبعد مرافعات طويلة من الجانبين الإسلامي واليهودي حكمت اللجنة الدولية بملكية المسلمين لحائط البراق وأن حق اليهود إلا يتعدى الزيارة والعبادة

بهدهوء. وكان للحاج أمين الحسيني بوصفه رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى جهود كبير في تعبئة الشعور الديني في فلسطين وسائر أرجاء العالم الإسلامي. ثم تألفت بعد ذلك لجنة تحقيق بريطانية، " لجنة شو " للبحث في الجوانب السياسية في النزاع العربي اليهودي .. واستمعت اللجنة إلى إفادات قادة الفلسطينيين وزعماء الوكالة اليهودية في فلسطين .. وأدلى الحاج أمين الحسيني بياناً مستفيضاً عن القضية الفلسطينية، وناقشه أعضاء اللجنة، ومحامو اليهود مناقشة تفصيلية على طريق ة المرافعات القضائية، بالسؤال والجواب ..

وقد لخص الحاج أمين الحسيني مطالب الشعب الفلسطيني بإقامة دولة عربية في فلسطين، وبدأت مناقشة الحاج أمين الحسيني كما يلي:
سؤال : وما هو موقع الطائفة اليهودية في هذه الدولة العربية؟
جواب : نحن مستعدون أن نضع في دستور الدولة الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات.

سؤال : والهجرة اليهودية، ما موقفكم منها؟

جواب : نحن نعارض الهجرة اليهودية .. نعتبرها غير مشروعة .. ولا حق لدولة الانتداب أن توافق على هجرة اليهود إلى فلسطين .. نحن أصحاب البلاد الشرعيين .. كل هجرة أجنبية يجب أن تكون بموافقة أصحاب البلاد، كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا...

سؤال : وهل تعتبرون يهود فلسطين سكاناً غير شرعيين؟

جواب : عند الاحتلال البريطاني في 1918 كان عدد اليهود في فلسطين ستين ألفاً .. هؤلاء هم مواطنون فلسطينيون، لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

سؤال : والآخرون .. ويتجاوزون الآن مائتي ألف..

جواب : هؤلاء ليسوا مواطنين شرعيين .. لقد دخلوا البلاد بغير حق ..من غير إرادة الشعب الفلسطيني.

سؤال : وماذا تفعلون بهم .. ما هو مصيرهم؟

جواب : يعودون إلى بلاده م .. إلى أوطانهم الأولى ... فلسطين ليست وطنهم .. إنها وطن الشعب الفلسطيني، المسلمين والمسيحيين، واليهود الفلسطينيين.

وسأل محامي الوكالة اليهودية : وهل تريد يا سماحة المفتي إلقاء اليهود بالبحر؟..

فأجاب الحاج أمين الحسيني : نحن لا نريد إلقاء اليهود في البحر.. بلادنا لنا، واليهود المهاجرون يعودون إلى بلادهم .

وانتهت الجلسة .. وبدأت الحملة الكبرى على الحاج أمين الحسيني ..وأعلن زعماء الوكالة اليهودية أن الحاج أمين الحسيني يريد إلقاء اليهود في البحر ..وانطلقت وكالات الأنباء تنقل إلى صحف العالم هذا النبأ الخطير والشر المستطير ...

وبعد " لجنة شو " جاءت إلى فلسطين لجان بريطانية متعددة، وأمام كل لجنة ، كان اليهود يكررون أن غرب فلسطين يريدون أن يلقوا باليهود في البحر .. وأن زعيمهم الحاج أمين الحسيني قد أعلن ذلك في يوم كذا في شهر كذا من عام كذا .. إلى آخر حبل الكذب والتزوير .

وتوالت الأحداث، وانتقلت قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة في عام 1947، وقضى الأمر بإنشاء " دولة إسرائيل " وتشريد الشعب الفلسطيني،

والحاق الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية .. وانتهى الوجود الرسمي الكياني للشعب الفلسطيني.

ولما وقعت حرب فلسطين في عام 1948، انطلقت الدعاية الصهيونية مرة أخرى تشهر بالدول العربية وتتهمها بأنه تستهدف إلقاء اليهود في البحر .. وفي كتاب " أيتها القدس " - صفحة 393- ذكر المؤلفان كولنز ولامبر أن " وزارة الخارجية المصرية كانت تنادي بإلقاء اليهود في البحر .. وأن الجيش السوري قد أعلن عهده بإلقاء اليهود في البحر " ..

وانتهت حرب فلسطين، ووقعت فترة فراغ في القضية الفلسطينية على الصعيد الشعبي ابتداء من 1948 حتى سنة 1964 .. فالهيئة العربية العليا التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني فقدت وجودها في صفوف الشعب، وحكومة عموم فلسطين التي كان يرئسها أحمد حلمي باشا عبد الباقي وئدت يوم مولدها .. وأصبح الشعب الفلسطيني من غير قيادة .. تجمعات فلسطينية مشتتة في الوطن العربي تتطلع بشوق إلى قيام " كيان لفلسطين " يمثل إرادة الشعب الفلسطيني، ويقود نضاله لتحرير وطنه.

قد كان يمكن لهذا " الفراغ " أن يستمر زمناً طويلاً لولا المصادفة .. وكانت هذه المصادفة أن انعقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في الأسبوع الأول من عام 1964، وقرر الملوك والرؤساء إنشاء الكيان الفلسطيني تم ذلك كما شرحت بالتفصيل في مذكراتي السابقة.

وكان مجرد عودة " الشخصية الفلسطينية " إلى ميدان النشاط العام مفاجأة لإسرائيل .. وازداد قلقها ومعها الولايات المتحدة أن الشعب المهاجر اللاجئ الذي ظن " فوستر دالاس " وزير الخارجية الأمريكية أنه سيفنى بفناء أجياله الكبيرة، وتنتهي بانتهائهم القضية الفلسطينية .. إن هذا الشعب قد عادت

إليه حياته وهويته، وأصبح له في خلال عامين منظمة تحرير، لها جيش، وصندوق قومي، ومكاتب، ومركز أبحاث، وإذاعة، وصحيفة، وعلاقات دولية .. وكل ذلك من العدم، من الصفر.

ومن هنا بدأ العداء الضاري لمنظمة التحرير، من جانب إسرائيل ومن الولايات المتحدة .. وقد ظهر ذلك في تصريحات زعماء إسرائيل، وفي تصريحات دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة.

وبدأت ملامح التشهير تظهر في إذاعات إسرائيل وصحفه، ومعها وسائل الإعلام الصهيونية ... وبدأ الكلام عن منظمة الشقيري .. جيش الشقيري .. إذاعة الشقيري .. كل ذلك تمهيداً للتشهير " الشخصي " بالشقيري .. وقد غاب عنها أن الشقيري ليس هو القضية الفلسطينية وأن كل فلسطيني هو الشقيري وأحسن ..

وكان الأمر الذي قام به " الشقيري " في نظر إسرائيل، خطيراً وخطيراً جداً .. كانت أحلام إسرائيل ومخططاتها تفترض أن الشعب الفلسطيني قد انتهى ، وانتهت معه قضية الوطن، وكفاحه النضالي .. وأن الشعب الفلسطيني أصبح مجموعات من اللاجئين، تشرذوا في الآفاق، وابتلعتهم ضرورات الحياة اليومية تحت كل سماء وكوكب .. أما الأرض فقد تقرر مصيرها، إسرائيل في الغرب، والمملكة الأردنية الهاشمية في الشرق .. " واستوت على الجودي " ولم يبق إلا بعض الوقت ، ويتم الصلح بين العرب وإسرائيل . هذا كان تصور إسرائي ل وعلى أساسه كانت الخطة.

وخاب ظن إسرائيل، فإن قضية فلسطين أكبر من الشقيري ومن حكام العرب أجمعين، بل إنها أكبر من الشعب الفلسطيني بكل بسالاته وبطولاته، إنها

قضية الأمة العربية بكل طاقاتها وقدراتها ..وبكل أجيالها .إذا كان مقدرًا لهذه القضية أن تعيش مع الأجيال ..

وتلاحقت الأحداث العربية ، فانعقدت مؤتمرات القمة العربية الثلاثة، في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء .. وتوتر الموقف ربيع 1967، وأعلن الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية وأغلق خليج العقبة.. وفي غمرة الموجة العارمة التي سادت الوطن العربي، جاء الملك حسين إلى القاهرة والتقى مع الرئيس عبد الناصر وتم توقيع اتفاقية الدفاع المشترك .. وسافرت مع الملك حسين إلى عمان وهو يقودني بطائرته، وأنا أحاول أن أقوده على درب النضال بكل صفاء وإخلاص.

وأترك بقية القصة، وقد شرحتها في الفصول السابقة، لأنقل إلى مؤتمر صحفي عقده في اليوم الثاني من حزيران (يونيو) في عمان .. قبل الحرب بثلاثة أيام .. وقد كانت هذه المناسبة فرصة جديدة لإسرائيل لإطلاق شعار إلقاء اليهود في البحر .. من جديد.

كان المؤتمر الصحفي غاصاً بالمراسلين الأجانب بالإضافة إلى الصحفيين العرب، وقد شرحت فيه الموقف العربي بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، والمؤامرات الدولية التي أدت بالنهاية إلى تشريد الشعب الفلسطيني ..وأنا أقول أنقل الآن عن محضر المؤتمر الصحفي ما يتصل بالموضوع الذي نحن يصدده..

س - هل تعتقدون أن التوتر الحاضر سيؤدي إلى حرب بين الدول العربية وإسرائيل؟

ج- يبدو لي أن الحرب واقعة لا محالة، وأنه أصبح لا مفر منها.

س - وهل سنشترك منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحرب؟

ج - لقد وضع جيش التحرير الفلسطيني تحت إمرة الدول العربية ليحارب إلى جانبها .. بل إنه سيكون في الصفوف الأمامية في هذه المعركة..

س - وما هو هدفكم إذا ربحت الحرب؟

ج - إن هدفنا هو تحرير وطننا من الاحتلال الإسرائيلي، شأننا في ذلك شأن جميع الحركات التحريرية في العالم، نناضل من أجل حريتنا الوطنية وسيادتنا القومية.

س - وما هو مصير الإسرائيليين، هل تقلونهم في البحر؟

ج - لا نريد إلقاء اليهود بالبحر، هذه تهمة قديمة، أول ما زيفتها الصهيونية على القيادة الفلسطينية عام 1929، أثناء الثورة التي نشبت لمناسبة إحداء حائط البراق .. أما مصير الإسرائيليين فهو موضوع تقررته الأمم المتحدة باعتباره مشكلة دولية.

س - هل تفصل لنا هذا الرأي؟

ج - لقد سبق لي في عام 1957 أن تقدمت باقتراح إلى الأمم المتحدة دعوت فيه إلى إنشاء وكالة تعرف " بوكالة العودة " تعمل على تسهيل إعادة الإسرائيليين إلى مواطنهم الأولى .. وإني أضيف الآن أن الدول العربية بوصفها أعضاء الأمم المتحدة مستعدة أن تساهم بنصيبها في ميزانية هذه الوكالة لتسهيل عودة الإسرائيليين .. إلى أوطانهم السابقة.

س - وهل معنى ذلك أنكم تريدون طرد اليهود من فلسطين؟

ج : ليس هذا صحيحاً، نحن ضد إسرائيل الدولة وللسنا ضد اليهود بهذه الصفة.. نحن نقاوم الصهيونية وجميع الصهيونيين سواء كانوا في فلسطين أو خارجها .. إن اليهود الفلسطينيين ن يستطيعون البقاء في فلسطين، وكذلك

اليهود الذين جاءوا من البلاد العربية ..وليس لنا عليهم إلا شرط واحد وهو أن لا يكون لهم ولاء للصهيونية ولإسرائيل الدولة ...

س - واليهود باقون ؟

ج - يعودون كما جاؤوا، لقد جاؤوا بالبحر، وبالبحر يعودون، ونحن مستعدون أن نساهم مع الأمم المتحدة في تسهيل عودتهم إلى أوطانهم الأولى...".

ويقودني ما ورد في هذا المؤتمر الصحفي أن أعود إلى الماضي قليلاً .. فإنه في الموضوع نفسه ..

كان ذلك في اليوم الثاني من شهر تشرين الأول (أكتوبر) 1957...

وبومها أقيمت في الأمم المتحدة خطاباً مطولاً تناولت فيه قضية فلسطين من جميع جوانبها .. وعرضت في جملة ما عرضت اقتراحاً بأن تنشئ الأمم المتحدة هيئة تسمى " وكالة العودة " تكون مهمتها عودة الفلسطينيين إلى فلسطين، وعودة الإسرائيليين إلى أوطانهم الأولى، وقلت، بعد أن شرحت اختصاص هذه الوكالة الدولية، ما يلي بالنص: " وهكذا فإنه يتضح بأننا لا نريد إلقاء اليهود في البحر .ونحن نتمنى لهم حياة أسعد وأفضل في مواطنهم السابقة حيث يستطيعون أن يستقروا تحت إشراف الأمم المتحدة. واليهود، المواطنون الشرعيون في فلسطين، الذين يبقون في البلاد يستطيعون أن يشاركوا مع مواطنيهم المسلمين والمسيحيين في حياة جديدة من المودة والاستقرار، يطورون مستقبلهم السياسي وفق أفضل المنظمات الدستورية الديمقراطية.. من غير دولة يستطيع اليهود أن يزهروا حيثما كانوا .. وفيما يتعلق بالعالم العربي، فإن خير ما أستطيع أن أقوله هو ما أعلنه أحد قادة الثورة الفرنسية في المجلس الوطني

الفرنسي : " نحن لا نعطي شيئاً لليهود كشعب، ولليهود كأفراد، فأنا نعطي كل شيء .. هذا ما نقوله اليوم وغداً.

وهذا الخطاب مسجل في محاضر الأمم المتحدة في الدورة الثانية عشرة .. وقد طبع في كراس خاص في نيويورك، والمقطع الذي أشرت إليه منشور في الصفحة الثانية عشرة .. لمن أراد أن يراجع ..

وعلى هذا فإن الذي أعلنته في المؤتمر الصحفي في عمان في حزيران 1967 أعلنته قبل عشر سنوات - 1957 - على منبر الأمم المتحدة .. مع التوكيد " بأننا لا نريد إلقاء اليهود بالبحر".

وكان من سخرية القدر أن الذي أكد هذا التوكيد قد زورت عليه إسرائيل والصهيونية العالمية وأنصارها، أنه قال "إننا نريد إلقاء اليهود في البحر " .

وفي طرفة عين، انطلقت وكالات الأنباء العالمية تنقل الخبر الرهيب ..

" الشقيري يعلن من عمان أن العرب يحاربون لإلقاء اليهود في البحر " ..

واستمرت هذه الحملة بكل شراستها وضراوتها ودخلت حرب الأيام الستة ودخلت معها هذه الحملة .. على هامش الانتصارات في الجولان وسيناء . وفي قطاع غزة ..

وفي القطاع بالذات ، حيث تكبد الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة في

غزة وخانيونس ورفح أمام بطولة شعبنا وجيشنا .. راح المراسلون الحربيون يكتبون إلى صحفهم عن تدمير " جيش الشقيري " مع هوية أخرى، وهي إطلاق الرصاص على الجدران التي كانت تحتوي " صور الشقيري ..

وانتهت الحرب .. ولكن الحملة على الشقيري بدأت من جديد .. فقد

صنعت إسرائيل أفلاماً تسجيلية " وثائقية " عرضتها في كل أرجاء العالم، وفي كل لغات البشر . وقد عرضت في هذه الأفلام أحداث الحرب .. وغنائم الحرب

..وأسرى الحرب .. وكانت في هذه الأفلام، صورتني بالملابس العسكرية،
أخطب في قطاع عزة، وفي القاهرة، وفي بيت المقدس، .. والمذيع الإسرائيلي
يقول : " هذا هو الشقيري ... الذي أعلن أنه يريد إلقاء اليهود في البحر .. "
وكانت هذه الأفلام مأخوذة عن صور حقيقية لي، وأنا أخطب في
الاجتماعات العامة، وكانت المناسبة فيها حقيقية، ولكن ما لم يكن حقيقياً الكلام
الذي نسبوه إليّ .. وانيّ للمواطن العادي أن يسأل نفسه وهو يرى هذه
الأفلام، ماذا كنت أقول ، وماذا كنت لا أقول ..
وقد انتشرت هذه الأفلام في كل أرجاء العالم، وشهدها الملايين،
وأعادتها إلى ذاكرتهم بربرية تيمورلنك، وجنكيزخان، وهولاكو، واجتمعت كلها في
هذا الشخص المتعطش إلى الدماء الذي اسمه " الشقيري "
وقد عرض هذا الفيلم عدة مرات في بيت المقدس بعد الاحتلال، وقد
شاهده الشباب العربي، وفي كل مرة كانوا يشتبكون مع الشباب اليهود استنكاراً
للتزوير والبهتان ..
وتجاوزني الحقد الإسرائيلي إلى شبابنا الذين اعتقلوا في سجون
إسرائيل، فلم يتركوا أحداً من الفلسطينيين المناضلين إلا وصاحوا في وجهه:
أنت تريد إلقاء اليهود في البحر ..
وفي كتاب " مذكرات أسير " الذي وضعه المناضل الفلسطيني السيد
أسعد عبد الرحمن، عن اعتقاله في إسرائيل، طرائف يجدها القارئ في صفحات
(26، 51، 62، 84، 86، 135، 136)، ومن هذه الطرائف ..
قال المحقق الإسرائيلي: لقد جنّت لتلقينا في البحر، أليس كذلك؟
الجواب : نحن لا نريد إلقاءكم في البحر .. أن لنا حقوقاً نطالب بها...

سؤال : وماذا تقول بتصريحات أحمد الشقيري التي أعلن فيها أنه يريد أن يلقي اليهود بالبحر .

جواب : قلت إننا لا نريد أن نلقي اليهود في البحر .. نحن نطالب بحقوقنا في بلادنا .

وتابع الأسير الفلسطيني حديثه قائلاً :

وجاءني المحقق، في الصبا ح، وهو يصيح مبتهجا "لقد مات الشقيري.. مات الشقيري .." ولكننا علمنا فيما بعد أن أحمد الشقيري لم يميت ولكن حل محله يحيى حمودة في رئاسة المنظمة..

ثم أنتقل الحقد الإسرائيلي من شخصي إلى بيتي، فقد جعلوا بيتي في فلسطين مركزاً سياحياً يأخذون إليه السائحين، بعد زيارتهم للأماكن التاريخية، ليقولوا لهم هذا منزل " الشقيري " الذي كان يريد أن يلقينا بالبحر .. وصادف أن صحافياً لبنانياً قد اعتقلته السلطات الإسرائيلية على الحدود صيف 1970 واحتجزته في إسرائيل لمدة أسبوعين للتحقيق معه، وقبل الإفراج عنه، أخذته في رحلة سياحية .. وإلى منزلي ،حيث قال له الشرطي: هذا بيت الشقيري الذي يريد أن يلقي بنا إلى البحر ..

وفي كانون الأول (ديسمبر) من هذا العام 1972- نقلت وكالة اليونايته برس نبأ يقول أن السلطات الإسرائيلية قد جعلت منزل الشقيري معبداً يهودياً .. والحمد لله ولا يحمد على مكروه سواه..

والواقع أنني حمدت الله قبل هذا الخبر بزمان، فقد انزاح شعار إلقاء اليهود في البحر عن أكتافي، وألقي على أكتاف الرئيس عبد الناصر والرئيس الدكتور نور الدين الاتاسي، ففي ندوة تلفزيونية (1970/7/3) أعلن الرئيس

الأمريكي نيكسون أن مصر وسوريا دولتان معتديتان، وأن الرئيس عبد الناصر والاتاسي يريدان إلقاء اليهود بالبحر...

هذا مع العلم، أن الرئيس نيكسون، قبل ولايته، كان قد جاء زائراً إلى القاهرة، فاحتفى به الرئيس عبد الناصر حفاوة بالغة، فاستضافه في الأقصر وأسوان وفي غيرهما من الأماكن السياحية، ووضع تحت تصرفه طائرة خاصة .. وكل هذه الضيافة والحفاوة من أجل أن يصبح صديقاً للعرب، فكانت النتيجة أن الرئيس الأمريكي اكتشف أن الرئيس عبد الناصر يريد أن يلقي اليهود في البحر ...

ثم ألقى هذا الشعار على أكتاف الرئيس أنور السادات، فقد أعلنت السيدة جولدا مائير في اجتماع شعبي أقيم في تل أبيب فأشادت " بالنضج السياسي الذي يتحلى به الملك حسين، وأن الرئيس السادات يصر على انسحاب إسرائيل إلى حدود حزيران (يونيو) 1967 وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني، وذلك يعني رمي اليهود بالبحر، إلى آخر ما نقلته وكالة أنباء رويترز (1972/10/14).

هذا هو عرض موجز لحكاية شعار إلقاء اليهود بالبحر، وقد اخترعه اليهود في 1929، ولا يزالون يرفعونه من حين إلى حين... وهو أشبه بشعار اللاسامية الذي صنعوه في أوروبا ليشهروه في وجه من ينتقد تصرفاتهم ويعيب عليهم سلوكهم ..

كان الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول، آخر من شهروا في وجهه هذا الشعار .. فقد عقد الجنرال ديغول مؤتمراً صحفياً حدد فيه موقف فرنسا من أزمة الشرق الأوسط، وتناول موضوع نشوء الوطن القومي في فلسطين وقيام

إسرائيل، وألقى نظرة تاريخية على أخطاء السياسة الصهيونية، وما أدت إليه من اضطرابات وأزمات..(1937/11/22).

ولم يمض يوم واحد على بيانات الرئيس ديغول، حتى تحركت الأجهزة الصهيونية في العالم كله تشهر بالجنرال ديغول وتتهمه باللاسامية .
فهذه وكالة الصحافة الفرنسية تقول : " إن المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال ديغول أثار ردود فعل عنيفة في الأوساط السياسية الإسرائيلية (1967/11/27).

والصحف الفرنسية، تناولت على الرئيس ديغول وهاجمته هجوماً عنيفاً، فقد كتب المسيو مري أحد المعلقين المشهورين في جريدة لوموند الفرنسية مقالاً قال فيه إن ما ذكره ديغول عن إسرائيل واليهود " تفوح منه رائحة اللاسامية.. وفي اللهجة نفسها نددت جريدة الفيجارو بالجنرال ديغول، وهي المعروفة بولائها لسياسته.

وشنت الصحف الإسرائيلية حملة شعواء على الجنرال ديغول.. معاريف، لمرحاف يديعوت، احرنوت، عال همشمار ، دافار .. وكلها أدانته باللاسامية.(1967/11/27).

وبلغت الحملة ذروتها، حينما أصدر جاكوب كابلان كبير حاخامي اليهود في فرنسا بياناً رد فيه على الجنرال ديغول قال في ختامه " إنه يستنكر أقوال الجنرال ديغول بإدانة إسرائيل كدولة معتدية وإن الشعب اليهودي نزاع إلى السيطرة . ثم أعلن كبير الحاخامين إن اليهود الفرنسيين يعلنون تضامنهم مع إسرائيلي ويدعمون جهودها " ... (1967/11/29).

وعلقت جريدة هيرالد تريبيون الأمريكية على تصريحات الجنرال ديغول فقالت : " إن ملاحظاته اللاسامية مذهلة بسبب الذعر الذي أحدثته في صفوف

يهود فرنسا والذي أعرب عنه حاخام فرنسا الأكبر .. وستكون قوى الديمقراطية والشرف الفرنسية التي تعارض اللاسامية أمام امتحان بالغ الصعوبة .. وأن موقف ديغول لا يعكس لا الشرف ولا العظمة على فرنسا .. (1967/12/4).

وهكذا رفعت إسرائيل الشعارين المعروفين .. إلقاء اليهود بالبحر، واللاسامية .. الشعار الأول في العالم العربي، والثاني في أوروبا .. ولكن... ولكن أحداً لم يفتن إلى أن الصهيونية قد صنعت شعاراً رهيباً طبقته عبر السنين . ذلك هو شعار إلقاء العرب في الصحراء ..

وليس هذا الكلام دعابة ولا مبالغة .. فإن المراجع الصهيونية كثيرة وكثيرة .. وكلها تقول بالعبارة والكلمة . أن على العرب أن يعودوا إلى الصحراء ... هنالك وطنهم .. ولا أريد أن أزيد .. فإن ذلك يستغرق كتاباً بكامله..

ويكفي أن نتذكر، والمأساة لا تحتاج إلى تذكير .. مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذي دقوا أوتادها في عام 1948، وراحت الخيام تزداد كل عام حتى أصبحت مجموعة اللاجئين والنازحين مليوناً ونصف مليون .. يعيشون حياة، الموت معها أكرم وأشرف .

ولست أعتذر عن الإشارة المتواصلة لاسمي في هذا الفصل، فأني شخص عابر تحت هذا الشعار، شعار إلقاء اليهود في البحر .. وسيمر تحته غيري من الذين دفعتهم الأقدار إلى المسؤولية القيادية في قضية فلسطين.

وكل قصدي أن يزداد المواطن العربي معرفة بالعدو وأساليبه، ودعاياته، وأن يعلم ، كذلك، أن دعاياته قد اخترقت عقول بعض العرب، فراح يصدق التزوير الإسرائيلي .. ولا يتردد أن يحكي " بحكمة ورجاحة وعقلانية" قائلاً: " يا أخي هذه نتيجة خطبنا بأننا نريد أن نلقي اليهود بالبحر!..."

تلك هي قصة الصهيوني ة : اخترعت شعار إلقاء اليهود بالبحر، زوراً
وبهتاناً، وألقت بالعرب في الصحراء فعلاً وعملاً..
وليس غريباً على إسرائيل أن تستخدم البحر في دعاياتها، فإن لها فيه
أحداثاً وأحداثاً ..

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وجاوزنا بين إسرائيل فأتبعهم فرعون وجنوده ."

"وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون . . ."

" فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر . . ."

صدق الله العظيم

استقالة أم إقالة

هذا هو الفصل الأخير في مذكراتي، أكرسه للحديث عن استقالتي أو إقالتي .. من رئاسة منظمة التحرير .. وسأحرص فيما أكتب على الإيجاز والتجاوز .

أما الإيجاز فلأني أريد أن يكون شخصي، كمًا وحجمًا، بقدر ما يتصل بالقضية العربية، وأنا واحد من الذين ساهموا في ميدانها بقدر متواضع.. والتجاوز .. فإنه مفروض عليّ لا من طبع الصفح والتسامح في نفسي فحسب، بل إنه، أولاً وآخراً، نابع من تجربتي الطويلة مع الأصدقاء والزلاء، ومن قراءاتي الطويلة في كتب السير والتراجم، وكيف تقوم العلاقات بين الرجال اتصالاً وانفصالاً، وخيانة ووفاء وغدرًا وصفاء .. وأصبحت هذه المعاني في نفسي أمراً واقعاً أو متوقعاً..

ولعلي أبدأ هذا الفصل بما انتهى إليه مؤتمر الخرطوم، فإنني أعتبر أن مؤتمر الخرطوم بالقرارات التي اتخذها، وبالقرارات التي ما اتخذها سيفرض عليّ الاستقالة عاجلاً أو آجلاً ...

وقد انسحبت من مؤتمر الخرطوم لا لأزيد على الملوك والرؤساء، فالذي يزايد على أمثال هؤلاء الرجال يجب أن يكون واحداً منهم، أو طامعاً في أن يصبح واحداً مثلهم .. وأنا كفلسطيني لاجئ .. لا أمل لي في أن أكون ملكاً أو رئيساً .. فلم يصل الحال في الوطن العربي أن يصبح الإنسان العربي رئيساً أو ملكاً في غير " دولته " .. وكان الحال في القرون الوسطى، أن الإنسان

العربي، يكون ملكاً أو وزيراً أو قاضياً في غير قطر الذي نشأ فيه .. وصلاح الدين الأيوبي التكريتي العراقي، سلطان مصر والشام، ومحرر بيت المقدس، واحد من أروع الشواهد، وأرفع الأمثال ...

ولهذا فإن انسحابي من مؤتمر الخرطوم لم تكن له أسباب شخصية إطلاقاً .. فقد كانت حوافزه عامة وأساسية، قد تبدو خاطئة في يومها، وأثبتت الأيام صوابها .. وأعوذ بالله من الغرور ..

وهذه الأسباب العامة الأساسية قد شرحت في الفصول السابقة، وهي التي دفعتني إلى الانسحاب، من الساحة الرسمية إلى ساحة أخرى بدأت أبحث في أعماق نفسي.

وكانت هذه الساحة التي تخيلتها هي مزيج من الساحة الرسمية والشعبية : تعاون مع الدول العربية التي يمكن التعاون معها، ونضال على الصعيد الشعبي.

وهذا ما قصدت إليه فعلاً حين أعلنت في المؤتمر الصحفي الذي عقده في الخرطوم بعد انسحابي من اجتماع القمة من أن " المنظمة ستعيد تنظيم مؤسساتها لتكون قادرة على مواصلة الكفاح، ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي، متلاحمة مع جميع القوى المناضلة في الوطن العربي" (1967/9/1).

وكان لا بد لنا من طريق جديد .. لا بد من تغيير الطريق .. والهدف لا يتغير .. وقمت في حملة شوري هادئة .. فالتقيت بعدد وافر من الأخوة الفلسطينيين والعرب، وبدا لي جلياً أن طريقنا بعد الهزيمة يجب أن يختلف عن طريقنا قبل الهزيمة ..

قبل الهزيمة، وضعت مؤتمرات القمة الخطة الواضحة لتحرير فلسطين،
فأنشأت القيادة العربية الموحدة لإعداد خطط الدفاع، ومن ثم تطويرها لتكون
قادرة على الهجوم .. وكانت منظمة التحرير بجيشها وشعبها جزءاً لا يتجزأ من
الخطة...

ولقد وقعت في ذلك العهد أخطاء ومخالفات، ولكن خطة التحرير بقيت
قائمة في الفكر والتخطيط، وإن لم تستكمل كل وسائل التنفيذ.
وكنت أقدر أن الزمن سيجسد معالم الطريق، وسيسقط المتقاعدون
والمتقاعدسون، ليبقى في الميدان أولئك الذين يستطيعون أن يقاتلوا معاً وأن
ينتصروا معاً...

ولكن .. هنا الفاجعة، ولكن هذا التصور لمستقبل التحرير، قد انقصف
قبل أن تتفتح أكاممه، كما تنقصف براعم الزهور تحت وطأة الصقيع ..
ولقد وقعت المعركة في حزيران (يونيو)، قبل موعدها بأعوام .. فقد
وقعت في عام 1967، وكان أحسن عام لإسرائيل وأسوأ عام للأمة العربية!!
وما أسهل الكلمة الحكيمة بعد الهزيمة، ولكن كان الأمر واضحاً من
غير حاجة إلى عقل كبير .. فقد كان حكام العرب يعرفون الحقيقة الأساسية،
أن أوضاع الأمة العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية في عام 1967، لا
تصلح لا للدفاع ولا للهجوم ولكنها تصلح للهزيمة .. نعم الهزيمة ...
ولست أقول هذا الكلام اليوم .. بل إنني أكدته أمام خمسين إنساناً من
قادة الشعب الفلسطيني في فندق الامباسادور في بيت المقدس قبل المعركة
بثلاثة أيام .. وما لقيت واحداً منهم بعد ذلك إلا ويذكرني بذلك الحديث
الخائف ...

غير أن الحكم العربي المعاصر المتميز باللامبالاة، وللامسئولية،
والملاعقلانية، قد استدرجه مكر الأصدقاء وغدر الأعداء إلى معركة في غير
ميدانها وفي غير زمانها .. فكانت الهزيمة الساحقة الصاعقة..
ولم يكن نصر إسرائيل معجزة فريدة .. ولكن هزيمة العرب نفسها لم
يكن من سبيل لتجنبها إلا بمعجزة خارقة..

وكانت المعادلة بسيطة أمام الذين يعقلون .. وكانت أطراف المعادلة

كما يلي:

أولاً - دول عربية متشاحنة، مبددة الطاقات، موزعة الأهواء ..
ثانياً - أمة عربية واحدة، تحكمها ثلاث عشرة حكومة، لا تستمد
سلطاتها من الشعب، في مناخ بعيد عن الحريات الأساسية والديمقراطية
الحقيقية ..*

ثالثاً - جيوش عربية عصفت بها الانقلابات والصراعات، لتكون
حارسة " للنظام"، لا حامية للوطن.

رابعاً - مواجهة إسرائيل، تساندها الولايات المتحدة من غير قيد ولا
شرط.

خامساً- صداقة مع الاتحاد السوفيتي ضمن القيود والحدود.
وإن معادلة هذه أطرافها لا بد أن تكون نتيجتها الحتمية هزيمة للعرب
ونصراً لإسرائيل .. هذا بكل بساطة ..

ولو أن البنود الثلاثة الأولى من المعادلة، وهي البنود العربية، كانت
على غير ما كانت عليه ل جاءت النتيجة الحسابية نصراً للعرب وهزيمة لإسرائيل

..

* باستثناء دولة أو دولتين.

ومن أجل ذلك خرجت من مؤتمر الخرطوم لا بحث عن الطريق الجديد

...

وكان طبيعياً أن أبدأ بالجانب الفلسطيني . وكانت منظمة التحرير هي

السؤال الأول ...

لقد أنشئت منظمة التحرير في ظروف اختلفت، المنظمة أنشئت
للتحرير .. ولم يعد التحرير جزءاً من خطة مؤتمر الخرطوم، ولو على مراحل،
ولو على المدى البعيد.

لقد أقتصر مؤتمر الخرطوم فكره وتخطيطه على إزالة آثار العدوان ..
وبالطريق السياسي، بطريق الأمم المتحدة، وبالتحديد عن طريق الدول العظمى.
ولم أكن مؤمناً بهذا الطريق لا بعقلي ولا بخبرتي ..

وصدر قرار مجلس الأمن .. وأعلنت رفضه للأسباب التي شرحتها ..
وراح الحكم العربي بعد أن رفضه يوماً وليلة ، يطالب بتنفيذه .. ويبرر ذلك بأنه
أسلوب تكتيكي يقصد منه عزل إسرائيل، وكشف مخططاتها، ووضعها في موقع
الرفض .. كأنما هذا الذكاء التكتيكي لا تملك إسرائيل منه شيئاً .. أو كأن ردود
الفعل الدولية ستعيد للأمة العربية شبراً واحداً من أرضها، وذرة واحدة من
كرامتها.

ليست إسرائيل غبية إلى هذا الحد، لكن كان الحكم العربي هو الغبي

في البداية، ووقع في الخيبة في النهاية.

وانتقل الحكم العربي من التكتيك إلى الإستراتيجي ة، فأصبح قرار مجلس

الأمن مطلباً قومياً، وراح يخدع الجماهير العربية ويوحى إليها بأن قرار مجلس

الأمن نص على أمرين أساسيين:

الأول – الانسحاب من جميع الأراضي العربية.

والثاني - المحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني.
والأمر الأول كذب، والأمر الثاني زور، فإن قرار مجلس الأمن لا
يتضمن الأول ولا الثاني، كما يزعمه الحكم العربي.
والمصيبة الكبرى أن الحكم العربي مسيطر على أجهزة الإعلام العربية،
فلا مجال لأن تسمع الأمة العربية غير الكذب والزور.
ولهذا، كان لا بد أن يعاد النظر في الكيان الفلسطيني، بعد أن اختلفت
عليه الظروف، وخطرت لي خواطر، وبدأت في تنفيذها ..
خطر لي أولاً - أن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي يجب أن تبني داخل
الضفة الغربية وقطاع غزة . وإذا كان رئيس الأركان السوري قد اعتقل ضباطنا
الثمانية عشر ومنعهم من دخول الضفة الغربية، كما شرحت، فلا بد من
المحاولة ثانية وثالثة.. ولا بد أن " نُهْرَب " جيش التحرير الفلسطيني إلى داخل
البلاد ..
وخطر لي ثانياً - أن أجمع قادة المنظمات الفدائية وكانت في بدايات
أعمالها، في طائرة واحدة إلى العراق . لنجتمع في إحدى أجنحة وزارة الدفاع
لمدة أسبوع ولا نخرج إلا متفقين .. وقد وافق اللواء شاعر محمود شكري وزير
الدفاع العراقي، أن يضع تحت تصرفنا طائرة عسكرية عراقية، ووزارة الدفاع
العراقية..
وخطر لي ثالثاً - أن الكيان الفلسطيني يجب أن يعاد بناؤه على هيئة
طابقين: واحد، فوق الأرض وهو منظمة التحرير، للشؤون السياسية والتنظيمية
والمالية والإعلامية، والطابق الثاني تحت الأرض يختص بشؤون الثورة
الفلسطينية المسلحة تحت قيادة مجلس الثورة . ويكون بين الطابقين سلم يصل
بينهما، بعيد عن الإعلان..

وخطر لي رابعاً - أن استقيل من رئاسة منظمة التحرير، ففي الشعب الفلسطيني كفاءات سياسية كثيرة، لأكون مستشاراً لمجلس قيادة الثورة الفلسطينية، لأعرف، ولا يُعرف مجلس قيادة الثورة .. وبدأت اتصالاتي بعدد من الفلسطينيين أبحث معهم هذه الخواطر وسبل تنفيذها..

وكان واضحاً منذ البداية أن ميلاد الكيان الفلسطيني الجديد، لا يقصد منه أن يكون قوى ضاغطة على إسرائيل حتى تنفذ قرار مجلس الأمن.. لقد كنت أريد قيام مجلس الثورة ليعبئ الشعب الفلسطيني، ومعه الجماهير العربية في معركة التحرير .. إنها معركة طويلة حقاً .. ولكن طول الزمن لا يحمل على التنازل عن الهدف..

وشعار " ثورة حتى النصر " كان هو الهدف، فلا يمكن أن تكون الثورة فريقاً في التسوية، ولا طرفاً في التصفية . وقضية فلسطين هي القضية الوحيدة في العالم التي لا تقبل التسويات المرحلية، فليست الحدود في هذه القضية هي المشكلة . المشكلة هي وجود إسرائيل الدولة .. والمشكلة هي الوطن، هل هو لنا أو لإسرائيل..

وفي إطار استشاراتي العربية كان يقول لي بعض المسؤولين العرب: نحن الآن معنيون بإجلاء إسرائيل عن سيناء والضفة الغربية والجولان .. أما الأرض الفلسطينية الباقية فقد مضى على احتلالها عشرون سنة. وكنت أقول : وهب أن الاحتلال استمر في الجولان وسيناء عشرين سنة أخرى، فهل نتركها ونتخلى عنها ؟.. ولا أجد جواباً.. ولكنني أسمع مرة ثانية كلاماً آخر : وهل من مانع من العودة إلى حدود حزيران بالجهود السلمية؟.

وكننت أقول : لا مانع أبداً .. ولنفرض أن إسرائيل وافقت، وهي فرضية غير قائمة، فهل " تعطيكم " إسرائيل أرضكم هذه قبل أن توقعوا وثيقة تتنازلون بموجبها عن الأرض المحتلة سابقاً، وإنهاء حالة الحرب .. و..و..؟..
ولم أكن أجد جواباً ...

وفي تلك الحقبة، بدأ الدكتور يارنج مبعوث الأمم المتحدة رحلته إلى الشرق الأوسط لتطبيق قرار مجلس الأمن .. وكانت أول مذكرة تلقاها حول الموضوع، مذكرة أرسلتها منظمة التحرير الفلسطينية، ترفض قرار مجلس الأمن رفضاً قاطعاً باسم الشعب الفلسطيني وباسم الجماهير العربية.
وألقت أجهزة الإعلام العربية الرسمية ستاراً من التعقيم على هذه المذكرة، كأنما نزلت غارة معادية على الأرض العربية .. ولم تنتشر إلا في صحف بيروت.

وحفظ الله بيروت للعرب أجمعين..

وأقول للعرب أجمعين، فإن جميع المضطهدين العرب، المعذبين بأوطانهم وحكامهم، لاجئون إلى بيروت .. والملك فيصل نفسه قد اعترف بهذه الحقيقة، ففي صيف 1971 حين كان في زيارة رسمية للبنان، أثنى على لبنان " بأنه ملجأ المضطهدين " .. ولم يقل من الذين يجعل الناس " مضطهدين " ..
وكائنا ما كان الأمر فقد عرف في أوساط المنظمة إن هناك نية في التغيير والتبديل، وهنا لا أخوض في التفصيل .. فوجه إلي سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية مذكرة يقولون فيها إنه " حرصاً على الكيان الفلسطيني . وتحقيقاً للوحدة الوطنية، ووحدة النضال المسلح، وتمكيناً للمنظمة من التصدي لإحباط المحاولات والإجراءات المترتبة على قرار مجلس الأمن الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية، نعلن أنه لا بد من تحيينكم من رئاسة اللجنة التنفيذية

للمنظمة إذا ما أريد لها البقاء .. ونطلب إليكم التنحي فوراً عن رئاسة المنظمة
لنتمكن بالتعاون مع ذوي الرأي من إخواننا أبناء فلسطين من الوصول إلى قيام
قيادة جماعية واعية للمنظمة تعمل على مستوى الأحداث" ..

وليس لي تعليق على هذه المذكرة .. فإن الأعضاء السبعة الذي قدموها
مواطنون مخلصون أضاعت الكارثة صوابهم، وتقديرهم وحسابهم فكتبوا ما
كتبوا، من غير تدبير عميق بالعواقب.

ولا أريد أن أدخل الآن في مناقشة هذا الطلب، ومشروعيته، ذلك أن
ميثاق المنظمة قد خولني الحق في اختيار زملائي في اللجنة التنفيذية وأني
أملك إعفاءهم من هذه الزمالة واختيار غيرهم بدلاً عنهم .. وكان هذا الحل
وارداً أمامي ..

وقد وصلتني هذه المذكرة في الرابع عشر من شهر كانون الأول
ديسمبر (1967) ..وقدمت استقالتي في الرابع والعشرين من الشهر .. ولم يكن
ذل استجابة للأخوة السبعة، فأنا أعلم أن الشعب الفلسطيني في مجموعة لا يريد
استقالتي فضلاً عن إقالتي ..

ولكن قراري بالاستقالة كان مبنياً على عوامل أخرى كانت وراءها
أوضاع عربية ودولية.

ولا أريد أن أتحدث طويلاً عن الأوضاع الدولية ، فإن الذين يعملون في
قضية فلسطين ، لا بد وبالضرورة الحتمية، أن يقعوا في صراع مع مختلف القوى
الدولية .. ذلك أن تحرير فلسطين وإزالة إسرائي ل الدولة لا يتفق مع مخططات
ومصالح عدد من الدول العظمى والوسطى والصغرى وكان من الطبيعي لمن
يتصدى لإسرائيل، أن يتصدى لهذه القوى الدولية.

أما الوضع العربي فقد وقعت معه في أزمة تجسدت فيما يلي:

أولاً - إن انسحابي من مؤتمر الخرطوم كان في نظر الملوك والرؤساء
" عملاً غير لائق "

ثانياً - إن الملك حسين والملك فيصل والرئيس بورقيبة قد
أعلنوا عدم " انشراحهم " للتعاون مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في
مناسبات متعددة.

ثالثاً - إن رئيس منظمة التحرير قد اصبح شخصاً بغيضاً لدى الرأي
العام الدولي بسبب " تصريحاته " عن إلقاء اليهود بالبحر .

رابعاً - إن استعادة سيناء والجولان والضفة الغربية أمر ميسور في مدة
قصيرة، عن طريق المساعي السياسية والدبلوماسية ..ولكن رئيس المنظمة،
بتصريحاته واتصالاته، يشكل إحدى العقبات أمام تحقيق هذه الغاية.

خامساً - إن مؤتمر الخرطوم لا ينتظر أن ينعقد في موعده المقترح،
لأن الخارجية التونسية قد بعثت بمذكرة تقول فيها إن الرئيس الحبيب بورقيبة لا
يجلس مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وقد تعززت هذه الرغبة بتأييد
الأردن والسعودية. ولم تكن هذه العوامل الخمسة كافية وحدها لحملي على
الاستقالة، فالحكام العرب متنافرون فيما بينهم، ولا يستطيع أحد أن يقيل هذا أو
ذاك، فضلاً عن أنني كنت في الواقع أكثر تمثيلاً للشعب الفلسطيني من عدد
كبير من حكام العرب، بالنسبة لشعوبهم..

ولكني قررت الاستقالة بعد أن رأيت على مدى عشرة أيام ظاهرة لا أريد
أن أخوض في تفسيرها أو تبريرها.

هذه الظاهرة، كانت في الواقع مظاهرة.. فقد أخذت صحف القاهرة على نفسها بقيادة جريدة الأهرام، إبراز مذكرة الأخوة السبعة والتعليق عليها، ونشر صور أصحابها، وتصريحاتهم ومطالبتهم باستقالة رئيس المنظمة .
وعلى مدى أيام كانت الصفحات الأولى في جريدة الأهرام مكرسة بالعناوين البارزة وهي تتحدث عن أزمة المنظمة "واستقالة الشقيري" حتى أصبح القتال في فيتنام، والصراعات الدولية والخلافات العربية أموراً تأتي في المقام الثاني من الاهتمام!!

وقرأت كل هذا .. وفهمت ما يجب أن أفهم .. وقدمت استقالتي لا إلى الأخوة السبعة، ولا إلى الملوك والرؤساء الثلاثة عشر .. ولكن إلى الشعب الفلسطيني.. .. وكان نص الاستقالة موجزاً كما يأتي:
" أقدم استقالتي إلى الشعب الفلسطيني، الشعب الأسير الشريد، المهاجر الطريد، وأقدم استقالتي كذلك إلى الفدائيين الأبطال الذي يخوضون في هذه الأيام غمرات النضال على أرض الوطن الحبيب، وابتهل إلى الله العلي القدير أن يحفظ شعب فلسطين ويحفظ قضيتته، وأن يصون نضاله ويصون منظمته، وعهدي لمن يأتي بعدي أن أكون له سنداً وعضداً أضع بين يديه كل تجربتي وطاقتي، في طاعة الجندي بين يدي القائد، فتلك سيرة سيدنا خالد، قاتل قائداً وقاتل جندياً، والحمد له أولاً وآخراً "

وقد قامت مسيرات ومظاهرات تعترض على استقالتي، ووصلتني عرائض وبرقيات تطالبي بالبقاء في موقع المسؤولية .. ولكني آثرت أن أستقيل لأفسح المجال لغيري، فقد يكون على صواب، وأكون على خطأ.
وتلقيت من منظمة التحرير، ومنهم الأخوة السبعة ، كتاباً بقبول استقالتي تعرب فيه المنظمة عن " تقديرها الكبير للجهود التي بذلتها منذ قيام

منظمة التحرير الفلسطينية ..وهي تقدر تمام التقدير ما تحملتم في سبيل قيام المنظمة من أعباء وأديتم لها من خدمات ..". (1967/12/25).

ومنذ ذلك اليوم، وأنا أستقبل العديد من أبناء فلسطين، ومنهم الأخوة السبعة وهم يناشدونني العودة إلى المسؤولية القيادية وكنت أعتذر على الدوام، وأنا أقول لهم في ختام حديثي: ليست مشكلتي مع الشعب الفلسطيني ولا مع الجماهير العربية ... إن مشكلتي مع الملوك والرؤساء أنا لا يمكنني العمل معهم ولا يمكن العمل بدونهم وهذه هي المشكلة وها قد مضت ستة أعوام على استقالتي والأرض العربية تحت الاحتلال الإسرائيلي والحلول السلمية تقف أمام طريق مسدودة والملوك والرؤساء لا يجمعون على رأي واحد .. والشقيري الذي اختاروه كبش الفداء التزم بيته ..واستراح وأراح ..

وإذا كنت قد " عُزِلت " عن المسؤولية القيادية، فإن مسؤوليتي كمواطن لم تعزل، ولا يملك أحد أن يعزلني عنها.

وإذا كانت قد انتهت قيادتي فإن مواطني، قد ابتدأت ..

وقد بدأت مواطني بكتابة مذكراتي، وها أنا أفرغ من الجزء الخامس منها، لتكون في مجموعها سجلاً لأعظم أحداث وقعت للأمة العربية بعد الحملات الصليبية وغزوات التتار في القرون الوسطى.

ولن تنتهي مواطني بنهاية مذكراتي .. فالمواطنة تنتهي بانتهاء الحياة..

إن تجاربي الدولية والعربية، هي ملك أمتي العربية بأجيالها الصاعدة والوافدة . وسأضعها بين يدي الإنسان العربي . وأن اجمل الأيام في أخريات العمر، للإنسان الحي، أن يقرأ ..وأن يكتب وها أنا أدعو الله...

أن يحفظ عقلي لأفهم ..

وأن يصون بصري لأقرأ ..

وأن يشد يدي لأكتب ..

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم:

"وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"

صدق الله العظيم